



لافوازيه في معمله وزوجته امامه تدوت له منذكر العلميه

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الخامس من المجلد الرابع والثمانين

١٧ محرم سنة ١٣٥٣

١ مايو سنة ١٩٣٤

لاقوازييه

LAVOISIER

الجمهيري في باريس هاجمة مأجبة ، والحفاظ منطلق من الصدور كالقنابل ، والارهاب مخيم فوق
حياة المدينة ، كالضباب الثقيل ينعد في الجو فيرهق النفوس ، فالناس تهاشم وتفضل المنعطفات
وحلك الليل على الشوارع ووضع النهار . لقد اخذ الملك والمملكة من القصر الى السطع ، وأقام
زعماء الثوار في قصر التويلري ، يصدرون الاوامر بالقبض على هذا وتنفيذ الاعدام في ذلك
في هذا الجو المرهق ، كان احد علماء باريس ، مكباً على انابيبه وأنايبه في معمله الكيميائي .
وكان هذا العالم رجلاً تحدج العيون ، لان الملك كان قد ادناه وأعلاه . وكان هو قد اتفق جانباً
كبيراً من ثروته ونشاطه في خدمة فرنسا . ولكن الصدور كانت موعرة في تلك الايام . وكان
اعدائه كثيراً لانه من طبقة الاشراف . ومع ان شوارع المدينة كانت تعج بالثوار ، والنفوس
كطيمة تخشى همسة الريح لئلا تكون اشارة لخطر محقق ، واعداء الرجل يعدثون المعدات
ويدبرون الخطط للقضاء عليه ، ظل هو ملازماً معمله يراقب في سكون وصفاء ذهن عجيب تجربة
كان قد اعدّها لسيجان معاونه ويملي على زوجته الغانية مذكراته العلمية
كان سيجان هذا جالساً في كرسي ، يحيط به كيس من الحرير المطلي ، لا يدخله الهواء ولا
يخرج منه . وكان في الكيس قبالة فم الرجل شق للتنفس ، وكان يتصل بهذا الشق انبوب يفضي

الى انبيق من الزجاج . وكان اتصال الانبوب بالشق محكماً كل الاحكام بواسطة الزفت والترينتين . فكان كل ما يفرزه جسم سيجان من عرق او غيره ، يبقى في الكيس ، الاً ما يخرج من رثته عن طريق التنفس ، فكان الهواء الذي يفره ينتقل في الانبوب الى الانبيق الزجاجي ، لكي يحلل تحليلاً دقيقاً

وكذلك ترى ان لافوازييه كان يبحث حينئذ في افعال التنفس والافراز . فكان يزن بأدق الموازين في فرنسا ، سيجان قبل دخوله الكيس وبعد خروجه منه ، والهواء الذي يفره والكيس قبل التجربة وبعدها . وكان لافوازييه يثق بموازينه ثقة عمياء . ولكن لم يتح له ان يتم هذه التجارب . ذلك انه وهو يراقب زميله ويعلي على زوجته ، فتح الباب فجأة ، فتحاً عنيفاً ودخل رجل يرتدي على رأسه قبعة الثوار وتبعه جنود المحكمة الثورية ، ومن ورأهم جمهور صاحب . كان الرجل على رأس الداخلين مارا Marat « صديق الشعب » كما لُدَّ له ان يدعو نفسه . فواقعت عينه على لافوازييه حتى صاح بالعالم مشهراً به ، داعياً اياه صديق الملك عدو الشعب ، منادياً بالقوم ان الرجل جدير بأن يشنق على عمود مصباح

وكان لافوازييه قد غاظ هذا الرجل من قبل ، اذ حاول هذا ان ينتخب عضواً في اكلادمية العلوم ، فأثبت لافوازييه ، ان الرجل ليس كفوءاً من الناحية العلمية لهذا الشرف العظيم وتقدم مارا فقرأ على لافوازييه الوثيقة المشتملة على قرار القاء القبض عليه . فأصغى اليها العالم في طأئنة ، وتقدم الى زوجه يودعها الوداع الاخير ، والى صديقه سيجان ، فالتى اليه بمذكراته العلمية ليحتفظ بها . ثم سار مع الثوار

وفي مايو سنة ١٧٩٤ دعي امام اللجنة المالية في محكمة الثورة فحكم عليه ، وحاول بعض اصدقائه التوسط لاخلاء سبيله ، فذكر احدهم رئيس المحكمة ، بان لافوازييه من اعظم رجال العلم ، وانه انفق خير سني حياته في خدمة بلاده ، فردَّ عليه الرجل بلسان من نار : « ليست الجمهورية في حاجة الى العلماء »

وكان الحكم عليه بالاعدام وليس لذلك الحكم مرد . فنقل في عربة الى ميدان الثورة ، وحزت عنقه مع ستة وعشرين آخرين فكان هو الثالث وكان جموه الرابع . فقال العالم لاجرائج الرياضي الشهير ، حينئذ « لقد استغرق حز عنقه دقيقة من الزمان او بعض دقيقة ، ولكننا قد محتاج الى قرن كامل قبل ان ننجب عالماً آخر مثله » . وكذلك لقي لافوازييه — اعظم مجد في علم الكيمياء — حتفه . وانت لو بحثت عن مدفنه اليوم ، لما عثرت عليه ، لان جثته ضاعت ، في تلك الفترة المحومة قبل ذلك بشهر واحد كان بريستلي ، الكيماوي البريطاني ، وند لافوازييه وصديقه قد فر من وجه الاضطهاد في بريطانيا . ولكن بريستلي ، كان قد اتم عمله او كاد . إما لافوازييه ، فاعدم وهو لا يزال اكمل ما يكون عقلاً واخصب ما يكون انتاجاً علمياً . ونحن اذا تطلعنا الى مدى قرن

ونصف قرن من تطور العالم ، حكمنا بان اعظم جريمة ارتكبت في خلال الثورة الفرنسية ، انما كانت اعدام لافوازييه ، لا اعدام الملك لويس السادس عشر

كان القرن الثامن عشر ميداناً لجهاد طائفة من الكيماويين يشتغلون بالبوتقة والانبثق والميزان ، فيجمعون الحقائق حتى كثرت كثرة تحتاج الى تنظيم وترتيب وادماج في صلب فلسفة كيمائية عامة . ولكن الضربة الكبرى التي صدت تقدّم الكيماء نحو هذا الغرض ، هي انظرية « الفلوجستون » كانت المحك ، الذي تمتحن به كل حقيقة كيمائية جديدة . فالفلوجستون ، كان في نظرهم « عنصر الاحتراق » وكل مادة كانت مركبة من هذا العنصر ، وعنصر آخر ماءً كان او تراباً او حامضاً . فدنى الاحتراق في أية مادة من المواد ، مرهون بمقدار ما فيها من عنصر الفلوجستون . والاحتراق انما كان ، انطلاق الفلوجستون ، من المادة المحترقة . وقبض لهذه النظرية رجال وسّعوا نطاقها ، فأصبحت المبدأ الاساسي ، في نظر علماء القرن السابع عشر ، لكل تفاعل كيماوي . ولما قيل لهم كيف ينقل الجسم المحترق مع ان شيئاً يخرج منه بحسب قولكم ، قالوا الفلوجستون يخفف وزن الجسم اذ يكون فيه فاذا خرج ثقل ذلك الجسم ! وهو من ابدع الامثلة على مدى ما يذهب اليه العقل البشري من العنت في سبيل تأييد فكرة سابقة

فلما ظهر لافوازييه كانت الكيماء في حاجة الى تجديد ، لشدة ما أصابها من الركود بتمسكها بنظرية الفلوجستون فدوى صوته في المعامل والاندية العلمية ، وكان لكلامه وقع كبير ، لبراعته كعالم ، ومقامه في محافل السياسة . فكان بذلك اكبر داعية للكيماء الجديدة ، ولم يذهب صوته صرخة في وادٍ . قال فيه لينغ الكيماوي العظيم : « لم يكتشف لافوازيه جسماً جديداً ، ولا خاصية جديدة ، ولا ظاهرة كانت من قبل مجهولة . ان مجده الخالد قائم على انه نفخ في جسم العلم روحاً جديدة »

كان عقله صافياً منظماً ، لانه نشىء تنشئة علمية ، في الرياضة والطبيعة . وكان والداه يرغبان في ان يدرس القانون ، ليلبغ في حكومة بلاده أعلى المناصب ، التي كادت تكون حينئذ وفقاً على الاشراف ومن اليهم . ولكنه انصرف الى العلم . ذلك ان رجلاً يدعى « غيوم روبيل » Rouelle وكان معيداً في حديقة النباتات — ترك في نفسه أثراً عظيماً . وكانت العادة قد جرت ، ان يحاضر استاذ الكيماء في النظريات والمبادئ من دون ان يجرب تجربة ما . وكان استاذ الكيماء في ذلك المعهد رجلاً يدعى بوردليه ، فكان يلقي محاضراته ، ويختتمها بقوله « ياسادة هذه هي المبادئ . واني اترك للمعيد ان يبرهن عليها بتجاربه » . فاذا خرج بوردليه ، دخل روبيل ، فيستقبله

الطلاب بالتصفيق . وكان كرام باريس يحيئون لسماعه . وعندئذ يشمر عن ساعديه ، وينصرف الى تجربة التجارب البارة ولكن التجارب كانت تنقض مبادئ الاستاذ بدلا من ان تؤيدها . كل هذا ولافوازييه جالس مع الجلاس ، وهو مأخوذ ، كأنما يرقية ساحر . ولم ينس في حياته قط ، كيف تهمس رويل ذات يوم ، فزرع شعره العاري وعلقه على اناء قربه ، ثم خلع صدرته وخرج من الغرفة مسرعاً ، يبحث عن احدى الادوات التي نسيها ، ولكنه لم ينس ان يمضي في محاضرته في خروجه من الغرفة وايابه اليها

وفي احدى الرحلات العلمية التي رحلها لافوازييه لقي لينيوس المواليدي الاسوجي العظيم ، فقرر قراراً حاسماً ، ان يجعل العلم طلبته في الحياة

وكذلك اكب لافوازييه على البحث . فكان يقضي يوماً كاملاً كل اسبوع في معمله لا يخرج منه ، وعلاوة على ذلك كان يعمل في فرنه الكيماوي ، كل يوم من الساعة السادسة صباحاً الى التاسعة ثم من الساعة السابعة مساءً الى العاشرة . وما كان يبيع لنفسه مسرة الاكل الهنيء . فجعل قوام غذائه اللبن والخبز ، توفيراً للوقت . فكتب اليه احد اصدقائه حينئذ في استعلاء الحكيم المخدر قائلاً : « انني اتوسل اليك ان ترتب دروسك على اساس ان سنة واحدة تزداد الى عمرك خير لك من مائة سنة في ذاكرة البشر »

ولكن لافوازييه كان يعمل مدفوعاً ، بحب الامتحان والكشف ، لا يفكر في الحاضر ولا في المستقبل . والتاريخ لا يهمل على الاطلاق ، طال الزمن ما طال ، رجلاً اخلص للحقيقة ومن يجهل لافوازييه من طلاب الكيمياء الآن !

ما أشرف لافوازييه على الخامسة والعشرين من عمره ، حتى كانت رسائله العلمية ، قد بلغت اكاديمية العلوم ، وكانت موضوعاتها متباينة من التنويم المغناطيسي الى صنع كراسي للعرض واستنباط اساليب لانارة شوارع باريس . وما لبث ان نال ما هو جدير به من المقام اذ انتخب عضواً في ذلك الجمع الجليل . وفي خلال ذلك تعرف رجل يدعى بولز Paulze من الاشراف ، فكان يثوب الى داره حيث يجتمع با كبر الرجال مثل لايلار العالم الفلكي العظيم — صاحب النظرية السديمية — وفرنكن العالم والسياسي الاميركي ، وكوندورسه الرياضي والاديب ، وترجو الاقتصادي الفرنسي المعروف . وما لبث ان تعرف الى ابنة بولز فأحبها وأحبته ، وشجع والدها تمكين الصلة بينهما ، لان لافوازييه كان من اجدر الشبان الفرنسيين بالزواج من ابنته . فلما تزوجا اصابا في الزواج نعمة ، مكنت لافوازييه من متابعة مباحثه العلمية

وكان اول بحث كيميائي قام به لافوازييه تحليل الجبس . ثم حول براعته في التجربة العلمية ،

الى مهاجمة تلك الفكرة القديمة القائلة ، بان المياه تتحول الى تراب وصخر . كان طاليس الفيلسوف اليوناني قد قال هذا القول ، وارجع جميع الكائنات الى مصدر واحد هو الماء . فخاراهُ الناس الى اواخر القرن الثامن عشر ، وقالوا ان التراب والحجارة تتولد من الماء بالتبخر . وكانوا قد أقاموا الحجة على ذلك ، باخذ الماء في اوعية ، وغليه حتى يتبخر ، فاذا هو يترك في قعر الوعاء مادة ترابية قائمة ، فقالوا لا شك انها تولدت من الماء ! وادهى من ذلك تجربة رجل يدعى فون هلمونت . اخذ صعدة من الصفصاف وزن خمسة ارطال ، وغرسها في اناءٍ يحتوي على مائتي رطلٍ من التراب . وكان قد جفف التراب ووزنه قبل غرس الصعدة فيه . وترك الصعدة في الاناء خمس عشرة سنة ، لا يغذيها الا بالماء . فاصبحت الصعدة شجرة ، وزاد وزنها من خمسة ارطال الى ١٦٩ رطلاً . ولكن وزن التراب في الاناء لم ينقص الا اوقيتين . أليس هذا برهان على ان الماء قد تحول الى مادة جامدة في الشجرة وزن ١٦٤ رطلاً !

لكن لافوازيه ادرك وجه الخطأ في هذا الكلام . فقال ما زالت فائدة الكيمياء ودقتها تتوقفان على الوزن الدقيق لجميع المواد الكيميائية المستعملة في التجارب ، فاننا لا نغلو مهما بالغنا في التدقيق حين وزن هذه المواد

فاستعار من دار ضرب النقود الفرنسية ، ادق موازينها واخذ وعاءً زجاجياً ودقق في تنظيفه كل التدقيق ثم صب فيه قدراً معيناً من الماء قطره في وعاء آخر كان قد نظف كذلك ووزن . وكذلك وجد كما كان يتوقع ، مادة ترابية قائمة في قعر الوعاء الزجاجي الاول . ثم وزن الوعاء الاول بما فيه التراب ، وطرح منه وزن الوعاء نفسه فعرف وزن التراب . ثم وزن الوعاء الثاني بما فيه الماء وطرح منه وزن الوعاء نفسه فعرف وزن الماء . ثم قابل وزن الماء المقطر ووزن المادة الترابية بوزن الماء قبل تقطيره ، فوجد الوزنين متعادلين . واذاً فالمادة الترابية جاءت من الماء — لا ريب في ذلك

ولكن . . . هل كانت هذه المادة الترابية محمولة في الماء ، او هي ماء تحول الى مادة ترابية ! أخذ انيقاً زجاجياً معقوف العنق . ووضع فيه قدراً معيناً من ماء المطر المقطر وسدّ فنتحه . ووضع الانبيق على النار ، وترك الماء المقطر يغلي فيه مائة يوم متواصلة وبعد مائة يوم ، رأى في الماء بضع دقائق جامدة لم تكن هناك قبلاً . ثم وزن الانبيق وما فيه . فلم يجد انه نقص وزناً . ثم وزن الماء المقطر ، من دون الدقائق التي رآها فيه . فوجد ان وزنه لم يتغير . ثم وزن الانبيق وحده من دون الماء او الدقائق المذكورة ، فوجد ان وزنه نقص نقصاً يسيراً . ثم وزن الدقائق الجامدة ، فوجد وزنها ، يعادل النقص في وزن الانبيق

ليس لهذه الحقائق الاّ تعليل واحد . الدقائق ترجع الى زجاج الانبيق . اما الماء فلن يتحول الى تراب . وكذلك قضى لافوازيه بميزانه ، على فكرة خاطئة طال عليها القدم

ولكن فكرة الفلوجستون ظلت تقلق باله . فخللها وشرحتها ووجدتها لا تستقيم ، ولكنه في تسرعه اقترح فكرة اخرى تحل محلها ، اذ أخذ بفكرة « الحرة » Caloric مجارياً قول من قال ان الحرة سيال خفي . بيد ان القول « بالحرة » لم يقنعه وانما هو قال بها لينقذ الكيمياء من سخف الفلوجستون فوقع في سخف آخر . وظلت ظاهرة « الاحتراق » تسترعي عنايته ، وهو لا يرى في الحرة تعليلاً لها . فصمم ان يصرف جهده الى البحث في الاحتراق وتعليله . فقال : « يجب ان لا نقع بشيء الا بالحقائق . فالطبيعة ، تقدمها لنا وهي لا تخدع . وعلمنا ان نخضع تفكيرنا في كل حال لامتحان التجربة . ففي حال الاشياء التي لا ترى ولا تحس يجب ان نحذر من قفزات الخيال الى ما وراء حدود الحقيقة » ولما كان غنياً ، لا يرهقه الانفاق لم يضن بمال او مجهود على توفير اسباب البحث

وبعد سنوات من البحث وصل الى نتيجة . فقام الى مكتبه وكتب مذكرة بعث بها الى اكلاديمية العلوم ، وطلب ان تطل مطوية الى ان يتم التجارب التي بين يديه . في هذه المذكرة قال : —
اكتشفت من اسبوع ان الكبريت يزداد وزناً عند احائه . وكذلك الفسفور . فهذه الزيادة في الوزن صادرة من مقدار كبير من الهواء . واني لمقتنع ان الزيادة في وزن الاكسيد (كان لهذه المركبات اسم خاص حينئذ لان الاكسجين لم يكن قد كشف) يرجع الى السبب نفسه . ولما كان هذا الاكتشاف من اهم ما كشف بعد بخر Becher رأيت من الواجب علي ان اضع هذه الرسالة بين يدي سكرتير الاكلاديمية على ان تبقى سرّاً حتى انشر نتائج تجاربي »

وكذلك استطاع لافوازييه ، ان يثبت لنفسه حق التقدم في هذا الاكتشاف الخطير كان ذلك في اول نوفمبر سنة ١٧٧٢ . لم يكن بريستلي ، حينئذ . قد وجه أشعة الشمس الى الزئبق الاحمر (اكسيد الزئبق) وكان الاكسجين ما يزال من مكنونات المستقبل . ومضى لافوازييه ثلاث سنوات يبحث عن سر النار او عن حقيقة الاحتراق

وفي اكتوبر سنة ١٧٧٤ ، جاء بريستلي الى باريس ، وزار لافوازييه في معمله ، وبسط له نتائج مباحثه ، وكان ما كيه Macquer يقوم ما اعوجج من رطانة بريستلي الفرنسية . فلما اطلع لافوازييه على تجارب بريستلي ، واكتشافه « للهواء الخالي من الفلوجستون » ، قام في الحال الى معمله ، وبدأ تجربته الشهيرة التي دامت اثني عشر يوماً . قال في وصفها : —

« اخذت حوالة زجاج سعتها ثلاث اقدام مكعبة ، وعقفت عنقها ، حتى اتمكن حين وضعها على النار ، من ان اجعل عنقها في حوض من الزئبق ، ووضعت في الحوالة اربع اوقيات من الزئبق النقي . ثم اشعلت النار وحفظتها مشتعلة مدة اثني عشر يوماً . فلم يحدث شيء يستدعي النظر في اليوم الاول . وفي اليوم الثاني ، ظهرت حبيبات حمر على سطح الزئبق في الحوالة . وزاد عدد

الحبيبات وحجمها في الاربعة الايام التالية ، ووقفت هذه الزيادة بعد ذلك . وفي اليوم الثاني عشر اطلقت النار »

ثم فُصِّصَ الهواء الذي خرج من الحوجلة فاذا حجمه خمسة اسداس ما كان عليه قبل الاحماء ولا يصلح للتنفس ولا للاحتراق . فاذا وضعت فيه الحيوانات بضع ثواني اختنقت . واذا وضع فيه عود مشتعل انطفأ . ونحن نعلم الآن ان الخمسة الاسداس الباقية من الهواء كانت نتروجيناً . ثم اخذ جميع الحبيبات التي تكوَّنت وأحماها في أنون ، فتحوَّلت الى حبيبات من الزئبق الصافي وثنائي بوسات مكعبة من الغاز . وجرب هذا الغاز ، فاذا هو من افعل ما يكون في صلاحه للتنفس وللاحتراق . ذلك الغاز كان الاكسجين فدعاهُ كذلك — ومعناه مولد الحموضة — لأنه ظن خطأ أنه يدخل في تركيب جميع الاحماض

وكذلك تقدَّم لافوازيبه بتفسير جديد للاحتراق من دون « الفلوجستون » او « الحرّة » . نعم كان ليوناردو ده فنشي قد ذهب في القرن الخامس عشر الى ان « النار تدمر الهواء الذي يغذيها » وكان براسلس قد كتب في القرن السادس عشر « ان الانسان يموت اذا حجب عنه الهواء » ثم قال روبرت بويل الانكليزي انه يظن ان في الهواء « مادة غريبة تجعل الهواء ضرورياً للاشتعال »

ولكن اي شأن للهواء في الاحتراق والتنفس ؟ كان رجل يدعى راي Rey قد قال ان الزيادة في وزن جسم يحترق تأتي من الهواء وفسر ذلك بحسب مبدأ الفلوجستون فقال ان الحرارة تجعل الهواء لاصوقاً فيختلط بالمواد كما يمتزج الماء بالمواد المحلولة فيه ثم جاء لافوازيبه . فبسط التجربة للاكاديمية في باريس . ولكنه لم يذكر بريستلي في ذلك البسط ، وهو مما يؤخذ عليه ، مع انه اعترف بدينه لبريستلي في مواطن اخرى

قال لافوازيبه ، ان الاحتراق هو اتحاد الشيء المحترق بالاكسجين — والاكسجين هو الاسم الذي اطلقه لافوازيبه على الغاز الذي اكتشفه بريستلي كما قدّمنا . وان وزن الجسم المحترق وما ينتج عن الاحتراق ، يزداد بمقدار ما يتحد به من الاكسجين . تعليل بسيط . لافلوجستون ولا حرّة ولا شيئاً مما يزعمون . وها هي ذي شهادة ادق الموازين في اوربا تؤيد ما يقول !

من النافل ان اقول ان لافوازيبه لقي خصومة شديدة من علماء عصره حتى ان بعض زملائه اشترك في التآمر على حياته ، فراح ضحية النطع ، ولكن رأيه الجديد احرز النصر ، وتأيدت بالابحاث التي تلت . فاسمه خالد على مرّ العصور ، تحيط به هالة من المجد ، تستمد لمعانها من انه فتح في « الكيمياء روحاً جديداً » على حد قول لينغ

البرق والرعد

للشيخ فؤاد باشا الخطيب

أيها البرقُ إن بلغتَ الشَّامَا حيَّ عني قصورَها والخيامَا
أنتَ نعمَ الرسولُ يُحمَلُ شُجوي حينَ لا يَأْمَنُ الأَنَامُ الأَنَامَا
تَفَخَّتْ فيكَ آيَةُ العِلْمِ رُوحَاً خوَّلْتُكَ البَيَانَ والأَلْهَامَا
وأَفَاضَتْ عَلَيكَ سِحْرَ حَلَالَاً كَانَ فِي الغَابِرِينَ سِحْرَ حَرَامَا
رَكِبُ السِّلَكِ تَارَةً ، وَأَوَانَا تَطَا الرِّيحَ وَائْبَاً وَالْغَمَامَا

قُلْ لِمَنْ يوجِفُ الرِّكَابُ خَفَافَاً وَلِمَنْ نَاءٌ بِالْخُطُوبِ جِسَامَا
وَمِحْ أَمْسِي إِنْ كُنْتَ أَهْبَطُ رَمْسِي نَازِحَ الدَّارِ مُوجِعَاً مُسْتَهَامَا
يَوْمَ يَسْرِي القَضَاءُ بِالنَّفْسِ رَمِيَاً مِثْلَمَا (الْأَرْضُ) تَجْذِبُ الْأَجْسَامَا

كَرَّةٌ تَنْهَبُ الْفَضَاءَ وَتَطْوِي فِي مَدَاهِ الْقُرُونِ وَالْأَعْوَامَا
تَتَرَاى (وَالشَّمْسُ) دُونَ مُنَاهَا دَوْرَانَا مِنْ حَوْلِهَا وَهِيَامَا
كَفَرَّاشٍ يَحُومُ حَوْلَ لَهْيٍ أَجَلُ سَاقِهِ إِلَيْهِ خَامَا
ذَاتُ وَجْهَيْنِ يَشْهَدَانِ عَلَيْهَا كُلَّ يَوْمٍ نَهَارَهَا وَالظَّلَامَا
فَهِىَ مِنْ جَانِبٍ تَكُونُ ضِيَاءُ وَهِيَ مِنْ جَانِبٍ تَكُونُ قِتَامَا
كَوُجُوهِ الْمُنَافِقِينَ وَأَشَقَى مِنْ جِوَارِ الْمُنَافِقِينَ مَقَامَا

نَسَجَتْ مِنْ غَلَائِلِ النَّبْتِ بُرْدَاً وَاسْتَعَارَتْ مِنَ السَّحَابِ لِنَامَا
وَتَرَاءَتْ فِي ظَاهِرٍ مُطْمَئِنٍّ تَحْتَهُ النَّارُ تَسْتَشِيطُ ضِرَامَا
كَبْنِيهَا أَوْ أَنْ حَقْدَ بَنِيهَا فَوْقَ مَا أَضْمَرَتْ جَوَى وَانْتِقَامَا

تَنْفُثُ الْغَيْظَ مَارْجَاً وَدَخَانَا فَتَشَقُّ الْوَهَادَ وَالْآكَامَا
وَتَبُثُّ الَّذِي انْطَوَى مِنْ لَهَا سَحْبًا رَّهَةً وَسَيْلًا رُكَامَا

ضجّ منها صعيدها وقديماً
تحدود الباكين سحّ عليها
ولكم سدّد القضاء إليها
نذر كل فترة وعظمت
خدّته السيول عاماً فعاماً
مهرق الدمع صيباً وسجّاماً
من خلال (المنشآت) سهاهما
أذن الله أن تمرّ ليلاما

إيه (يا أرض) يوم كنت خلاء
فتململت وحشة وانفراداً
فتمخضت بالزواحف لهواً
طلعة غنة وجسم دميم
هل أحسّ الحطام فيك الحطاما
وتغللت في الوجود اقتحاما
لك تنساب في العراء سواما
يصف القبح هامة وسناما
نخطوط الوليد أول عهد
عرف الخط فيه والأقلاما

نشأت ثم اعقبت ثم بادت
وولدت الأنام بعد ليال
فشهدت الحياة يوم استهلّت
جئت سقطاً بهم وطال عليهم
أفضاء ولدتهم واضطراباً
لست أدري ولتيني كنت أدري
فسل المحي كيف يطعم منها
راض هوج الرياح حتى امتطاهها
واستباح البحار فوق جوار
خضع العلم في يديه ولكن
وقطعت الصلات والأرحاما
ثقلت وطأة وشطت مراما
فيك واستقتلت عليك زحاما
أمدّ ينشدون فيه التاما
بعد لأي أم شهوة ووحاما
كيف ذقت المخاض والآلاما
بسلام؟ وأين يبغى السلاما
دُلاًّ أسلست إليه الزماما
منشآت تُطاول الأعلاما
مسخ العلم فتنة وأثاما

فانفري ما استطعت أيتها الأرض
فانقصي منه ذرة أو فزيدي
مسك بالوجود علواً وسفلاً
كنت بالأمس شعلة أو سديماً
ض فبهات ترغمين النظاما
وانظري كيف ينسف الاجراما
قدرة الله سخرته خطاما
فاحذري البدء أن يكون ختاماً

نظرية الكونتم

The Quantum Theory

وما لها من الشأن في تفسير بعض خواص الجاذبية

لنقول الحار

تُعَدُّ نظرية « الكونتم » ^(١) من أهم مكتشفات النظريات العلمية الحديثة . وربما عدت قبل نظرية النسبية في الرتبة . وانشطين مكتشف ناموس النسبية يعترف بمقام اكتشاف الكونتم وبيجل مكس بلانك مكتشف هذه النظرية . على ان نظرية الكونتم ليست بغريبة عن محيط التصور العقلي كنظرية النسبية . فاعتقد ان هذا المقال على بساطته كاف لبسطها للقارئ ، حتى متى فهمها جيداً سهل عليه ان يفهم علاقتها بناموس الجاذبية — العلاقة التي سافرد لها مقالاً خاصاً في جزء تال . والجاذبية بالرغم من اكتشاف ناموسها الرياضي لا تزال اهم اسرار الوجود ولا تزال فيها قضايا غير محلولة . وربما كان بعضها مستحيلاً حله . وسافرد لهذه القضايا مقالاً آخر ايضاً مستأذاً محرر المقتطف ان يسمح ببرهنة بعض القضايا بالمعادلات الرياضية البسيطة . لانه مهما قل عدد الذين يستلذون المباحث الطبيعية الرياضية بين قراء المقتطف فهم في عهد نهضتنا العلمية الحالية عدد وافر يجب ان تراعى اميالهم وان تعرض لهم النظريات العلمية الحديثة عسى ان يكون لهم فيها آراء

اذا راقبت ساعة من الساعات الكبرى المنصوبة في ميادين القاهرة لكي يراها الناس عن بعد ترى ان عقرب الدقائق ثابت لا يتحرك ، كانه معطل . ولكن لا تمر دقيقة حتى تراه قد وثب بمنزل لمح البصر من خط الى خط آخر . وتمر الدقيقة وهو ثابت في مكانه ، ثم يثب فجأة الى خط آخر . وهكذا دواليك . وحاصل القول ان هذا العقرب لا يتحرك باستمرار على وتيرة واحدة بل ينظر الدقيقة ثم يثب وثبة تسجل دقيقة . كذلك اذا لاحظت عقرب الثواني في ساعتك الصغيرة تراه لا يسير باستمرار بل يقف مدة ثانية ثم يثب وهلم جراً

على هذا النحو تتعاقب الصور المتحركة في السينما فهي لا تتحرك حركة استمرارية بل كل صورة منها تقف هنيهة قصيرة جداً اتجاه « الشاشة البيضاء » ثم تنتقل بسرعة فائقة وتحل محلها الصورة

(١) تترك للمجمع اللغوي العالمي ان ينحت لنا لفظاً يرادف الكونتم الذي سيتضح ماذا يراد به في غضون هذا المقال

التي تليها وتقف هذه بدورها الهنيئة نفسها ثم تنتقل لتحل أخرى محلها — هكذا على نحو انتقال عقرب الساعة كما شرحناه آنفاً. وإنما الصورة المتحركة تنتقل بسرعة في هنيهات قصيرة جداً هي اجزاء صغيرة من الثانية. ولذلك لا نلاحظها كما نلاحظ عقرب الساعة

اية حركة في الكون على الإطلاق كأننا نوعها ما كان لا تكون حركة استمرارية كما تتراءى لنا بل هي حركة متقطعة قطعاً متساوية يمكن تحقيقها بالوسائل الامتحانية. وبين كل قطعة وأخرى فترة. فهي بعبارة أخرى سلسلة وثبات تتخللها فترات سكون متساوية المدة

وهو معلوم ان الحركة نتيجة فعل القوة في المادة. او بعبارة اصح: القوة تتجلى لنا في مادة متحركة. فاذا كانت الحركة متقطعة الى وحدات معينة كما رأيت فلا بد ان تكون القوة نفسها (التي هي سبب الحركة) صادرة في نبضات متوالية، اي انها ليست كما تتراءى لنا تياراً مستمراً. وكل نبضة من القوة تحدث في الجسم المتحرك بها وثبة. وبين كل نبضة وأخرى هدنة — هذا هو المراد بالكونتم Quantum اي هو وحدة القوة الصغرى كما ان الجوهر الفرد Atom (او الذرة كما اصطلح على تسميته حديثاً في مصر) هو الوحدة الكيميائية الصغرى، وكما ان الكهرباء هي الوحدة الكهربائية. والمراد بالوحدة الجزء الاصغر الذي لا يتجزأ. والمركبات تتألف من عدد صحيح من الوحدات كاملة بلا كسور خذ مثلاً دقيقة الماء فهي مؤلفة من ثلاث ذرات احداها ذرة اوكسجين والاخران ذرتا هيدروجين. ولا يمكن ان تتألف من ذرتين ونصف ولا من ثلاث ذرات ونصف اي ان كسور الذرة لا يمكن ان يدخل في حساب الجزيء Molecule الواحد. كذلك ذرة الهيدروجين تؤلف من بروتون واحد Proton وكهرب واحد Electron كاملين. ولا يمكن ان تتألف من صحيح وكسر على هذا النمط تصدر القوة في وحدات كاملة. ولا يمكن ان تصدر وحدات وكسور الوحدات. فوحدة القوة او الطاقة (كما اصطلح على تسمية Energy) هي الكونتم — جزء الطاقة الاصغر الذي لا يتجزأ. ولكي نعرف كيف تحدث الحركة (اية حركة بلا تخصيص) متقطعة بشكل وثبات متساوية المدة (كوثبات عقرب الساعة) يجب ان نتعرف كيف تنبض القوة نبضات متوالية تباعاً في فترات متساوية مثال ذلك حركة الترام الكهربائي: — يسير الترام بقوة دوران المحرك Motor الكهربائي الذي فيه. وهذا يدور بقوة التيار الكهربائي السائر في اللفافة السلكية التي حوله. وهذا التيار سائر بقوة المحرك الاول الذي في معمل توليد الكهرباء. وهذا المحرك الاول يدور بقوة المحرك البخاري Steam engine. وهذا يدور بقوة البخار المتمدد المنحصر في مرجله. والبخار يتمدد بقوة الحرارة الصادرة من اعتناق ذرات اوكسجين الهواء لذرات الكربون والهيدروجين في اثناء احتراق الوقود تحت المرجل... وهلم جرّاً

واذا شئنا ان نتبع القوة الى مصدرها الاصلي محجزنا عن الاهتمام الى ذلك المصدر اذ نبلغ الى حركة لا نعرف سببها. اي لانعرف المحرك فيها فنقف عندها حيارى. ولكن مهما ظهرت لنا الحركة

في صور مختلفة فاذا تتبعنا سلسلة القوات المؤدية اليها وجدناها فروعاً تلتقي كلها في سلسلة اصلية واحدة - رأينا في التمثيل الآنف ان بخار الماء يتمدد بقوة الحرارة الصادرة من احتراق الوقود . وهنا يسأل القارئ : ان كانت هذه القوة الحرارية التي صدرت في اثناء الاحتراق ؟ والجواب ان هذه القوة الحرارية كانت كامنة في مركبات الوقود الكيماوية المسماة اجمالاً كاربوهيدرات Carbohydrates ففي اثناء الاحتراق انحلت هذه المركبات الى مركبات أبسط وبأحلالها انطلقت هذه القوة الحرارية التي مددت بخار الماء ومن أين جاءت هذه القوة الى المركبات الكاربوهيدراتية ؟ - جاءت في اثناء نمو النبات بقوة التشعع الضوئي Radiation (كأشعة نور الشمس) . هنا اقتربنا الى أقصى مصدر للقوة وصار في امكاننا ان نبين كيفية ورود كل قوة من سلسلة التشعع وتحرك كل حركة في الكون بالقوة الصادرة من هذه السلسلة

القوة العضلية نتيجة احتراق تلك المواد الكاربوهيدراتية في الجسم الحي . قوة المياه المنحدرة نتيجة فعل الجاذبية الارضية . ولكن الذي رفع تلك المياه الى الاعالي مقاوماً فعل الجاذبية هو التشعع الحراري الصادر من الشمس فانه يحرر المياه ومدد بخارها فصار أخف من الهواء فارتفع . ولما برد هبط فأصدر قوة تساوي قوة التشعع التي مددت . فيما تقدم رأينا في استقصاء مصادر القوى الميكانيكية والعضلية وقوة المياه المتحدرة سلاسل هذه القوات تلتقي في سلسلة واحدة هي سلسلة التشعع Radiation . فلنر ، قبل ان نخطو خطوة اخرى في الاستقصاء هل هذا التشعع الذي هو شكل من اشكال الحركة حاصل صورة من صور القوة - هل هذا التشعع حادث بحسب سنة الكون

لكي نفهم الشيء اللازم لموضوعنا من خواص التشعع ندرس شيئاً عن النور ، لانه ضرب من ضروب التشعع ، وهو دائماً مقترن بحرارة ، والحرارة ضرب آخر من ضروبه . يصدر النور من اي جسم حامٍ اضعاف درجة الغليان كنور الشمس ونور اللهب ونور المعدن الحامي الى درجة الاحمرار (وأحياناً يصدر من الاجسام المفصصة ونحوها من غير ان تكون درجة الحرارة عالية) وإيتان بحثنا عن مصدر النور وجدناه في الذرة Atom . والذرة مؤلفة من نواة يدور حولها كهرب او كهارب معبأة كهرباء سلبية . والنواة اما ان تكون بروتوناً واحداً معبأً كهرباء ايجابية او مؤلفة من اكثر من بروتون وبعض كهارب . ولكن شحنتها الكهربائية موجبة دائماً

وفما تكون الذرة تحت عوامل التفاعل الكيميائي او عوامل التكهرب المختلفة يكون كهربها نارة مطلقاً قوة (او طاقة حسب الاصطلاح الحديث في ترجمة Energy) واخرى مسترداً ما فقده من الطاقة تبعاً لتلك العوامل . يطلق الكهرب قدراً من الطاقة لكهرب آخر ويسترد مثله من كهرب آخر كما سيتضح فيما يلي . واذا قضت الحال ان يطاق الكهرب طاقة ولم يوجد كهرب آخر محتاج اليها لكي يقتبسها منه مضت هذه الطاقة تشععاً في الفضاء . واذا اطلق الكهرب طاقة ولم يتيسر له ان يسترد مثلها من غيره لكي يكمل نقصه كان محكوماً عليه بالاندثار فتنتطلق الطاقة منه دفقات متتابعة .

وكل دفقة تسمى فوتوناً Photon . وكل كهرب يصدر عشرة آلاف فوتون تقريباً قبل ان يفنى كل موجة من امواج الطاقة المتشعة تشتمل على عدد عديد من الفوتونات . فطول الموجة وسرعة تموجها تتوقفان على العوامل التي شطت الكهرب الى شظاياه (الفوتونات) . وبالتالي تختلف التشععات وتتنوع من حيث عدد موجاتها الصادرة في ثانية ، ومن حيث طول موجاتها باختلاف تلك العوامل التي لا محل لشرحها هنا . وبين طول الامواج وعددها في الثانية من جهة وسرعتها من جهة اخرى نسبة ثابتة لا تتغير بحيث ان الامواج مهما اختلف طولها وتواترت موجاتها في الثانية تسير بسرعة واحدة . وسرعتها في الفراغ المطلق Vacuum ٣٠٠ الف كيلو متر في الثانية . وقد اصطلح العلماء على حرف c رمزاً عن سرعة النور ونحن نرمز عنه بحرف n (من نور) فاذا رمزنا عن عدد الموجات بالثانية بحرف ϵ وعن طول الموجة بحرف λ كان لنا $n = \epsilon \lambda$. وبناءً على هذه المعادلة او النسبة كان اطول الموجات اقلمها عدداً في الثانية واقصرها اكثرها عدداً وقد أحصى العلماء العمليون نحو ٦٠ جماعة من جماعات التشعع تسمى كل جماعة منها سماً Octave . (لما بينها وبين السلم الموسيقية من الشبه في بعض الخواص) . وجماعة التشععات النورية التي نغزها بألوانها السبعة هي احدى الستين جماعة التي نحن بصدددها . ولكن ال ٥٩ جماعة الاخرى لا نحس بها لانها خارجة عن دائرة قدرة بصرنا

كل هذه التشععات التي تصدر من الشمس وغيرها من الاجرام والاجسام ترد اليها جماعات وكل جماعة منها مشتملة على شعاعات مختلفة الموجات بالطول والتواتر Frequency اي بعدد الموجات في الثانية — كل هذه التشععات انما هي حاملة قوات (طاقات) صادرة من كهارب منفعة او مندثرة . ولكن هذه الطاقات ليست واردة بشكل تيار او مجرى جارٍ باستمرار . بل هي صادرة بشكل دقات متتابعة اي فوتونات Photons فاذا صادفت الدفقة الواحدة في طريقها كهرباً محتاجاً الى طاقة ليكمل بها نقصه انضمت اليه — كما يحدث في النقاط ذرات المواد النباتية الارضية فوتونات نور الشمس في اثناء النمو . وعلى هذا النحو يدخر النبات القوة او الطاقة لكي يأخذها الحيوان المغتذي بها ويصرفها في استعمال عضله او في آلاته

* * *

بعد هذا البيان صار سهلاً على القارئ ان يفهم كيف ان القوة او الطاقة هي (وحدات Quanta) منفصلة بعضها عن بعض ، غير متصلة بعضها ببعض . تصدر بشكل دقات كل دفقة هي وحدة غير قابلة التجزؤ بتاتاً — هي اصغر مقدار للطاقة . ولذلك سماها مكتشفها بلانك Quantum ومعناه «الكم الواحد» او المقدار الواحد . فاذا اصدرت الذرة Atom تحت اي فعل من الفواعل طاقة اصدرتها «وحدات» كاملة معدودة . واذا تلقت طاقة من الخارج تحت اي الفواعل تلقتها «وحدات» كاملة معدودة ايضاً . فالذرات من هذا القبيل كالاشخاص المتعاملين تجارياً . فهم يدفعون النقود ويقبضونها صحيحة على حساب اصغر نقد كالمليم المصري او السنتيم الفرنسي . فلا تجدد في اكياسهم كسور الملالييم او السنتيمات اذ لا وجود لها البتة . كذلك الذرة تصدر او تقبل «وحدة» من

الطاقة او عدة « وحدات » صحيحة . ولا يمكن ان تصدر او تقبل كسور الوحدة . مثل ذلك لو اشترت من بائع ورقة دبائيس ، تجدها تحتوي على عدد معين من الدبائيس ولا جزء دبوس فيها اذ لا فائدة منه . فالجزء وعدمه سيان

ولزيادة الايضاح ايضاً نمثل تمثيلاً آخر : الطاقة المتشعة اي الصادرة بشكل امواج متوزعة الى جميع الجهات لا تصدر كسائل يصب من ميزاب باستمرار او كنهر جارٍ بل تصدر دفقات مستقلة بعضها عن بعض كدفقات دلاء الناعورة « الساقية » . او بعبارة اخرى لا ترد الينا الطاقة من الشمس او من اي جسم آخر بأي قدر غير محدود كما يرد الينا الماء من الحنفية . بل ترد الينا بكميل محدود كما تقدم الينا كؤوس البيرا في الحانة كؤوس مترعة ، وكما يُقدم الينا التبغ لفافات (سكاير) ذات حجم ووزن محدودين . فلا نطلب في الحانة نصف كأس ولا نشترى نصف سيكارة او نصف رغيف وهنا يجب توجيه نظر القارئ الى حقيقة ذات شأن وهي ان وحدة الطاقة (الكونتم) ليست ذات قدر واحد في جميع اصناف التشععات بل يختلف قدرها في صنف واحد عنه في صنف آخر . اي لكل ضرب من ضروب التشعع « وحدة » من الطاقة خاصة به تتوقف على طول موجته وتواتر امواجه . يعني ان وحدات التشععات تختلف باختلاف امواجه في الطول او باختلاف عدد امواجه في الثانية (كما ان لكل عنصر من العناصر المادية ذرّة خاصة به تختلف عن اي ذرّة غيرها بالوزن وبقدر ما لها من خاصية الالفة الكيماوية)

بعبارة اخرى : ان وحدة الطاقة في اي صنف من اصناف التشعع تتوقف على طول موجة ذلك الصنف . وربما كانت هذه القضية تتضح جيداً اذا نظر القارئ الى مسألة تواتر الموجات Frequency اي العدد الصادر منها او المتتابع في كل ثانية . لان بين طول الموجة وتواتر الموجات نسبة ثابتة لا تتغير كما تقدم القول . ولما كانت كل انواع الموجات التشععية تسير بسرعة واحدة في الفراغ المطلق (٣٠٠ الف كيلومتر بالثانية) كان ولا بدّ انه كلما كانت الموجات طويلة كان عددها في الثانية اقل . والعكس بالعكس ، اي كلما كانت قصيرة كان عددها اكثر . فاذا كان طول موجة نوع من انواع الراديو او اللاسلكي ١٠٠ متر مثلاً كان عدد موجاته في الثانية = $\frac{300.000.000}{100}$ = ٣ ملايين موجة في الثانية . واذا كان طول موجة النور البنفسجي جزءاً من

٦ ملايين من السنتيمتر كان عدد امواجه = $\frac{300.000.000}{6.000.000}$ = ٥٠

موجة في الثانية . ان عدد موجات الاشعة السينية اكثر من هذا الرقم بكثير . وهناك ضروب من الاشعة السينية اكثر من هذا الرقم بكثير وهناك ضروب من الاشعة اكثر امواجاً منها ايضاً والآن فاذا كانت وحدة الطاقة المتشعة تتوقف على طول الموجة فبالتالي تتوقف على عدد الموجات ايضاً لما بين الطول و « التواتر » من النسبة كما تقدم . اي ان طول الموجة يشتمل على

معنى الكلمة، ولا تكون كل مسافة بين محطة ومحطة من محطات الوثبات قوساً بل هو شكل متعدد الاضلاع Polygon والمسافات بين المحطات هي اوتار في دائرة موهومة لا اقواس

ثم ان الكهرب يسير في فلك معين حول نواته بحسب سنة الجاذبية . فاذا قضت عليه بعض العوامل ان يتغير فلكه اي ان يصير اقرب الى النواة او ابعد فلا يقترب او يبتعد تدريجياً بل يثب وثباً من فلك الى آخر لان الافلاك مقررة حول النواة على ابعاد محدودة (وفي رأي بعضهم ان الافلاك المترامية اقرب بعضها الى بعض من الافلاك القريبة الى النواة) . فكان هذه الافلاك اثلام او اخاديد مستديرة حول النواة . والكهرب يسير في قعر الثلم ولا يستطيع ان يسير على حرفه الاعلى . فاذا وجب ان ينتقل من فلك الى آخر اضطر ان يثب وثباً من اخدود الى اخدود . فترى مما تقدم ان افلاك الكهارب حول النواة وحدات كمية (نسبة الى كم) ايضاً كدرجات السلم . فاذا رام الكهرب ان ينتقل فعليه ان ينتقل درجة كاملة اذ لا يستطيع ان يثب الى نصف درجة كما انك لا تستطيع ان تصعد على السلم الاً درجة فدرجة . ولا تستطيع ان تخطو جزءاً من الدرجة

فاذا كانت نظرية الكونم في دوران الكهرب حول النواة صحيحة فلا بد ان يكون سببها ان قوة الجاذبية (الجاذبة الكهرب الى النواة) تصدر دفعات متوالية . واعتقد انها كذلك . فقد ثبت بالفعل Practically كما ثبت بالراديو مثلاً ان الجو الجاذبي Gravitational field انما هو امواج من نوع الامواج الكهروطيسية كأمواج النور والراديو واللاسلكي . واذن فلا بد ان يكون تأثيرها في الكهرب متقطعاً متتابعاً كمتتابع الامواج . اي ان كل موجة تدفع الكهرب في مسيره دفعة

واذا كان الامر كذلك فلا بد ان يكون حكم الجاذبية في الاجرام كحكمها في الكهارب اي ان السيارات تسير في افلاكها حول الشمس وثباً حسب قانون « الكونم » . واذا كان الامر في السيارات هكذا فلا يمكن ان يكون فلك السيار دائرة متصلة مستمرة يمكن تقطيعها الى اقواس منحنية ، بل هي شكل متعدد الاضلاع Polygon وكل ضلع يمثل وثبة من وثبات السيار في فلكه واذا كان الامر كذلك — ولا بد ان يكون هكذا اذا كانت نظرية الكونم صحيحة — فاذن

ليس في الوجود حركة دائرية بكل معنى الدائرة . اي لا وجود للدائرة على الاطلاق الا في تخيلاتنا وفروضنا ورسومنا الهندسية على الورق . بل ان ما نسميه دائرة ليس الا شكلاً متعدد الاضلاع عديدها واذا صح هذا الاستنتاج ، واني لاخله صحيحاً للسبب التالي — يتصحح به عيب في برهان « قانون المسارعة » اي قانون ابتعاد فعل القوة عن المركز { Centrifugal } Force مع ان هذا القانون هو الركن الاساسي لناموس الجاذبية . يتصحح هذا العيب عن يد نظرية الكونم . ويتصحح به تجلي علاقة كبيرة بين الكونم والجاذبية . وسأفرد لهذا الموضوع مقالاً خاصاً الفتح اليه أنظار أهل العلم ولا سيما الذين تلذ لهم القضايا العلمية المسندة الى البراهين الرياضية . وسيرون ان هذا الموضوع ذو شأن كبير . ولا ادري ان كان أساطين علماء الغرب السابقين يراجل قد فطنوا اليه

الصحف البريطانية الكبرى

ومواقفها السياسية

في لندن تسع صحف صباحية توزع كل صباح نحو عشرة ملايين من النسخ . أما صحفها المسائية فثلاث ولا يزيد مجموع ما يوزع منها على مليون وثلاثة ارباع المليون من النسخ . ولكن صحف الصباح تنتشر في طول البلاد وعرضها . وعلى الضد منها ينحصر انتشار صحف المساء في العاصمة في الغالب . ويصدر في مدن بريطانيا الاخرى كيورك وبرمنغهام صحف على جانب عظيم من الرقي ، ولكن انتشارها محصور في المدينة التي تصدر فيها وما يجاورها تُستثنى من ذلك جريدة المنشستر غارديان . فاذا قلت صحف بريطانيا عنيت صحف لندن . وليس في هذا اي غضاظة على صحف الاقاليم . فثلاثة ارباع سكان انكلترا يعيشون في اماكن لا تبعد اكثر من خمس ساعات بالسكة الحديدية عن عاصمتهم العظيمة . حتى غلاسغو وادنبره وهما من مدن اسكتلندا في الشمال لا تبعدان عن لندن اكثر من ثمان ساعات بالقطار . وعلاوة على ذلك تطبع الديلي ميل في لندن ومنشستر نسختين متماثلتين نوفرأ للوقت في نقل النسخ من لندن الى المقاطعات الشمالية ، ومحاربيها الديلي اكسبرس بل وتوقعها لانها تطبع ثلاث نسخ متماثلة — على اختلاف محلي بسيط — في لندن ومنشستر وغلاسغو . فاجتماع هذه العوامل المواتية لتفوق الصحافة اللندنية ، يمكن كل انكليزي ان يكون امامه على مائدة الفطور كل صباح نسخة من الصحيفة اللندنية التي يؤثرها

يمكن تقسيم صحف لندن بوجه عام الى طائفتين . فطائفة تلدُ للسواد من الجمهور ، وطائفة تلدُ للأقليات . وتقدير مكانة كل من الطائفتين ليس بالامر اليسير ، ودونه صعب لا يستهان بها ، ولعل الاتفاق على تحديد معنى « مكانة » و « نفوذ » ليس اقل هذا الصعاب شأنًا . ولكن مما لا ريب فيه ان الطائفتين من الصحف ، قادرتان على التأثير في الرأي العام البريطاني ، في احوال مختلفة وبوسائل واساليب متباينة . ومع ذلك قد يكون من اصعب الامور الاتفاق بين كتاب هذه الصحف وفرائمها ، على مدى تأثيرها في نفوس الجماهير

من صحف لندن الصباحية ، ثلاث يمكن نعتها بقولنا « رزينة » و « ست » يمكن وصفها بقولنا « شعبية » Popular . فصحف الطائفة الاولى هي التيمس والديلي تلغراف والمورننج پوست ، وعدد ما يوزع من هذه الصحف الثلاث معاً قد لا يزيد على ٧٠٠ الف نسخة . (يقدر ما يوزع من التيمس بنحو ٢٠٠ الف نسخة وما يوزع من التلغراف بنحو ٣٠٠ الف نسخة وما يوزع من الپوست بنحو ١٥٠ الى ٢٠٠ الف نسخة) اما صحف الطائفة الثانية فهي الديلي ميل والديلي اكسبرس والديلي هيرالد ويقدر ما يوزع من كل منهما بنحو مليوني نسخة . ثم تليها « النيوز - كرونكل » ويقدر ما يوزع منها بنحو مليون ونصف مليون من النسخ ، ثم صحيفتان صغيرتا القطع مصورتان هما السكتش والميرور ولكل منهما انتشار واسع ولكن لم تحاول احدهما ان تفوز بمكانة سياسية ما . اما صحف المساء فهي « الايفننج نيوز » او « انباء المساء » ويقال ان انتشارها يبلغ نحو ٨٠٠ الف نسخة في اليوم وجريدة الستار Star او الكوكب وانتشارها يبلغ نحو ٦٠٠ الف نسخة وجريدة الستاندرد او العلم وانتشارها قد لا يقل عن نصف مليون من النسخ

اما اللون السياسي الغالب على هذه الصحف فهو اللون المحافظ . فصحف لندن جميعها محافظة الا الهيرالد فهي جريدة العمال و « النيوز كرونكل » وهي جريدة الاحرار . اما الصحف التي تصدر خارج لندن فيغلب عليها اللون المحافظ وليس بينها جريدة واحدة للعمال . واما المنشستر جارديان فلونها السياسي حرر وانما تميل الى قضية العمال وهي من صحف الاقاليم الوحيدة التي تباع جنباً الى جنب مع كبريات صحف لندن في جميع انحاء البلاد

ونحن نستطيع ان نقول بوجه عام ان الصحف الثلاث التي وسماها « بالرزينة » تحكماً بقصد التفريق في النزعة الاساسية بينها وبين الصحف الاخرى ، تؤثر في الرأي العام بواسطة مقالاتها الرئيسية التي تعرب فيها عن آرائها السياسية والاجتماعية . اما الصحف الشعبية فتعتمد في الغالب على ما تختاره من الانباء وتقدمه على غيره بواسطة عناوانات ضخمة تمتد احياناً على عرض الصفحة فيسترعي البصر ويصبح حديث القوم . ولنا في الصحف نفسها ما يؤيد هذا الفرق . فكل صحيفة من صحف الطائفة الاولى ، تنشر كل يوم ما يملأ نحو ثلاثة اعمدة من المقالات الرئيسية ، مكتوبة بأقلام أروع الكتّاب واعلمهم بموضوعاتها . حالة ان الصحيفة من الطائفة الثانية تكتفي بما يملأ عموداً واحداً وتعتمد فيه على المقالات القصيرة فقد لا تعدو المقالة الافتتاحية في موضوع واحد في الميل او الاكسبرس بضعة أسطر

تحاول الصحف الرزينة — ونعني التيمس والتلغراف والپوست والغارديان — ان تعرض لقرائها خلاصة عامة لحوادث اليوم داخل البلاد البريطانية وخارجها مع تعليق محرريها عليها ورأيهم

فيها. وهي تدعم انباء الشركات العامة ببرقيات مكاتبها الخصوصيين ورسائلهم. والصحف الشعبية تحذو حذوها ولكن الصورة اليومية التي تعرضها هذه الصحف ليست كاملة من حيث اتساق عناصرها كصورة الصحف الرزينة. فقد تعنى الميل او الاكبرس او غيرها بحادث من الحوادث يوماً ما او يومين، ثم تهمله اذ تنقص ما تنشره عنه فلا يزيد عن بضعة أسطر، لأنها وهي تحاول ان تستثير الرغبة العامة بانباء حوادث جديدة، ترى ان الحادث الذي مضى عليه يومان قد أصبح مبتذلاً لا يستحق عناية كبيرة. والصحف البريطانية بوجه عام اقل عناية بالانباء الخارجية من جريدة اميركية كالنيويورك تيمس مثلاً، ولعل سبب ذلك ان اتساع نطاق الامبراطورية البريطانية وتراحي اطرافها يجعلان على الصحف البريطانية تعيين مكاتبين خصوصيين لها في كل جزء من أجزائها وهذا يحول دون تعيين مكاتبين خصوصيين في كل مركز من مراكز السياسة العالمية خارج الامبراطورية البريطانية كما تفعل جريدة النيويورك تيمس فتعتمد على ما يبعث به مكاتبو شركات الانباء العامة

يضاف الى ذلك ان بريطانيا، لم تجر كمايركا على عادة تعرف بـ syndication اي الاشتراك في الانباء الخاصة. وهذا مما يقلل نفقات المكاتبين الخصوصيين. فأمركا بلاد مترامية الاطراف، والنيويورك تيمس قلما تقرأ خارج مدينة نيويورك وما يجاورها. لذلك تتفق النيويورك تيمس مثلاً مع صحيفة في انديانا بوليس واخرى في دنفر وثالثة في ملووكي ورابعة في نيو اورلينس وخامسة في سان فرانسيسكو، على ان تبيعها البرقيات التي يبعث بها مكاتبو التيمس الخصوصيين من روسيا واليابان ومصر وغيرها من البلدان. وكذلك تصيب الصحافة الاميركية عصفورين بحجر واحد. الاول نوعاً من الاشتراك والتعاون على تسديد نفقات المكاتبين وبرقياتهم. وثانياً سنوح الفرصة لصحف اميركا التي ليست من مقام النيويورك تيمس او الشيكاجو نيوز ان تنشر انباء العالم كما يرويها مكاتبون مشهود لهم بدقة الاطلاع وصدق النظر

ومن غرائب الاتفاق ان اصحاب الصحف اللندنية الرزينة التي ذكرناها، ليسوا من الرجال الذين لهم مطامح واغراض سياسية كلورد رودمير ولورد بيشر بروك. بل ان الرجال الذين يديرون هذه الصحف يشتغلون وراء ستار في صحفهم وقلما يعلم الجمهور عنهم شيئاً ولذلك لا يوحد القراء بين هذه الصحف واصحابها او رجال معينين يملون عليهم خطة خاصة بعينها بل يحسبونها معاهد عامة لا تخص فرداً دون آخر

لقد اجمع اصحاب الرأي ان «التيمس» في طليعة الصحف البريطانية، فمن المسلم به ان الجمهور في بريطانيا وخارجها يحسبها لسان حال الحكومة البريطانية، بقدر ما تستطيع جريدة مستقلة ان تكون لسان حكومة. ولكن هذا ليس السر الوحيد في مقامها العظيم. بل الانكليز يحسبونها معهداً بريطانياً، وينظرون اليها، من صفحة انباء السوق المالية الى احوال الجو الى برقيات المكاتبين

ورسائلهم الى المقالات الافتتاحية نظرهم الى التاج او البرلمان . والواقع ان صاحبي التيمس (الميجر آستر والمستر جون ولتر قد ادركا هذه الحقيقة ، فقطعا من تلقاء نفسيهما عهداً بأن لا يبيعا حصتهما في التيمس . الا بعد ان توافق على المشتري لجنة مؤلفة من خمسة من كبار رجال الدولة والتيمس — كسائر الصحف الرزينة — لا تزال جارية على عادة نشر الاعلانات الصغيرة على صفحاتها الخارجية وجعل الصفحتين الرئيسيتين المحتويتين على أهم الانباء والمقالات الافتتاحية في صفحتين متقابلتين من الطية الوسطى في الجريدة . وهي مقسمة تقسيماً تجري عليه سنة بعد سنة . فاذا اردت انباء ناحية من نواحي الحياة عرفت ان تجدّها فيها لانها قلما تغير مكانها . وهي تنشر في الغالب على صفحتها الرئيسيتين الانباء التي يبعث بها اليها مكاتبوها الخصوصيون الا كفءاً من نواحي الامبراطورية او سائر بلدان العالم . وقلما تنشر عنواناً لنبأ يمتد على اكثر من سطر واحد . ولحريها الحق في مطابقة رسائل مكاتبها وفقاً لنزعة الجريدة . ونحن لا نقول هذا بقصد ان نرمي محرري التيمس بتعديل الانباء وتشويهها وفقاً لرغائبهم ، ولكنك قلما ترى رسالة لمكاتبها في برلين ، او لمكاتبها في واشنطن من دون ان تتبين من خلال السطور ، رغم سرد دقيق للحوادث ، شكاً في فوائد الحكم الهتلري او نجاح خطط الرئيس روزفلت

اما الخطة الاساسية التي تجري عليها « التيمس » فهي تأييد الحكومة البريطانية القائمة . وهذه الحقيقة وحدها ، علاوة على ما للجريدة من المكانة الصحافية العالية ، كافية لاقناع الجمهور بان صوت « التيمس » انما هو صوت الوزارة البريطانية . وهذا هو الواقع في الغالب في ما يخص السياسة الخارجية . ولكنه لا يصدق كل الصدق على ما يرتبط بالشؤون الداخلية ومواقف الحكومة القائمة منها . ففي السنة الماضية كان الاتجاه في خطة التيمس الى نقد خطط الحكومة القومية المتصلة بالضرائب والمسائل المالية والنقدية

وانت اذا استقرت الصحف اللندنية ، وجدتها جميعاً تتكلم بصوت واحد في بعض المسائل الدولية المعيّنة ، فجميع صحف لندن مثلاً تؤيد نزع السلاح ، واعادة التجارة الدولية الى مجاريها القديمة . وتوثيق اواصر الصداقة مع الولايات المتحدة الاميركية ، وازالة الحواجز الجمركية ، ومقاومة النزعات الجديدة في نظم الحكم كالفاشية والشيوعية والنازية . وانما انت تقع على الاختلاف بين الصحف اللندنية في نظرها الى هذه المسائل ، عندما تفحص عن الوسائل التي تقرّها كل جريدة لتحقيق هذه الاغراض التي تتفق عليها جميعاً . عندئذ يصحّ عليها المثل الفرنجي القائل ما معناه : « الرأي المستقيم يا الهي هو رأيي انا » . فالمورنغ بوست ترى مثلاً انه اذا غالت بريطانيا في رفع الحواجز الجمركية ، كان ذلك افعال الوسائل واسرعها الى الاتفاق على الغائها جميعاً . اما المنشتر

فارديان فترى ان احتفاظ بريطانيا بحرية التجارة — ولا تنس ان اركان حرية التجارة البريطانية خرجوا من منشستر — كان افضى الى الغاية المطلوبة

وموقف التيمس من هذه المشكلة — اي مشكلة الحواجز الجمركية — هو موقف الوزارة اي القول بأن بريطانيا جرت في ميدان التجارة الحرة الى اقصى المدى ، فلم تجارها دولة من الدول المنافسة لها ، بل اغرقت اسواقها الداخلية ومنعت بضائعها من اسواق الدول التي تنافسها ، فعمدت الى اقل ما يمكن رفعه من الحواجز ، وهي مستعدة للاتفاق — أيًا كان — القائم على التبادل . وكذلك في ما يختص بمشكلة نزع السلاح . فالتيمس وتجاريها الصحف البريطانية تنزع الى وجوب خفض السلاح ، ولكنها ترى ان بريطانيا قد ذهبت في خفض السلاح الى مدى ابعد مما ذهبت اليه الدول الاخرى . وهذا هو رأي الوزارة البريطانية بالاجمال . ولا يبعد ان تجاري التيمس الحكومة البريطانية غداً اذا رأت الحكومة ان زيادة سلاحها هي افعال الوسائل للوصول الى اتفاق على خفض السلاح

ثم ان التيمس تستمد مكانتها في الحياة البريطانية العامة من كونها منبراً عاماً لكبار القوم . فاذا شاء رئيس الوزراء ، او رئيس اساقفة كنتربري او اي عين من اعيان الدولة ان يعرب عن رأي خاص في رسالة عامة ، فالغالب انه يبعث بهذه الرسالة الى التيمس أولاً

الى يمين التيمس — من الناحية السياسية — تجد صحيفه المورننغ بوست . وأصحاب الكثرة من اسهمها هم دوق نوردمبرلند والسر بري بايتس والسكرتين هورڤ . وهي جريدة مضت عليها مائة وستون سنة ، وهي تخشى ان تعرب عما تعتقد . لذلك تلمس فيما تكتبه احياناً لغمة من التحكم وهو ما ينتظر من صحيفة تعد لسان المحافظين المتطرفين . ومع ان مقالاتها الاخبارية تكتب بأفلام كتّاب بارعين وتعرض عرضاً يسترعي النظر ، إلا انها دون « التيمس » في كمال الصورة التي رسمها للحوادث العالمية . وانما هي تستمد قيمتها في رأي اصحاب الرأي ، من مقالاتها الافتتاحية الصريحة . فكتّابها في هذه الاعمدة لا يعرفون المواربة . وقد يندر ان ترى في المورننغ بوست نقاشاً في التهليل والتكبير للمبادئ او المنشآت الديمقراطية ، كما ترى احياناً في غيرها . وهذه الصراحة لا تترك مجالاً للشك في موقف المورننغ بوست من أية مشكلة من مشكلات الساعة ، فهي لذلك مفضلة في دوائر المحافظين المستميتين Die hards او المغالين في محافظتهم . ولما كان ذلك كذلك فمن المتوقع ان تراها معارضة للحكومة القومية في سياستها الهندية ، داعية الى ان خير دعائم السلامة اسطول بريطاني متفوق في قوته ، مؤيدة لزيادة الحواجز الجمركية ورفعها ، منددة بالزراعين الاشتراكية والدولية على السواء ، موافقة بتحفظ على فاشستية ايطاليا وهتلرية المانيا ، محبذة توثيق الروابط بين فرنسا وبريطانيا في معالجة شؤون البر الاوروبي

اما جريدة الديلي تلغراف فهي ثالثة الصحف اللندنية الرزينة . والرجل المسيطر عليها هو لورد كروز (كان اسمه السر وليم بري Barry قبل منحه لقب لورد) . ثم هو يملك مع اخيه السر غومر بري حصّة كبيرة في جريدتي الصندي تيمس والفيننشال تيمس وطائفة من جرائد الارياف وفي الشركة المعروفة باسم شركة الصحافة المندجة (أمـلـجـمـيتـد پرس) . ولورد كروز يُعنى عناية خاصة بالديلي تلغراف ولكنه لا يطلب الشهرة ، ولذلك فلما يعرف الجمهور شيئاً عما يدور وراء ستار في ادارة «التلغراف» فيحسبونها جريدة مستقلة لا لسان رجل غني

والديلي تلغراف مشهورة بأنها صحيفة الطبقة المتوسطة البريطانية ، تتصف بالدقة وحسن التبويب وبراعة الاخراج . ابتاعها لورد كروز وشقيقه من لورد برنهام (كان والدها قد انشأ الجريدة) من بضع سنوات فبدلاً مالا طائلاً في توسيعها وتقويتها . فلما خفضا ثمنها من بنسين (اقل قليلاً من قرش صاغ) الى بنس واحد (اقل قليلاً من نصف قرش صاغ) زاد ما يوزع منها من النسخ ثلاثة اضعاف . وهي جريدة محافظة ، ولكنها اكثر اعتدالاً في محافظتها من الديلي تلغراف ، ولعلها اقل اعراباً عن آراء الحكومة الرسمية من التيمس . وقد تحوّلت من عهد قريب الى الدعاية الى انشاء اسطول بريطاني كبير . ولكنها في الوقت نفسه تؤيد بوجه عام خطة الحكومة البريطانية في زع السلاح . ثم هي كالتيمس تحاول ان تهج نهجاً متوسطاً بين عزلة بريطانيا واشتباكها في شؤون اوربا السياسية . وتجاري معظم صحف لندن في مقاومتها لطراز الحكم الفاشستي كائنه صبعته ما كانت وتعارض في القضاء على النظام البرلماني البريطاني واقامة نظام آخر محلّه

هذا من حيث ما يتعلق بالصحف « الرزينة »

فاذا انتقلنا الى النظر في الصحف « الشعبية » انتقلنا الى عالم آخر . هنا نجد لكواكب الصور المتحركة مقاماً اعلى من مقام رجال السياسة . هنا « جرائم الغرام » تستأثر بالصفحات الاولى دون انباء مجاعة في الصين . ان جانباً كبيراً عن قراء هذه الصحف يبتاعونها لما تمنحه من الجوائز المالية الضخمة . او لان المشترك فيها يؤمن باشتراكه فيها على حياته ضد المرض او الموت بالحوادث الطارئة او العارضة . ونذكر اننا كنا في انكترا سنة ١٩٢٨ لما حدث اصطدام في سكة الحديد بين لندن وبريطن على ما نظن — فكلف هذا الحادث الديلي اكسبرس يومها نحو مائة الف جنيه ، دفعها لاهل الذين قتلوا في هذا الاصطدام من مشتركها . والديلي اكسبرس تندد بكل هذا ، ولكنها مضطرة الى مجارة الصحف الاخرى ، لكي تحافظ على سعة انتشارها ورغبة في ما تجنيه من الاعلانات التي تبني على سعة انتشار الجريدة في المقام الاول . وقد كانت الديلي ميل من نحو ١٢ سنة اوسع الجرائد اللندنية انتشاراً اذ بلغ ما يوزع منها نحو مليون نسخة وكان لها حينئذ نظام معتدل من التأمين المشتركين فيها . فلما زادت المبالغ التي تدفعها لمن يتمتعون بالتأمين بحسب هذا النظام زاد انتشارها

خارجها الصحف الأخرى . وكذلك أصبحت كل من الدايلي ميل والديلي اكسبرس والدايلي هيرالد توزع كل يوم نحو مليوني نسخة . ثم ان لكل من الصحف «الميل» و«الهرالد» و«النيوز كرونكل» طبعتين واحدة في لندن وأخرى في منشستر وأما الاكسبرس فلها ثلاث طبعات واحدة في لندن والثانية في منشستر والثالثة في غلاسغو

وأصحاب هذه الجرائد لهم مصالح مشتركة من الناحية المالية ، لأن بعضهم يملك حصصاً في صف البعض الآخر . وانما يصح ان نقول ان لورد رودز مير المسيطر على الدايلي ميل وما يتبعها (الايفنج نيوز وهي جريدة مساءية والصندي سباتش وهي جريدة أحدية) ولورد بيشبروك المسيطر على مقدرات الاكسبرس وما يتبعها (الايفنج ستاندرد : جريدة مساءية والصندي اكسبرس : جريدة أحدية)

وتحسب جريدة الديلي ميل الاولى من نوعها . انشأها الفرد هارمزورث (لورد نورثكليف وشقيق لورد رودز مير) في اواخر القرن الماضي . ولكنها مع ذلك — وهذا عجيب — هي الصحيفة الوحيدة من الطراز الجديد التي لا تزال محافظة على وقف صحيفتها الاولى على الاعلانات كالتمس والتغراف وغيرها . اما الاكسبرس والهرالد فتشيران اعم الانباء على الصفحة الاولى . اما ترتيبها فأحدث ما عرف في الصحافة الاوربية والاميركية ، اي انها تعتمد الى العنوانات الضخمة التي تمتد على عرض الصفحة احياناً وتزين مقالاتها بصور تتخلل الكلام . وهي محافظة اسماً ، ورجعية بلا رب . ولكنها تنهج احياناً مناهج خاصة بها ، فقد تراها في فترة ما موالية لفرنسا في انبائها ومقالاتها الرئيسية . ثم تراها في فترة أخرى تنزع الى عزلة بريطانيا عن الاشتباك في شؤون البر الاوربي . وهي الآن تضرب على وتر خاص بها ، فلما توافقها عليه صحيفة أخرى في بريطانيا وهو ان اعظم ضمان للسلام الاوربي هو عقد محالفة دفاعية بين بريطانيا وفرنسا . او قد تراها يوماً من الايام تندد بالحكومة لانها لا تقتصد في نفقاتها ولا تخفض الضرائب . وفي اليوم التالي ، قد تندد بخطة الدين التي تجري عليها الحكومة في الهند وتدعو الى الاحتفاظ بالهند كائنة النفقة او فداحة الضرائب ما كانت . وهي في الغالب تلخص نهجها السياسي في مسألة من المسائل ، بعبارة قصيرة لتعري النظر وترسخ في الازهان

ومع ذلك فلجريدة الديلي ميل نفوذ . فغناها يمكنها من استكتاب كبار الكتاب ، والوسيلة التي تعتمد عليها في تثبيت فكرة معينة في نفوس الناس ، بتكرارها ، تمنحها نفوذاً سيكولوجياً عظيماً . يضاف الى كل ذلك ان قراءها كثرون . ولما يقرأون غيرها ، لانهم من الطبقة المتوسطة غير المتعلمة تعليماً وافياً ، فيعرضون عن الصحف الرزينة لانها ثقيلة على طباعهم . ولعل أشهر مثل على مدى نفوذها ما نشرته عن رسالة قيل ان زينويف بعث بها الى العمال البريطانيين ليلة الانتخاب

البريطاني العام سنة ١٩٢٤ فشى الذعر في الناس وخشوا انتصار الشيوعية في بريطانيا ، فنال المحافظون اكثرية عظيمة في الانتخاب

والديلي اكسبرس محافظة كذلك ، ولكن منهجها المحافظ خاص بصاحبها لورد بيثبروك . وصاحبها رجل المعى الذكاء ، جم النشاط كان كندياً (اسمه ما كس ايتكن) فأثرى ثم أم بريطانيا فارتقى فيها الى مناصب الاشراف وشغل منصب وزير في وقت ما ، وكان له شأن كبير ، لعلاقته ببونارلو الزعيم المحافظ ، في أزمات السياسة البريطانية في اواسط الحرب الكبرى وبعيدها . ثم اتباع الاكسبرس فجعلها في مقدمة الصحف « الشعبية » البريطانية . انجيله الذي يكرز به « امبراطورية بريطانية تكفي نفسها بنفسها » ولذلك ترى صحفها تندد بكل ما شأنه ان يشبك بريطانيا بشؤون البر الاوربي ، وتنتقد العهد الذي قطعت بريطانيا في معاهدة لوكارنو وتسخر من ضعف سياسة الحكومة الجركية تصدر جريدة الديلي هرالد شركة « الاولدهام پرس » ولكن الصحيفة لسان حال العمال ، وخطتها السياسية خاضعة لمجلس نقابات العمال . وقد كانت هذه الصحيفة على شفا الافلاس لما انفتحت الاولدهام پرس على الانفاق عليها ، فأحدثت انقلاباً عظيماً في ترتيبها وسياق نشرها للاخبار وجارت بها الميل والاكسبرس فجعلت توزيع الهبات على المشتركين ، ونظمت لها مشروع تأمين لمشتريها حتى اصبحت اليوم وهي تفوق جرائد بريطانيا قاطبة في عدد ما يباع منها كل يوم . تحاول الديلي ميل ان تنشر الاخبار كما يراها كتابها المحافظون . اما الهرالد فتنشرها كما يراها كتابها الاشتراكيون . وهي في خطتها السياسية تنزع الى التعاون الدولي وحرية التجارة وتؤمن بنزع السلاح وتقاوم مقاومة عنيفة الفاشستية والنازية . ولما كان في بريطانيا نحو سبعة ملايين فاحب من العمال ، فالجمال متسع لجريدة تكون صحيفة عصرية ولساناً للعمال في آن واحد . والديلي هرالد تحقق هذين الشرطين خير تحقيق

بقي علينا من صحف لندن الشعبية جريدة « النيوز كرونكل » وهي لسان الاحرار — وقد قال فيها احد اصحاب النكتة : هي لسان الاحرار الرسميين عندما تدرك من هم . وهذه اشارة منه الى انقسامهم فرقا فثمة فريق سيمون وفريق هربرت صموئيل وفريق لويد جورج . تسيطر عليها اسرة كادبوري المشهورة بصنع الشكولاتة المسماة باسمهم . هي دولية النزعة ولكنها ليست اشتراكية وهي تعارض النظم الفاشستية كالهرالد والشيوعية كصحف المحافظين . ولما كانت تؤيد السعي لنزع السلاح ، فقد احدثت هزة في دوائر بريطانيا السياسية ، لما طالبت من عهد قريب بوجود محافظة بريطانيا على اليهود التي قطعتها في لوكارنو . فهي بوجه عام صحيفة اليسار المعتدل

أما المنشستر غارديان فتصدر في منشستر وأصحابها اسرة سكوت وهي في رأينا في مقدمة الصحف العالمية التي تدرك ان الصحافة كالتعليم عمل كبير التبعة . ولعل خير شهادة لها ان اتباعها وخصومها يقرأونها على السواء

وعدة الكون

للشاعر السكنديناوي بويزن

قراءة مقدّسة لا اتخلّى عنها

تربطني بكل ما يتنفس .

انا ابن الارض والبحر والهواء

انشدت العواصف « السلورية »^(١) الجشاء هدهدي^(٢)

وفي اشكال دائمة التغير

من شجر وطير ووحش

كوّنت العصر الجاهدة شكلي

ان هذه الاسلاف الضخمة قد تركت

من نفوسها العظيمة في نفسي ، نفحة

تتحدى الموت . انمو وأزهر كالشجر

شاعراً بجذور ارضية ذاهبة في الاعماق

تربطني بالتراب . ولكن مع فروعها الذاهبة في الفضاء

ترفع نفسي الى ملك النور والنهار

(١) العصر السلوري احد العصور الجولوجية في الحقبة الاولى (القديمة الحياة) يليه العصر الديفوني
(الجبر الرملي) فالعصر الكربوني (٢) هدهدت الام الصي حركته او غنت له لينام

عجائب الحل الطيفي

السبكتروسكوب في معرفة بناء النجوم

وحركة الاجرام السماوية

كان الفيلسوف الفرنسي اوغست كونت من اعلم اهل زمانه ، ولكنه مع ذلك قال ان العقل البشري لا بد ان يبقى جاهلاً ببعض الاشياء . وضرب على ذلك مثلاً ببناء الاجرام السماوية من الناحية الكيميائية . فهذه المسألة كانت في نظر كونت وغيره من علماء ذلك العصر ، من وراء مقدرة العقل البشري ، لانهم كانوا يجهلون حينئذ الوسيلة التي تفتح امامهم ابواب هذا السر المغلق ونحن اليوم ندرس بناء النجوم ، كما ندرس بناء الاجسام المادية في المعمل الكيميائي . والمفتاح الذي فتح امامنا الابواب ، هو علم الحل الطيفي وآلاته ، مبدئ الطيف (السبكتروسكوب) فما كاد العلماء يكتشفون السبكتروسكوب ، حتى اصبح بناء الاجرام السماوية امامهم كالكتاب المفتوح فيه عرفوا العناصر التي تدخل في بنائها ، وقد كشفوا حتى العهد الأخير ، نحو ستين عنصراً من العناصر الارضية في كتل النجوم ، ثم انهم اثبتوا بالحل الطيفي ان جو المريخ يحتوي على الاكسجين وان لا أثر له في جو الزهرة . وبيّنوا بواسطة الخطوط المختلفة التي تظهر في طيف النجوم والسدم ، ان الذرات التي على الارض ، كائنة كذلك في بعد السدم وفي اذنان المذنبات وعلى سطوح النجوم البهيمية التي بلغت حماوتها درجة البياض وبذلك منحنا السبكتروسكوب اقوى الدلة على وحدة الطبيعة من نحو مائة سنة امراً العلامة اسحق نيوتن شعاعة من الضوء في موشور من الزجاج في غرفة مظلمة ، فرأى على الجدار المقابل الوان قوس قزح . فأفضى به ذلك الى الاعتقاد بأن نور الشمس مركّب من أشعة مختلفة ، ولكن نيوتن ادخل شعاعة النور الى الغرفة المظلمة من ثقب مستدير ، فكان شبح الشعاعة بعد اختراقها للموشور ونفوذها منه رقعة مستديرة من الضوء . ولو اتفق له ان يدخل شعاعة النور من شقّ مستطيل ، لكان اكتشف علم الحل الطيفي حينئذ . وهذا ما فعله كرشوف وبنصن الالمانيان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر

الى جوزف فرانوفر يعود الفضل في اكتشاف اهم حقيقة علمية تتعلق بحل الطيف بعد اكتشاف نيوتن وهو ان نور الشمس مركّب من طوائف من الاشعة لكل لونها الخاص . ذلك ان فرانوفر اكتشف ما يعرف بظاهرة «الخطوط السود او القائمة» في الطيف . ومع انه توفي سنة ١٨٢٦ وهو في التاسعة والثلاثين من عمره ترك في هذا الاكتشاف اثرًا في علمي الطبيعة والفلك لايزول . كان ان

خزاف باقاري، فلتقى عليه اصول الخزافة ثم تعلم فن صقل الزجاج فأتقنه واشتهر فيه فاختر
لنصب في معهد بصري optical بمدينة مونيخ، حيث انتخب عضواً في اكااديمية العلوم وعيّن
امينا لمكتبتها في العلوم الطبيعية. هناك استنبط اساليب جديدة لصقل العدسات وقياسها، وصنع
زجاجاً خاصاً يصلح للعدسات، وتعلم كيف يحسب اشكال العدسات المختلفة حساباً رياضياً دقيقاً
ولكن همه الاعظم كان متجهاً الى صنع عدسات (اكروماتيكية) اي لا يظهر في الاشعة التي
تخترقها بقع ملوثة، وهذه البقع تنشأ اذا كان سطح العدسة غير محدب تحديداً تماماً فتنكسر الامواج
وتتفرق فتنشأ ظاهرة البقع الملوثة. ولكي يتمكن من تحقيق غرضه هذا، درس طيوف انوار
مختلفة. وكان ذات يوم يدرس طيف نور صادر من مصباح، فاكتشف في الجزء الاصفر من الطيف
خطاً مزدوجاً. هذا الخط يعرف الآن بخط الصوديوم. وهو من اشهر خطوط الطيف لان رؤيته
سهلة. ولعلك ايها القاريء اذا زرت معملًا علميًا في مدرسة وطلبت ان ترى سبكتروسكوباً، كان
خط الصوديوم هذا اول ما ترى من خطوط الطيف. وامتدّ به البحث، فاكتشف هذا الخط في
طيوف انوار اخرى، ولكن الخط كان دائماً في محل واحد من منطقة اللون الاصفر. ثم حلّ نور
الشمس، فرأى مكان الخطين الاسودين في طيوف انوار المصابيح طائفة من الخطوط المتلازمة وبعضها
اكثر قتامة من البعض الآخر، بل ان بعضها اسود. ثم فحص فراهوفو نور النجوم فرأى في
طيفه خطوطاً تشبه الخطوط التي رآها في طيف الشمس

فدعيت هذه الخطوط خطوط فراهوفو. ولكن فراهوفو مات قبل ان يدرك تعليلها، وما
لما من الشأن في زيادة السماء ومعرفة بناء النجوم والسدم وحركات الاجرام السماوية
وتلا فراهوفو في هذا الميدان عالمان المانيان هاروبرت وليم بنسن الكيماوي وغوستاف
كرشوف الطبيعي. كانا حينئذ استاذين في جامعة هيدلبرج. وكان بنسن قد استنبط المصباح
المعروف باسمه وكان هذان العالمان يبخران في لهيب هذا المصباح بعض العناصر الكيميائية ثم ينظران
الى الوانها بالسبكتروسكوب. وكانت هذه الآلة مركبة حينئذ من ثلاثة اجهزة اولها طريقة لجمع اشعة
الضوء على موشور زجاجي، ثم الموشور نفسه الذي يفرق النور الى الالوان المؤلف منها ثم تلسكوب
صغير يحسّس الطيف حتى تستطاع رؤيته. وما لبثا حتى وفقاً الى اكتشاف اساسي في هذا
الميدان، وهو ان لكل عنصر خطوطاً لامعة في الطيف خاصة به

وفي يوم من ايام سنة ١٨٥٩، اكتشفنا سرّ الفرق بين خطوط فراهوفو - وهي خطوط
قائمة في الطيف - والخطوط التي كشفها وهي خطوط لامعة. ذلك ان اشعلا مصباح بنسن،
ونظراً في لهيبه عنصرًا من العناصر، وراقبا الطيف فوجدا الخطوط اللامعة الخاصة بهذا العنصر.
ثم جاء بنور قوي من مصدر آخر وامرّاه في لهيب المصباح الذي بُخّر فيه ذلك العنصر، قبل
جمعه وتوجيهه الى الموشور. فلما راقبا الطيف وجدا ان الخطوط فيه قد اصبحت قائمة. فأدرك

كرشوف في الحال لتعليل ذلك وكان تعليله صحيحاً ايده المباحث التالية : قال : — اللون الخاص الذي يولده العنصر في لهيب المصباح يعدل في النور الوارد من مصدر آخر ، الامواج التي من طولها تماماً ، وكذلك يلغي الواحد الآخر ، فيزول اللون الذي كان يولد في الطيف خطوطاً لامعة ، وكذلك تشهد خطوطاً قائمة وقد حلت محلها

هذا الاكتشاف مهتد السبيل لتعليل خطوط فرنهوفر . كان العلماء قد عينوا مواقع مئات من الخطوط القائمة — خطوط فرنهوفر — في طيف الشمس . ولكنهم لم يدركوا معنى هذه الخطوط الا بعد اكتشاف بنصن وكرشوف الاخير ، وتعليل كرشوف له التعليل الصحيح . ذلك ان طبقة الشمس الخارجية Photosphere تطلق امواجاً مختلفة تقابل امواج الطيف المرئي ، ولكن هذه الامواج قبل ان تصل الى تلسكوباتنا وسبكتروسكوباتنا يجب ان تمر في جو الشمس حيث توجد معظم العناصر في حالة غازية متألفة . وكما عدل النور الصادر من جسم آخر لون اللهب الخاص بعنصر معين في مصباح بنصن ، كذلك تفعل هذه العناصر المتألقة في جو الشمس ، بالامواج الصادرة من سطحها . فلذلك نرى خطوط سوداء او قائمة في طيف الشمس . فاذا اتفق موضع خط من هذه الخطوط او موقع طائفة منها ، مع موقع خط (او طائفة) خاص بعنصر من العناصر عرفنا ان هذا العنصر موجود في جو الشمس . وكذلك نستطيع ان نعرف تركيب الشمس الكيماوي وهي على ٩٣ مليون ميل منا

وما كاد كرشوف وبنصن يكتشفان هذه الحقيقة حتى استعملتا اداتهما في الكشف عن عنصري الكيزيوم والروبيديوم في المياه المعدنية التي تنبع في دوركيم . وتروى في هذا الصدد قصة كان كرشوف يحب ان يرويها قال : كانت المسألة المطروحة على بساط البحث ، هل تكشف خطوط فرنهوفر عن وجود الذهب في الشمس ؟ وكان صراف كرشوف يقول له وماذا يهمني ان كان الذهب موجوداً في الشمس ما زلت لا استطيع ان آتي به الى هنا . وبعيد ذلك نال كرشوف من احدى الجمعيات العلمية في انكلترا مدالية ذهبية ومبلغاً من المال . فذهب بها كرشوف الى صرافه وقال له لقد افلحت في ان آتي لك بالذهب من الشمس

وتلا ذلك استنباط وسيلة اذق من الموشور للحل الطيفي . فكان استنباطها من نصيب رولند العالم الاميركي والاستاذ في جامعة جنز هيكنز في العقد الاخير من القرن التاسع عشر . ذلك انه صنع آلة لتخطيط قطعة من الزجاج خطوطاً عديدة متلازمة ويقال ان البوصلة المربعة في النادر منها قد تحتوي على ٣٠ الفاً من هذه الخطوط (الانسكلوبيديا البريطانية) . ومن يملك قطعة منها يحسب انه يملك كنزاً علمياً لانها افضل ما عرف من وسائل العلم لحل نور الشمس الى الالوان التي يتركب منها . ثم قضى رولند بعد ذلك سنين عديدة في درس طيف الشمس ، فقال انه وجد في مناطق الالوان المختلفة نحو عشرين الف خط ، وان كل خط او كل طائفة منها تشير الى مادة معينة في كتلة

الشمس. فلما اتم رولند مباحثه، كان قد كشف في الشمس عن ٣٦ عنصراً من العناصر الكيميائية المعروفة على الارض. وقد كشفت بعد وفاته عناصر اخرى، لان العلماء صنعوا الواحاً فتوغرافية شديدة الاحساس، تتأثر بالنور الذي تحت الاحمر، وكذلك كشف العلماء عن نحو ستين عنصراً من العناصر الكيميائية في مادة الشمس.

أما في النجوم فاننا لانستطيع ان نشهد في طيف نورها التفصيلات التي نشهدها في طيف الشمس. ولكن السبكتروسكوبات الكبيرة التي بنيت في العهد الاخير وألحقت بالمرصد الكبيرة كمرصد جبل ولسن، قد كشفت عن عشرات من العناصر الكيميائية في مواد النجوم ثم ان الخطوط التي تبدو في الطيف لاتكون مستقرة في مكانها، اذا كان مصدر النور متحركاً بل هي تميل الى الاحمر اذا كان الجسم مبتعداً عن المراقب، او تميل نحو البنفسجي اذا كان الجسم مقرباً منه. وعلى هذا الاساس استطاع الباحثون ان يكشفوا عن دور الشمس على محورها وسرعة هذا الدوران وكذلك دوران السيارات وسرعته. وعرفوا ايضاً ان حلقات زحل ليست مادة جامدة بل مؤلفة من كريات صغيرة كل منها بمثابة سيّار صغير. وعليه بنيت ادق الحسابات لبعدها عن الشمس عن الارض. ولما طبق هذا المبدأ على النجوم، عرفت حركة الشمس بالقياس اليها، وقيست ابعاد مئات منها، وكشف عن مئات من النجوم المزدوجة، وعرفت كتل واقطار بعضها. ثم درست نتائج هذا الحيوذ، فيما يرتبط بنور السدم التي خارج المجرة، فتبين ان معظمها يبتعد عنا بسرعة عظيمة — قدّرت سرعة ابتعاد احد هذه السدم بـ ١٥ الف ميل في الثانية — وعلى هذا بنيت نظرية الكون الآخذ في التمدد او الاتساع Expanding universe ثم ان المباحث السبكتروسكوبية بينت ان السدم نوعان او طائفتان. فطائفة مكونة من كتل من الغاز المضيء او المتألق واما الطائفة الثانية فتطلق نوراً كنور النجوم فيرجع انها مجموعات من النجوم بعيدة عنا بعداً لا يمكننا من رؤية بعض نجومها الفردية

واذا كان هذا شأن السبكتروسكوب في علم الفلك الحديث. فما هو اثره في ميادين العلم الاخرى؟ الكيماوي مدين للسبكتروسكوب بالكشف عن عشرة من العناصر، ولعلّ أشهرها عنصر الهليوم الذي كشفه لكير في جو الشمس قبلما كشفه رمزي على الارض بنحو عشرين سنة. وانت تعلم مقام الهليوم في المباحث العلمية النظرية، كتركيب الذرة وتحويل العناصر، كما تدرك مقامه في الشؤون العلمية، فهو الغاز الذي لا يصلح غاز مثله، لملء اكياس البلونات، لانه خفيف وغير قابل للاحتباب. ثم ان للسبكتروسكوب شأناً ايّ شأن في علم الطبيعة النظري الذي يتناول الذرة وبنائها وتحويلها وكشف العناصر التي توجد منها مقادير ضئيلة في ركازاتها

ولاثر السبكتروسكوب في علمي الطبيعة والكيمياء حديث طويل رجعته الى فرصة اخرى

استدراك على معجم الحيوان

- ٣ -

بقلم الدكتور معلوف باشا

قلت في المقتطف ٣٩ : ٣٤١ ما يأتي

الجلسكى . الجلسكا

Petromyzum. E. Lamprey. F. Lamproie.

نوع من الاشلاق شبيه بالانكليس ذكره القزويني والدميري وصاحب محيط المحيط . قال
الدميري : « الجلسكى كهرطى نوع متولد بين الحية والسماك اذا ذبح لا يخرج منه دم وعظمه رخو
يؤكل مع لحمه يسمن النساء اذا اكل » . وزاد القزويني على ذلك في قوله انه نوع من الجرّي يشبه
المارماهي . فهذا الوصف ينطبق على هذا النوع من السمك لا سيما قوله ان عظمه رخو اي غضروفي
ولا اعرف سمكاً كالانكليس فيه هذه الصفة الا هذا السمك والاسماك الاخرى التي من طائفة
المواص (Cyclostomes) انتهى . وقد نقلت ذلك في معجم الحيوان ص ١٤٥ ببعض تصرف اي
غيرت الاسم العلمي وما جاء في معجم الحيوان هو الصواب . ثم ذكرت في مقتطف نوفمبر الماضي
ص ٤٠٧ ان الاب انستاس سمي هذا النوع من السمك شلقاً وقد خطر لي الآن ان الاب العلامة
وكتب هذه السطور بحثاً في نوع واحد من السمك فسماه الاب المحترم الشلق وسميته الجلسكى
او الجلسكا كما تقدم والاسمان واحد لفظاً ومعنى اي ان ما ورد في محيط الفيروزابادي وشرحه في
مادة شلق ليس الا ما ذكره القزويني والدميري في مادة جلسكى او جلسكا اي انهما ذكراني هذه
المادة الشلق عينه وانما بصورة اخرى فقد كتب العرب الفاظاً كثيرة بالجم التي يضع لها العرب
والفرس ثلاث نقط تحتها ويلفظونها كالشين او قريبة من الشين كما في شول (چول وشرشلف
چارشپ وشوبق او شوبك چوبه وشششم چششم وشاي چاي وشلي چلي . على ان هذا غير
مطرد . فقد ورد في چنار چنار وصنار وفي چين صين وفي دارچيني وخارچيني دارصيني وخارصيني
وهو بحث طويل لا محل له هنا . وانا اجهل الفارسية ولكنها الفاظ التقطها من كتب القوم
وما اوردهه يكفي لان نقول ان جلسكا كما كتبها القزويني او جلسكى كما كتبها الدميري هو الشلق
عينه بجعل حرف العجم شيئاً اي اننا لو لفظنا جلسكا او جلسكى شلسكا او شلسكى اتضح لنا الامر

لا سيما ان القزويني والدميري لم يذكرا كلمة الشلق بل اكتفيا بكلمة جلكا او جلسكى عوضاً عنها . بقي عليّ ان اقول ان فريتغ قرأ كلمة جُلَسْكا بالضم وتابعه في ذلك الدكتور هرتمن اثاي مترجم عجائب المخلوقات وصاحب محيط المحيط والكاونل جاياكار مترجم الدميري والكاونل اسطينصن مترجم نزهة القلوب على ان الدميري جعل اللفظة جلسكى وضبطها كمرطى كما تقدم ولا اعلم صحة ضبطها اهي جُلَسْكا بالضم او جَلَسْكى بالفتح لكنني اعلم ان الجلسكا او الجلسكى هو الشلق عينه مكتوباً على صورة اخرى . ثم ان فريتغ والذين تقدم ذكرهم لم يترجموا الجلسكا او الجلسكى بل رسموها بحروف لاتينية ولم يتعرضوا لتحقيق امرها او ترجمتها ترجمة صحيحة . ولا اعلم هل لفظة شلق او جلسكا يونانية الاصل او انها نشأت في سواحل بحر فارس فأخذها العرب والفرس وسماها بهذا الحيوان عن اليونانية فقد اوردها ارسطو في كتاب النعوت غير مرة واللفظة اليونانية التي اوردها هي Selache بقي علينا ان نذكر ما جاء في شرح القاموس قال صاحب التاج ما نصه : الشلق بالكسر او ككتف سمكة صغيرة او على خلقة السمكة لها رجلات عند الذنب كرجلي الضفدع لا يدان لها تكون في انهار البصرة وقيل هي من سمك البحرين وليست بعربية او هي الانكليس من السمك وهو الجِرتي والجريث عن ابن الاعرابي . انتهى

وعلى ذلك تكون صحة ترجمة Lamprey, Lamproie شلق وشَلَق وجَلَسْكى وجُلَسْكا او الاستغناء عن الكلمتين الاخيرتين فكلمة واحدة صواب خير من عشر كلمات خطأ . فالرجو اصلاح ذلك في المعاجم المقبلة . وذكر الأب انتاس لمن شاء ذلك وحذف الدميري والقزويني لانهما لم يجزئنا اسم هذا الحيوان العلمي ولم يجزئنا به احد من الذين ترجموا القزويني والدميري ولا اخبرنا به شازي فانه لم يترجم القزويني بل ترجم بضعة عشرة صفحة منه بطلب ده ساسي ونشرت هذه الصفحات التي ترجمها في الطبعة الثانية من كتاب الانيس المفيد لتحقيق الجلسكى لكاتب هذه السطور دون غيره

وقلت في معجم الحيوان ص ٢٣٨ وما بعدها ما يأتي : —

Strombidae

دَوَلَع الواحدة دَوَلَعَة . دَوَلَّاع الواحدة دَوَلَّاعَة

فصيلة من الحلزون الكبار لها اغطية عطرية تسمى الاظفار واطفار الطيب وفي السودان الظفر او ظفر العفريت تتبخر به النساء . والدَوَلَّاع انواع كثيرة ثم ذكرت بعضها وهي من جنس يعرف عند العلماء باسم Strombus ونقلت عن فورسكال ان اسمه السرنباقي بالعربية سمعها في البحر الاحمر وقلت ان الدمشقي ذكر السرنباقي في بحر القلزم اي ان لفظة السرنباقي قديمة بالعربية ولا بأس من ايراد عبارة فورسكال بتمامها وهي ما يأتي

Strombus gallus. Strompak. Arab, Strombak

سرنباقي

فالاسمان الاول والثاني هما الاسمان الجنسي والنوعي وقد اعتمدهما استاذنا ليناس واضع التسمية

المثبوتية. ولا يزالان الاسمان المعتمدان في ايامنا . والثالث الاسم اليوناني وقد كتبه فورسكال باليونانية فحولته الى احرف لاتينية لسهولة قراءتها . اما الاسم الرابع فكتبه بحروف لاتينية فابقيته على حاله واما الخامس فعربي وقد كتبه بحروف عربية . ولما كان الديمشقي قد ذكر السرباق وهو اقدم من فورسكال كثيراً فلا شبهة في صحة اللفظة كما اوردها فورسكال ولا سيما ان كثيرين ذكروها بعده مما لا حاجة الى ذكره . ثم ليس من الغريب ان لفظه يونانية قديمة تكون شائعة في البحر الاحمر في زمن الديمشقي وفورسكال وتكون لفظه عربية مثلها شائعة كذلك وهل هذه اللفظة يونانية او نشأت في البحر الاحمر فنقلها اليونان عن العرب وعن سائر اهل سواحل البحر الاحمر كما نقلوا الفرخ واللاطيس والشلبا والبياض عن المصريين حقاً انها مسألة تستحق النظر وعندني انه يتعذر ان يقال ان كلمة عربية هي يونانية الاصل فالقرش مثلاً سمك معروف في البحر الاحمر فهل تقدر ان تقول انه يوناني فلماذا لا نقول عكس ذلك اي ان اليونان اخذوه عن اهل البحر في الاماكن التي يكثر فيها هذا السمك وامثلة ذلك كثيرة . ثم انه ليس كل حيوان له اسم عند قدماء اليونان هو الحيوان الذي يسمى بالاسم عينه في ايامنا

وقلت في معجم الحيوان ص ٢١ ما يأتي : —

Argonauta argo. Paper nautilus

عنقريط (فورسكال)

حيوان هلامي رأسي الارجل اي من طائفة الاخطبوط له صدفة رقيقة جداً هي في نسخة فورسكال المطبوعة عنقريظ بالطاء المعجمة ولعلها خطأ مطبعي والصواب بالمهملة . ولا يخفى ان فورسكال توفي قبل نشر كتابه . وقد اخذها عنه فريتغ كما هي بالمعجمة ونقلها عنه البستاني في محيط المحيط وقال ضرب من السمك وصوابه ما ذكر . ولعل اللفظة تعريب الاصل اليوناني . انتهى

وما يأتي عبارة فورسكال بنصها

Argonauta argo. Arab Ankarit

عنقريظ

اما الاسمان الاول والثاني فهما الاسم الجنسي والنوعي الذي يعرف به هذا الحيوان عند العلماء في ايامنا ولعلمهما من اوضاع فورسكال او استاذه ليناوس كما تقدم لانه لا اسماء مثبوتية قبل ميناوس وقد يكون الاول اي الاسم الجنسي معروفاً قبل ليناوس وهو اسم منحوت او تركيب لزجي من كلمتين معناهما ملاح السفينة كان يسمى به احد الملاحين الذين صحبوا ياسون في سفره المشهور فلا شبهة ان هذه اللفظة يونانية قديمة جداً فهل اللفظة العربية التي سمعها فورسكال تعريب اللفظة اليونانية فان كانت تعريباً ليس ذلك غريباً جداً اي يعرب اسم يوناني منحوت على هذه الصورة وان لم يكن تعريب الاسم اليوناني فهو اتفاق اغرب جداً

(١) الحشمة والعربي

مقال يتضمن آراء أشهر الباحثين

للدكتور صبري جرجس

تدل المباحث التي قام بها العلماء في العهد الأخير على أن عاطفة الخجل ليست أصلية في الإنسان ، ولكنها ثمرة من ثمار الحضارة ، أو بعبارة أخرى ظاهرة عقلية نشأت خلال التطور التدريجي للحياة الإنسانية. وهي موجودة إلى حد ما في الإنسان الذي يمارس العُري ، ولكنها قوية ومميزة للإنسان الذي يستعمل الملابس . وقد نمت عادة ارتداء الملابس وعاطفة الخجل جنباً إلى جنب وكانتا ترميان إلى غرض واحد دائماً . وقد قام علماء علم الأجناس بمباحث انتقادية عدة في هذا الموضوع ، وأهمها المباحث التي قام بها هفلوك إليس وستراتن وكارل فون ستاين

ويذكر هفلوك إليس عاملين للخجل : عاملاً حيوانياً وآخر اجتماعياً . والعامل الأول تناسلي بطبيعته وهو أقوى نمواً في المرأة منه في الرجل ، بل أنه كان في بدء الأمر مقتصرًا عليها فقط وكان الغرض منه حماية أعضائها الخاصة من هجمات الرجل غير المرغوب فيها . وقد نستطيع أن نلاحظ عاطفة الخجل على هذه الصورة في بعض أنواع الحيوان أيضاً

وهو يقول بأن عاطفة الخجل التناسلي في انثى الحيوان ناشئة من أنها تقصر علاقاتها التناسلية على أوقات خاصة فقط ، وهي أيضاً علامة على عدم استعدادها لقبول الحب إلا في زمن بعينه . ونحن نرى أن الانثى من الكلاب حين تهيج فيها العاطفة الجنسية تلتمس الذكر وتسعى إليه ، ولكنها لا تسمح له بالتزاوج إلا بعد شيء من الدلال والتظاهر بالامتناع والنفور . وبذلك نرى أن عاطفة الحشمة التناسلية في الانثى هي نتيجة لازمة لنشاط الرجل في العلاقات الجنسية ولهدوئها واستسلامها فيها . وهذا بدوره ناشئ من أن العاطفة الجنسية للانثى في الإنسان وكل الأنواع القريبة منه دورية أما هو فلا يحتاج إلى أي رعاية خاصة من هذا القبيل

ويوجه جروس النظر إلى أن تلك الظاهرة البيولوجية والنفسية الهامة — الدلال — تتوقف إلى حد كبير على عاطفة الخجل . بل هي تنشأ من النزاع الداخلي بين الغريزة الجنسية وعاطفة الخجل

(١) معظم الحقائق المذكورة في هذا الفصل مقتبسة عن كتاب إيفان بلوخ « الحياة التناسلية في الزمن الحاضر » وعلقتها بالمدنية الحديثة » وكتاب أوجست فوريل « المسألة الجنسية »

كما ان هناك عاملاً اجتماعياً هاماً في الشعور بالخجل هو الخوف من اثاره الاشمئزاز. ويجدر ان نذكر هنا نظرية لومبروزو^(١) عن الاصل في عاطفة الخجل . فقد لاحظ لومبروزو على كثيرات من البغايا امتناعهن عن الكشف الطبي اثناء الحيض وهو يقول بان هذا هو الاصل في عاطفة الخجل عند المرأة البدائية الاولى : أي خوفها من اثاره الاشمئزاز في نفس الرجل

وقد قام ريشه بدراسات واسعة عن الاصل في هذا الاشمئزاز فوجد انه انطلق رائحة خاصة تسبب الاشمئزاز والنفور عند كثير من الشعوب البدائية ، وهذا سبب تستشر النساء عن غيرهن وخصوصاً عن افراد الجنس الثاني

على ان لعاطفة الخجل علاقة وثيقة بعادة ارتداء الملابس وخصوصاً في الاطوار المتأخرة للحضارة. وذكر كارل فون دن ستاين في مشاهداته الخاصة عن قبائل البقاري التي تقطن في البرازيل الوسطى ما يأتي : « لا يمكن ان اعتقد أن عاطفة الحياء التي لا تنعدم تماماً بين هؤلاء الهنود العراة عاطفة أولية في الانسان . وأنا مضطر الى الايمان بأن هذه العاطفة لم تبدأ في الظهور إلا بعد ان اعتاد الانسان ستر بعض اجزاء جسده بالملابس ، وأن عُرِّي المرأة بدأ يسترعي أنظار الغير حين عمد تعقيد الحياة الاجتماعية والاقتصادية على الزيادة من قيمة القتا القابلة للزواج . كما اني اعتقد أننا نزيد من صعوبة هذا التعليل كلما عزونا الى أنفسنا عاطفة من الحياة أقوى مما نملك فعلاً »

وفي مجتمع يحيا فيه كل انسان حارياً لا يكون العري إلا امرأ طبيعياً لا يدعو الى الخجل ولا يثير الشهوة . بل إن الملابس القصيرة الشفافة التي ترتديها الراقصات في اوربا أقل تحشماً من عري المرأة الهمجية . وقد قال احد العلماء الطبيعيين في هذا الصدد ان الجسم الذي تستره الملابس أشد اثاره للعاطفة الجنسية من العري المطلق . وقال سنو إن مصاحبة المرأة الهمجية العارية اقل تنبهاً للعاطفة الجنسية من مصاحبة المرأة الانيقة في « الصالونات » الحديثة . وقال ريد « ليس هناك ما هو أكثر تحشماً ولا اقل اثاره للشهوات من العري » . ومن البديهي أن هذه الحالة لا تكون صحيحة إلا اذا أصبح العري عادة يمارسها الجميع . وقد حاول بعضهم ان يروض المتوحشين على استعمال ملابس بقصد الاحتشام فكانت النتيجة عكس ما أرادوا

والانسان يتعود سريعاً حالة العري كما لو كانت امرأ طبيعياً . أما قبائل البقاري التي تمارس العري المطلق فانها لاتولي « الاعضاء التناسلية » أي اهتمام خاص . وهي تتحدث عنها بعدم الاكتراث التام . ومن السخف أن نعددهم فجرة لهذا السبب . اما الكيس الذي يستعمله الرجل والقوطة مثلثة الاركان التي تستعملها المرأة فليس الغرض منهما ستر الاعضاء التناسلية ولكن يقصد بهما حماية هذه الاعضاء من عوامل الاذى الخارجية بقدر الامكان

ومن الهزل ان نعد هذه القطع الصغيرة ملابس بالمعنى الصحيح لانها لا تستطيع ان تخفي شيئاً.

(١) كتاب لومبروزو وفريرو « المرأة كجريمة وبغى »

وهي في الواقع وسيلة من وسائل التزين والفتنة ولا علاقة لها بالحشمة مطلقاً وكذلك نستطيع أن نلاحظ بين بعض قبائل البرازيل الوسطى التي تتبع في حياتها نظام العصر الحجري، كل نتائج العُري المطلق، كما نستطيع أن ندرك أن العُري لا علاقة له بالشهوة كما نفهمها نحن فإن العوامل الفسيولوجية لعاطفة الحياء ليست من القوة بحيث تؤدي الى ظهور هذه الظاهرة النفسية في هذه الصورة الواضحة

وقد قام ستراتز بدراسة ملابس المرأة في الاجناس المختلفة دراسة دقيقة ، وكان مما ذكره عنها « ان الغرض الاول والوحيد من استعمال الملابس عند الانسان البدائي هو الزينة لاستر الجسد ». لان الرجل العادي لا يعرف الخجل بعكس الرجل الذي يستعمل الملابس . وهذا ينطبق على الانسان المتوحش والمتمدن سواء بسواء . بل ان الانسان لا يشعر بالخجل من اي مظهر من مظاهر العُري التي تقتضيها منه « الموضة » والدليل على ذلك موقفه من ملابس السهرة (الديكولتيه) وتمتدنا دراسة تاريخ الملابس والموضة بالعوامل الهامة لفهم الاصل في عاطفة الحياء عند الانسان الحديث ولتقدير حدودها الطبيعية . هذا فضلاً عن ان للملابس علاقة مباشرة بالحب كظاهرة نفسية . وقد قال هرمان في هذا المعنى « ما اعظم الأثر الذي يحدثه الحب في جميع درجاته في الملابس ! وما اقوى ما تفصح الملابس عن الحب ! »

وقد اثبت وسترمارك وغيره من علماء الاجتماع أن الوشم وصبغ الجسم وغيرها ليست رموزاً للملابس لجأ اليها الانسان البدائي الاول . وقد قال بلوس بارتل في هذا الصدد « لا يمكن أن اشك في ان الوشم عند الانسان الاول كان يرمي الى غرض آخر غير ستر عريه ». وكذلك قال جوزيت وهو اكبر النقاد في الوشم: « كلما قلل الرجل من ملابسه زاد في وشم جسده وكلما زاد منها قلل من وشمه » وللوشم غرض آخر هو التزين والفتنة وتبنيه العاطفة الجنسية . وقد استعمل الوشم في اغراض اخرى طبية او سياسية او اجتماعية (للتفريق بين الطبقات مثلاً) ولكنه كان مع ذلك عاملاً من عوامل الفتنة التناسلية . وليس أدل على هذه الناحية من ان فتيات بعض الاقوام الهمجية يعتدن وشم الاعضاء الخاصة . وقد يحسب الناظر لاول وهلة انهن يسترنها بقطعة خاصة وذلك لقرب الشبه بينها وبين الوشم . كما ان بعض هذه الاقوام تقوم بعملية الوشم عند بدء ظهور الحيض . ولا يصح ان نغفل أثر اللون في الوشم . فان العلاقة بين اللون والعاطفة الجنسية وثيقة (لانيج)

ويظهر ان الوشم كمنبه تناسلي بدأ ينتشر انتشاراً واسعاً بين الطبقات العالية في المجتمع الباريسي رجالاً ونساءً على السواء . ويرسم الوشم على اشكال مختلفة ولكن يضيق بنا المقام عن احصائها نرى من ذلك ان الغرض الاول من الملابس لم يكن ستر الجسد وانما كان التزين . اما استعمال الملابس بغرض الستر فقد نشأ فيما بعد ، حين اكتسبت منطقة الاعضاء التناسلية شيئاً من الرهبة والاحترام... حينئذ فقط بدأ الانسان يخفيها حتى يقي غيره شرها او حتى يقيها شر نظرات الناس

وقد تقدم بعض الباحثين بنظرية جديدة بقولون فيها ان استعمال الملابس انما نشأ عن غيرة الرجل الاول . ويستدلون على ذلك بأن المرأة المتزوجة عند بعض الاقوام الهمجية يحتم عليها ارتداء الملابس بينما تمضي الفتاة غير المتزوجة طارية تماماً . وذلك لان المرأة بعد زواجها تصبح جزءاً من متاع الرجل . فلما امتدت فكرة الامتلاك حتى شملت العلاقة بين الاب وابنته غير المتزوجة اضطرت الاخيرة الى استعمال الملابس أيضاً . ومن هنا نشأت فكرة العفاف وعاطفة الحشمة التناسلية والامثلة كثيرة على ان ستر الاعضاء التناسلية في اول الامر لم يكن ناشئاً عن الشعور بالخجل او الحشمة ، وانما كان — الى جانب اعتباره من وسائل التزين — منبهاً تناسلياً هاماً . وقد استعملت كل انواع التزين للفت النظر الى منطقة الاعضاء التناسلية والعجزين . وكانت محاولة سترها تنبه الشهوة اكثر من العُري التام . وهذه ظاهرة نشاهدها كل يوم في حياتنا المتحضرة اليوم ويقول فايري ان وسائل الانسان في الاستمتاع تفوق وسائل الحيوان كثيراً ، لأن الحيوان لا يعرف التزين المتصنع ، اما في الانسان فان هذا الستر الشفاف الناقص الذي تدعي به المرأة اخفاء محاسنها انما يعمل في الواقع على كشفها وعلى اثارة الشهوة في نفس الرجل الى غير حد « فكلما قل ما يراه الرجل من جسم المرأة زاد ما يصوره له خياله عنه » وليس العُري التام المطلق هو الذي ينبه العواطف التناسلية عند الانسان ولكنه « العُري الناقص » الذي يمارسه في حياته الآن . ويقول وستر مارك في هذا الصدد ما يأتي « لدينا أمثلة كثيرة على الشعوب التي تمارس العُري التام ولكنها تستعمل بعض الملابس احياناً . وهذه الملابس لا تُرتدى الا لغرض التزين والفطنة فقط ، حتى ان في بعض هذه الشعوب يقتصر استعمال الملابس على العاهرات اللواتي يقصدن بها تنبيه العاطفة الجنسية عند الرجال . ونحن نعلم انه في بعض شعوب افريقيا الوسطى تمضي النساء المتزوجات عاريات تماماً بينما تستر الفتيات غير المتزوجات انفسهن بالملابس (تنبيهاً للرجل الى الزواج) ولعل في دلالة الملابس كمنبه تناسلي عند الاقوام البدائية ما يظهر ما لها من الشأن في «الموضة» عند الشعوب المتقدمة . لانهم يتوسلون بها الى تنبيه الشعور الجنسي عند الرجل تنبيهاً قوياً وذلك بالاستعانة بها على اظهار بعض المحاسن واخفاء بعض العيوب . وقد استغل موسى هذا التأثير النفسي للملابس في زيادة الانسال بين قومه ، فأمرهم باستعمال الملابس لاخفاء محاسن المرأة « حتى تنبيه عواطف الرجال ويزيد الانسال » وقد اعترض على العُري بحجة انه أمر غير لائق ، ثم جاءت المسيحية فحرمته بحجة خروجه على الآداب العامة . ونحن نستطيع ان نجد شبيهاً لهذا التغير في الرأي في مئات الامثلة التي تزخر بها حياتنا العامة الآن

اما أقوى المنبهات الجنسية فهي حالة « الاخفاء الجزئي » أو « العُري الناقص » : اي فن اظهار محاسن الجسد مع محاسن الثياب . ولعل هذا ايضاً من الأسباب الهامة في ظهور ما يسمى « التعشق الخيالي للثياب » وهو احد الامراض التناسلية النفسية

وأثر الملابس من هذا القبيل مزدوج : فهو أولاً اظهر بعض اجزاء الجسم بصورة قوية واضحة في شكل الملابس ومن قطعها ومن بعض ادوات التزين فيها . والثاني اخفاء بعض الاجزاء الاخرى ثم ان تقسيم الملابس الى داخلية وخارجية له دلالة تناسلية هامة أيضاً . وقد كانت الزيادة في عدد قطع الملابس هي التي صبغت بالشهوة فكرة « ارتداء الملابس او خلعها » اي فكرة التجميل « والتواليت » . وقد اصطحبت هذه الفكرة بأخرى هي ان الخصر — وخصوصاً في المرأة — يفصل الجسم الى منطقتين : منطقة عليا مختصة بالقوى الذهنية ومنطقة سفلى مختصة بامور الجسد وقد مهد هذا التمييز والتقسيم في الملابس ميداناً خصباً تنشط فيه « الموضة » التي يرجع عندها بالظهور الى القرون الوسطى . فالموضة اذن هي ثمرة من ثمار القرون الوسطى وأهم عواملها الميزة في ذلك الحين هو المشد « الكورسيه »

وقد ذكر سترانز بهذا الصدد في كتابه الشائق « ملابس المرأة » ما يأتي : —

« قد يبدو غريباً ان يكون الاصل في ظهور الكورسيه عند المسيحيين هو عبادتهم لله ، ولكن هذه حقيقة لا سبيل الى الشك فيها . فان رجال الدين في ذلك العهد كانوا يتمتعون — على الاقل في الحياة العامة — بنفوذ واسع النطاق ، وكانت النظرة الادبية السائدة اذ ذاك تقضي بستر كل ما يمكن ستره من جسم المرأة وبقمع شهوات الجسد . وكانت تقضي على اي حال بتغطية الاعضاء المميزة للمرأة عن انظار الرجل الخاطئة . وكان الناس يعتقدون ان المرأة وقد ادخلت الخطيئة الى العالم يتعين عليها ان تخفي من أعضاء جسدها كل ما يمكن ان يدعو الى الخطيئة . وبينما رى ان الرجل كان يحاول جهده في انهاء صدره وفي الظهور بمظهر القوة والفتوة ، اذ رى ان المرأة فيما بين القرن الثاني عشر والسادس عشر كان تعمل على ان يكون صدرها منبسطاً وضيقاً بقدر الامكان . وكانت تستعمل لهذا الغرض نوعاً اولياً من الكورسيه »

ومن الغريب ان الموضة استخدمت الكورسيه فيما بعد لعكس هذا الغرض تماماً : أي ل اظهار الثديين و ابرازها بقدر الامكان . وقد كانت الموضة منتصرة دائماً على طول الخط في النزاع الذي قام بينها وبين النظرة الادبية في القرون الوسطى

وقد ذكرنا ان الكورسيه باظهاره الفرق واضحاً بين بروز الثديين ورشاقة الخصر قد عمل على زيادة ظهورها . ثم جاء « الديكولتيه » فكشف عن الجزء الاعلى من الثديين . وهذا امر مشاهد في المرافق والحفلات ولكنه يدعو الى كثير من النقد . حتى ان رجلاً واسع الصدر كثير التسامح في نواح اخرى مثل هيرث اضطر ان يهاجمه بكثير من الشدة والعنف . علاوة على ان تلك الحفلات لا تخلو من الخمر عادة . والرجل تحت تأثير الخمر عرضة لان ينظر الى تلك المحاسن المكشوفة امامه نظرة ليست ادبية كلها

على ان الكورسيه — علاوة على الناحية الادبية — عيوباً اخرى تتصل بالصحة . فهو يعوق

التنفس الصحيح ويسبب فقر الدم ويضغط على الاعضاء الداخلية في التجويف البطني ضغطاً مؤذياً (وخصوصاً المعدة والكبد) ويسبب هبوط الكليتين والكبد وارتخاء البطن وقد يؤدي التدخين بالضغط عليهما فينتج عن ذلك ضمورها واصابة الارضاع بعطل كبير . وهو فضلاً عن ذلك يفسد قوام المرأة افساداً كبيراً ويشوّه العمود الفقري وعظمتي الفخذ وهلمّ جرّاً . اما فوائده المزعومة فكلها اوهام باطلة . ولن تعرف المرأة القوام الرشيق حتى تتحرر منه . وقد هاجمه عدد كبير من الاطباء المعروفين نذكر منهم فون كرافت ايبينج الذي قال عنه «انه اشد الاخطاء تكراراً في ملابس المرأة» ومنج Menge الذي اثاره السيئة في المرأة دراسة عميقة وافية

وقد ظهر اثر الفوارق الجسدية بين الرجل والمرأة من ملابسهما . ولعل هذا الفرق اوضح ما يكون في طول ساق الرجل عن المرأة مما يجعله اسرع عدواً منها . ولما كانت ملابس الرجل تظهر سيقانه بشكل جلي فأنها لا توافق المرأة وخصوصاً عند وقوفها . وهذا سبب هام من اسباب الخلاف بين ملابس الرجل والمرأة

كما ان ملابس الرجل تتميز عن ملابس المرأة ببساطتها وميلها الى التشابه . وهذا فيما اعتقد راجع الى تفوقه من الناحية الذهنية مما يغنيه عن الاستعانة بالملابس لاظهار شخصيته . وقد كانت المرأة في الزمن الماضي مخلوقاً تناسلياً خصب فاضطرت ان تستغلّ الملابس لعدة اغراض : كوسيلة للفتنة والاستعاضة بها عن حياة النشاط التي كانت تنكرها عليها الطبيعة والتقاليد . أما الرجل فلم يفكر في استعمال الملابس كمنبه من هذا القبيل الا في القليل النادر

ثم ان بين الملابس والحياة التناسلية علاقة اخرى مباشرة : هي اثر بعض مواد الثياب في الجلد . فان الملابس الصوفية والفراء مثلاً من المنبهات التناسلية . وقد شبه ريان أثرها في الجلد بالسياط . وللقطيفة اثر مماثل لهذا ايضاً . كما ان المنبهات الناتجة عن الشم لها أثرها في هذه الناحية . وقد كتب احدهم الى زوجته خطاباً يصف فيه شعور اللذة الذي يبعث الى نفسه من دفن رأسه في فرائها واستنشاق رائحتها . وهو يعزو سحر المرأة وسيادتها الى اثر الفراء فيها !

واذا كنا قد ذكرنا ان ملابس الرجل اقل خضوعاً لرق الموضة من ملابس المرأة فاننا نذكر الآن ان المرأة قد بدأت تنحو نحو البساطة وبدأت تتحرر من اغلال الموضة وتشاد على اساس الصحة والفائدة . ومما يستحق الذكر ان المرأة نفسها هي التي تقود هذه الحركة . وهذا دليل جديد على العلاقة الوثيقة بين الشخصية والملابس ، لاننا اذ نطبق هذه النظرية لا نرى في ميل المرأة نحو بساطة الملابس الاً أثراً منطقيّاً لتحررها . ونحن لن نجد مثلاً افضل لحرية الملابس ومطابقتها للبساطة وقواعد الصحة من ملابس المرأة اليابانية . على ان الموضة لا تزال كما كانت في الماضي هي صاحبة السلطان على الملابس النسائية ونحن نرى اثر ذلك كل عام في الاكتشافات الجديدة وفي وسائل التحسين والتجميل وفي طرق الاظهار والاحفاء وفي غيرها من الوان التحايل التي تدخلها عليها .

ولم يظهر لهضة المرأة بعد سوى أثرٍ واهٍ ضعيفٍ في سبيل تحرير ملابسها من رق الموضة
العلاقة بين عاطفة الحشمة والعري في الحضارة الحديثة : — رأينا كيف ان الموضة في مظاهرها
المختلفة تعمل على اضعاف الشعور بالجل . ولكن الملابس من ناحية أخرى هي السبب الوحيد
في ظهور عاطفة الحشمة . فالحشمة لا تعرف الا الانسان الذي يستر جسده بالملابس وتنكر الانسان
العاري كل الانكار . وهي ترفض الاعتراف بالآثار الخلقية والادبية للعري الطبيعي : فان هذه
الحالة من وجهة نظرها نابية على الآداب باعثة على النفور والاشمئزاز . ونحن — الفريق المتحضر
من الانسانية — يجب ان نغزو الى الحشمة السبب في ضياع مزاج العري الطبيعي من اذواقنا وكذلك
السبب في ضياع عاطفة الجل الطبيعية

فالعري الطبيعي — وهو الحالة التي يأتي بها الانسان الى هذا العالم — يخرج عن ان يكون
موضعاً لتأمل الرجل ذي التفكير السليم الذي لا يرى في الجسم العاري شيئاً يخالف ما يراه في
الجسم المغطى بالثياب . والناس المحتشمون يصرحون بهذا حين تتاح لهم الفرصة لرؤية مناظر العري
في حالة طبيعية اثناء الاستحمام . ولا يصبح للعري أثر منبه للشهوة الا حين تدخله عمداً تلك
العوامل الصناعية التي تؤثر في العاطفة الجنسية . فالحشمة اذن ليست الا نظرة خاصة ازاء العري
تحتوي في طياتها الشهوة

ان اخفاء الامور الطبيعية هو الذي يبعث رغبة الانسان فيها ويهيج شوقه اليها . وقد بالغ
الناس في هذا العصر في عاطفة الجل الطبيعية وتشددوا في كبت نواح طبيعية من الاحساس
والنشاط فأدى ذلك الى زيادة الرغبات الخبيثة زيادة كبيرة . وليس هذا في الواقع الا وقوداً جديداً
يضاف الى نار الشهوات الجسدية أما شعور الجل الطبيعي الاول فانه يضعف من الشهوة . واليه يرجع
الفضل في السمو بالعاطفة الجنسية . وهو وثيق الارتباط بالامتناع الاختياري المؤقت الذي لا ينكر
شأنه في حياة الانسان كما انه هذب الغريزة الجنسية دون ان ينكر مطالبها

والثقافة الكاملة تقتضي البراءة التامة . وهي تنكر كل الانكار عملاً كالذي اتاه ذلك القسيس
المصاب « بمرض الشمة » حين هشم الاعضاء التناسلية لبعض التماثيل القائمة في متحف درسدن ،
كانها لا تجرد الروح الانسانية من الشعور الجنسي ولكنها ترى في العاطفة الجنسية امرأ نبيلًا طبيعيًا
ان الشعور بالجل حادث مكتسب من الحضارة ولا يمكن تحويله : هو احترام الذات . ولكن
هفوك ليس يقول بحق ان احترام الذات في الانسان المثقف الراقي يقف حائلاً دون الغلو في شعور
الجل . لان المعرفة والثقافة تكبح الحشمة الزائفة . والانسان المثقف يحاول ان يكون طبيعيًا
في كل شيء ، وهو يرى في الحياة التناسلية جزءاً هاماً لا يتجزأ من الحياة العامة : يرى شيئاً
معقولاً لا ضرر منه ولا يجوز الاستخفاف به كما لا يجوز الغلو في تقديره كما يفعل المنافقون
في تقديرهم للحشمة

السيكولوجية الحديثة

التحليل النفسي

لـ **سيمون فام**

فرويد

عقل فرويد خصب جداً في ابتداع النظريات ، يرسلها ارسالاً كلما وجد حاجة ماسة اليها ، وكلما وجد انها تتفق مع ما يقابله في علاجه من العقبات . انه لا يعنى كثيراً بتحقيق هذه النظريات وجمع الادلة عليها من الواقع او من التجارب في المعامل النفسية ، لا يفعل هذا لانه لا يؤمن بالسيكولوجية التجريبية كما قدمنا في مقال سابق ، ولا يفعله ايضاً لانه معني بمعالجة الحالات التي تعرض له دون ان يهتم بالسيكولوجية نفسها كعلم قد ينفع وقد لا ينفع في شفاء الامراض ، وكل ما يهتم به هو هل تنطبق النظرية على تلك الحالة المعينة بذاتها التي يعالجها في وقت معين او لا تنطبق ؟ قلنا في المقال السابق ان برور وفرويد وجدا صعوبات في تنويم المرضى منها انه يستعصي على بعضهم ومنها ان بعض من ينام منهم يصبح مفتوناً بالطبيب ، فخل برور هذه المعضلة بان ترك هذا الضرب من العلاج تركاً باتماً ، واما فرويد فقد حلها بان اغفل التنويم من طريقته في العلاج واستعاض عنه بشيء يشبهه قليلاً ويفضي الى النتيجة نفسها ، وهو ان يضع المريض في حالة بين بين ، يجلسه على مقعد مريح ، ويوحي اليه بالطمانينة والثقة ، وانه حر في ان يقول ما يشاء من غير حاجة الى التردد او محاولة كبت بعض الخواالج النفسية ، وبعبارة اخرى استعمل فرويد طريقة تداعي الخواطر بدلاً من التنويم ، فوجد انها تنفع في الحالات التي كانت تستدعي التنويم ونظريته في تداعي الخواطر « Association » هي انه لا بد من ان تقود المريض الى الكشف عن علته الاصلية وعمل الطبيب الذي يكون قد ألم بعوارض المرض وعرف تاريخه وملازماته هو ان يترقب الخواطر التي تكون لها صلة مباشرة او غير مباشرة بالمرض ، وان يبحث فيما يقصه المريض عنه يجد علاقة بينه وبين مرضه ، فيدله على هذه العلاقة ويفتح ذهنه ، ويعينه على ان يضع الاشياء في مواضعها الاصلية من غير مبالغة او مغالاة او اغراق ، والمرض النفسي هو في الواقع نوع من الاغراق والمبالغة في الاهتمام ببعض المشاعر والرغبات

ولكنه وجد ان بعض المرضى يغربل تلك الخواطر والمشاعر ويختار منها ما يصرح به وما لا يصرح به ، فيحكم عقله فيما يقول وفيما لا يقول ، فإكان من فرويد الآن انه سارع ووضع نظرية المقاومة Resistance ليحل هذا الاشكال ، زاعماً ان في المريض شيئاً او قوة او ملكة او سمه كما شئت وهذا الشيء يدفعه لان يداري عن بعض المشاعر النفسية ويحتجزها في قرارة النفس كأنه يبقى عليها ليوم آخر او لظرف آخر ، او كأنه لا يملك افشاءها لسبب من الاسباب يحمله هو نفسه في معظم الحالات

اخذ فرويد يبحث في هذا الشيء الذي يبقى على بعض الحقائق ويضن بها ان تعلن فيما بين الناس او فيما بين المريض ونفسه ، اخذ يتساءل عن السر في هذه المقاومة ، ولماذا يقاوم المريض اصلاً اذا كان الافشاء لا يقصد به شيئاً سوى شفاء المريض وردة الى حالة الصحة والسلامة . ما الباعث على هذا ؟ وكل الامور تدل على انه من حق الطبيب ان يعلم ومن حق المريض لابل من واجبه ان يتكلم ثم اخذ فرويد يجادل مرضاه ويقنعهم ان يذكروا له كل ما يعن لهم من غير ان يتخيروا شيئاً للكلام فيه وشيئاً للضن به ، فكان من المرضى من يقول ان ما يحتجزه هو في الواقع شيء سخيف وتافه لا شأن له في الموضوع ، ومنهم من يقول صراحة انه لا يفضل ان يتحدث فيما توارد على خاطره في تلك اللحظة لانه لا يقدم ولا يؤخر في العلاج ، ومنهم من كان لا يقول شيئاً ولكنه يتردد في الحديث ويبدو عليه هذا التردد وانه يجاهد نفسه في اخفاء شيء بذاته

ولكن ما هذا الذي يصر على التضييل بفرويد ؟ ليس هو المريض بالطبع لان المريض قد حضر ليتعالج وليس ليقاوم الطبيب ويسد عليه المنافذ ، لم يأت ليجاهد ويناهض ويرتأي الآراء فيما له شأن في العلاج وفيما ليس له ذلك الشأن . وانما اتى طائعاً مختاراً ليسلم نفسه للطبيب ويخضع لنصحه ومشورته ، حار فرويد في هذه الظاهرة زمناً ، واجتهد زمناً آخر ، واذا هو يتقدم للعالم ، ذات يوم ، بنظرية طريفة ، وهل يفعل فرويد شيئاً سوى ان يقدم للعالم نظرية لا ية حالة معينة قد تقع بين يديه

ومحصل هذه النظرية انه قسم العقل الانساني ، او النفس الانسانية ، او الشخصية ، او سمها كما شئت الى قسمين قسم واعٍ شاعر بما يعمل ، وهو ما يحسه الانسان ويعمل بناءً على مشورته ، عارفاً في الوقت نفسه انه ينشط ويتصرف اجابة لداعي هذا القسم ، ثم سمي هذا القسم بالواعية Conscious ، وقسم آخر يشعر ايضاً بما يفعل ويريد ، ويعرف الدواعي لهذا الفعل وهذه الارادة ولكنه يخفي جميع هذه عن الانسان نفسه ، ويخفيها ايضاً عن الواعية نفسها ويضن بها ان تعرف في اي حال من الاحوال . ومع ان هذا القسم مستور خفي ، لا يحسه احد ولا يشعر بوجوده

احد الآخر أنه يملك من الوسائل ما يجعله يستطيع ان يستخدم الواعية كيف يشاء ومتى اراد ، وهذا القسم اسماء العقل الباطن Unconscious ، والعقل الباطن هذا له اغراضه وغاياته التي يسعى الى تحقيقها ، وهو يحققها بجميع الوسائل المشروعة وغير المشروعة ثم يطلب الى الواعية لا بل يأمرها ان تسوغ هذا التصرف امام الناس وأمام نفسها بأية طريقة تراها منتحلة له من الاعذار ما يرضيها ويرضي الناس ، هذا شأنها الذي لا يتدخل فيه العقل الباطن ولا يعنى به بحال من الاحوال

ولكن هل حقق فرويد نظريته هذه ؟ هل أجرى عليها التجارب العلمية المطلوبة ؟ هل اختبرها بشكل يقطع كل شك في صحتها ؟ هل يستطيع ان يجزم ان العقل الانساني ينقسم الى واعية ولا واعية ؟ لا بل هل يستطيع ان يجزم بأن العقل الانساني ينقسم اصلاً ، واذا انقسم فهلاً يفعل الا بهذه الطريقة وبهذا الوضع ؟ وما هي التجارب العلمية التي اجراها حتى يتحقق من هذا الزعم ؟ اما فرويد فانه لم يجر تجارب اصلاً ، ولم يحاول ان يتحقق بوجه من الوجوه من صحة هذه النظرية لا بل زعم انه لا يستطيع التحقق من صحتها بالوسائل السيكلوجية المعروفة لدينا في الوقت الحاضر ، وكل ما نعرفه عنها الآن انها قد تصدق وقد لا تصدق . وكل ما يقوله فرويد هو ان هذا هو الاساس الذي أسير عليه في علاجي ، وأرى انه يفيد ، وأرى انه معقول ، ثم ارى انه ينطبق على الحالات التي تعرض لي ، وتستطيع ان ترى صحة هذه النظرية اذا ما دقت النظر في الحالات التي تعرض عليك

ولسنا جديلاً بأن هذه النظرية صائبة ، وانها هي الواقع والحق ، فاذا بعد ذلك ؟ ما هو السبب الذي يدعو الى المرض العصبي في هذه الحالة ؟ العقل الباطن يريد شيئاً فيفعله ، يسعى الى شيء فيحصل عليه ، ويطلق الواعية على الناس وعلى الانسان نفسه لتسوغ هذا التصرف او هذه الشهوة ، فأن العقدة في هذا اذن ؟ ولماذا تنشأ العقدة Psychoses or Complex اصلاً في هذا النظام ؟

عرضت هذه الاسئلة لفرويد كما عرضت لنا الآن . نحن نقف عندها حائرين ، واما هو فلا يحار لانه يحل هذه المعضلة بنظرية اخرى او بتعديل في نظريته الأصلية ، فقد قلنا ان عقل فرويد خصب في اختراع النظريات فبعد ان قسم العقل هذا التقسيم ، عاد فقسم النفس الى ثلاثة أقسام حتى يستطيع ان يوجد مجالاً للعقدة في المرض النفسي او العصبي ، لان العقدة في المرض العصبي كما لا يخفى هي معضلة لم يجد الانسان لها حلاً معقولاً يريح النفس ويجعلها تتفرغ لشؤونها ، واما هي موضع للنزاع العنيف بين بعض عناصر النفس

زعم فرويد ان العقدة تنشأ من ان النفس تنقسم الى ثلاثة أقسام ، اولها هو النفس النزوعة Id. او هي ممكن الرغبات والميول والشهوات ، هذا القسم أناني لا يسعى الا لتحقيق شهواته واهوائه

انه شهوة مستعرة مستديمة ، تطلب شيئاً في كل حين ، وتنزع الى اطفاء غلتها في كل آن ، ليس عليها الا أن تطلب وتلحف في الطلب . لا تفكر الا في نفسها ، وفيما تستطيع ان تحققه لنفسها من المنافع والذات ، هذا القسم هو في جوهره الرغبة والطلب والشهوة والهوى وهناك قسم آخر وهو الشخصية Ego ووظيفة هذا ان يصل فيما بين الانسان وبين الدنيا الخارجية عن ذاته objective التي تحيط به ، بهذا القسم تتصل عن طريق الحواس بالاشياء والاشخاص والآراء ، وبه تتفاعل مع هذه الاشياء والاشخاص والآراء ، به تقوم بوظيفتنا في المجتمع ، بأخذنا الى الديوان ، ويقابلنا بالرئيس ويجعلنا نفهم ما يطلبه منا الرئيس ، ويحرص على ان لا نغضب هذا الرئيس ، او نغضب غيره من ذوي النفوذ والسلطان ، ثم به تؤدي ما يطلب منا في الديوان وفي غيره ، ثم يعود بنا الى المنزل حيث نستريح ونستمتع بالحياة

لو سكت فرويد عند هذين القسمين لما استطاع ان يحل المعضلة التي اعترضتنا ، لاننا لو سلمنا جدلاً بصحة هذا التقسيم لما استطعنا ان نرى سبباً للأمراض العصبية تنشأ في النفس وتصيبها فنعطها عن ان تؤدي وظيفتها ، فانا نستطيع ان نرى انه من الميسور جداً ان يكون في النفس فئان مثل هذين ومع ذلك تعيش بمنجاة عن الامراض العصبية ، تستطيع الشهوة ان تتحقق ، وتنال ما تريد من اللذات المحللة والمحرمة ، وتستطيع الشخصية ان تقوم بوظيفتها من اصال الانسان بالعالم الذي يحيط به في نفس الوقت ، يستطيع كل من هذين القسمين ان يقوم بوظيفته من دون ان يعطل الآخر ومن دون ان يكون ثمة حاجة الى عقدة تنشأ في نفس الانسان ، وبعبارة اخرى لا يستطيع هذا التقسيم ان يعطي سبباً معقولاً للمرض النفسي

وهنا يأتي القسم الثالث من النفس الانسانية حسبما يراها فرويد ، ذلك القسم عجيب حقاً لانه لا يمكن التحقق من وجوده بأي طريقة علمية فيما نرى . لقد اقترحه فرويد وعلى العالم العلمي ان قبله او يرفضه من غير سؤال او جواب شأننا في معظم ما يتقدم به فرويد . هذا القسم يحل الاشكال في رأي مدرسة التحليل النفسي ، ثم ان هذه المدرسة تزعم ان له وجوداً فعلياً في الواقع ، اما كيف تثبت من صحة هذه المزاعم ، كيف تثبت وجوده من غير ان يتسرب الى منطقنا الشك فهذا لا يعني تلك المدرسة على الاطلاق . لقد قالت انه موجود ، وقالت ايضاً انه ينطبق على جميع الحالات التي تعرض لاطباء هذه المدرسة وكفى ، ليس لهم شأن بالشكوك التي تساورنا من جميع النواحي ، ذلك لان السيكلوجية الاكاديمية سيكلوجية ترتاب وتشك في كل شيء ما لم تصدمها الحقائق صدماً عنيفاً ، وما لم يتعدّر عليها الشك بوجه من الوجوه ، ثم يجب ان لانسى ان فرويد ومدرسته لا تقيم وزناً للسيكلوجية الاكاديمية اصلاً ، فاذاً عليها ان تشك هذه المدرسة او تنكر !

سار فرويد ومدرسته لا يوليان على شيء ، ولا بقيان وزناً لتلك الاعتبارات، فرضا وجود هذا القسم فرضاً ، وسمياه النفس العليا Super-ego ، وهو شيء اشبه بالضمير في اللغة السائدة ، له مثله العليا وهي النفس الانسانية في اعلى مراتبها ، او هو الانسان كما يجب ان يكون ، ليس كما هو الآن في الواقع ، هذا الشيء خاص بالانسان دون جميع الخلائق ، هو عبارة عن المثل الاعلى ، وأقرب تشبيه له هو نظام الاشكال عند افلاطون او كانط Kant's Categorical Imperative ، وهذا زئنه فيما نرت من آباءنا وجدودنا ، ولكنه ينمو فينا من الطفولة على ممر الزمن بشكل من الاشكال ولكن مبادئه والمقاييس الاخلاقية عنده لا تتغير كثيراً ولا قليلاً

ولنعد الآن الى العقدة او المرض العصبي كيف ينشأ فنقول ان العقدة تنشأ من نشاط هذه الثلاثة الاقسام في النفس الانسانية ، بشرط ان يكون نشاطها في وجهات متضادة ، ويزعم فرويد ان هذا هو الحال مع كل انسان في الوجود عاقلاً كان او مجنوناً ، مريضاً او سليماً ، فهو يقول في هذا الصدد « مرضاي هم الانسانية كلها » فكل منا في رأيه عقدة نفسية ، او كل انسان مريض في جانب من جوانب النفس ، والانسان العادي السليم خرافة من الخرافات لا وجود له ولا اثر . بالطبع تختلف درجات الصحة والمرض باختلاف افراد الناس ، ولكن كل الناس مرضى على اي حال وينشأ المرض بهذه الطريقة : — يريد الجزء النزوع منا Id امرأاً وليكن كبيرة من الكبتات ويلجف في هذه النزعة وتلك الارادة الخافاً شديداً حتى لا نجد راحة او هنة الا في اجابته الى مطلبه ، فتحاول الشخصية الواعية Ego اجابتها الى هذا المطلب فلا بد وان تصطدم باحدى عقبتين ، قد تصطدم اولاً بالالوضاع الانسانية ، او بالشخصيات الانسانية الاخرى ، فترى ان تحقيق هذه الشهوة متعذر لسبب من الاسباب ، فتعود عليها (على الـ Id) فتخاصمها وتقاومها ، وتستعر بينهما الحرب الى درجة تصيب الانسان بالمرض العصبي

او قد لا تجد من الدنيا الموضوعية Objective World مقاومة في تحقيق نزعة النفس هذه ولكنها تجد هذه المقاومة من النفس العليا فيشتجر الخلاف بينهما وتمرض النفس ، فكان المرض ينشأ من ان النزعة والنفس العليا تغفلان الواقع كل الاغفال ولا تهتمان الا بنفسيهما ، احدهما تريد الشر والاخرى تريد الخير بغض النظر عما تستطيع الشخصية تحقيقه من هذا او من ذاك . ان مطلب هاتين النفسين مطلب خيالي لا يمت الى الحياة الواقعية بسبب ، وما على الجزء العملي فينا او Ego الا ان يشقى بهذه المطالب الخيالية

والنتيجة ان بكل انسان في الدنيا مساً من الجنون . اما فرويد فيقبل هذا الحكم واما نحن فنرفضه

وحدة العمر

لحسن كامل الصبر في

تعالَ فقد عرفتُ حدودَ نفسي وأدركتُ السعادةَ ملءَ كأسِي
تعالَ إليَّ وأملأُ رَحْبَ حِسِّي فأني اليومَ لستُ خيالَ أمسِ !

تعالَ فهذه الدنيا حَيَالِي رسومٌ لم تَجَمَّلْ بِالظلالِ
وأنتَ ملاذُ أَطْيَارِ الخيالِ وأنتَ لريشتي اسمي مِثَالِ !

تعالَ فقد تحطَّمتِ الكؤوسُ ومالت من تقاعُسلِها الرؤوسُ
وتاهت في ضلالتِها النفوسُ تعالُ إليَّ تتبعكُ الشموسُ !

تعالَ إليَّ يتبعكُ الشروقُ وتلمعُ من خواطرِكَ البروقُ
فقد سكرَ الظلامُ فما يفيقُ وطالَ على مناجيكِ الطريقُ !

تعالَ ، تعالَ أَسْمِعْنِي غِنَاءَكَ ! تعالَ ، تعالَ صَوِّرْ لِي سَمَاءَكَ !
تعالَ ، تعالَ أَشْرِ بَنِي ضِيَاءَكَ فأني اليومَ ظَنُّوا أَرْاءَكَ !

تعالَ خَيْرَتِي اخذتُ نُؤَلِّي ! تعالَ فرغبتني بدأتُ تصلِّي
وتنزعُ عن تساميتها التدلِّي ! تعالَ فأنتَ اسرارُ التجلِّي !

تعالَ ، تعالَ طَهَّرْني بِنَارِكَ وأهلني لِأَمْزَجِ فِي سَوَارِكَ
تعالَ إليَّ طَهَّرْني وَبَارِكَ فَوَادَا ظِلَّ يَفْنَى فِي جَوَارِكَ

تعالَ فَأَنْقِذِ الْإِيمَانَ مِمَّا يحاولُ أَنْ يَحِيلَ الطُّهْرَ إِنَّمَا
ويعمنُ فِي اجتذابِ النفسِ رَغْمَا فما أَقْسَى الْحَيَاةَ تَفْيِضَ لَوْمًا !

تعال فهذه كَأْسُ الليالي يحومُ على حفافِها خيالي
وتلمسها يدُ تدري مآلي فتقصيني، وأي يدٍ أبالي !

تعال فهذه اليدُ كم أشارتْ وحامت في الظلام وما توارتْ
وأزعجتْ النفوسَ وما استثارتْ يداً أقوى تحطمها، فجارت ... !

يدُ الأقدارِ تزعجني دوماً وتَشْهَرُ في سكينتي السَّهما
وتملأُ رَحْبَ إحساسي زحاما تعالْ خَوِّلِ الدنيا سلاماً !

سألنمُ كُؤُوتِي وأظْلُ أرنو الى الأفق البعيدِ وأنتِ تدنو
ونورُ الفجرِ يغمرني ويحنو عليَّ صباحهُ وسناكُ يدنو

ستسمع أنت أمواج الاغاني ترددها مزاميرُ الزمانِ
وتخلدُ في الصدى والصوتِ فانِ فهل لك ان تخلصَ لي كياني ؟ !

ستختلف الحياةُ امام عيني تمرُّ طيوفُها وتغيب عني
وتفنى في محيطٍ من تمنني وأحلامٍ تلوحُ بكلِّ لونِ

وما أنا غير طيفٍ من رؤاها تأخَّرَ حينُهُ حتى يراها
ويعرفُ ضعفها ومدى فُؤاها وفرحهُ وتبكيه مُناها

تعالِ فربما جاوزتْ داري فتجذبني الحياةُ الى قراري
فأمشي بين أضواءِ النهارِ الى ليلى ويهزأ بي انتظاري

تعال وفي أحلامٍ وروحُ ! تعال وفي أطيافٍ وروحُ !
تعال وفي أضواءٍ تلوحُ ! تعال وفي أعطارٍ تفوحُ !

تعال فقد بلغتْ حدودَ نفسي وأطمعُ أن أحققَ طيفَ حُدُسي
فهل لك أن تذيب ثلوجَ بآسي وتمزجَ حاضري بغمدي وأمسي ؟

الالتزام العلاجي القروي

اجمال وتعليق

للدكتور كامل هلال

شاهد الطبيب النابه الدكتور محمد خليل عبد الخالق بك - استاذ علم الطفيليات في كلية الطب المصرية ومدير معهد الابحاث ومستشفى الامراض المتوطنة بمصلحة الصحة العمومية وسكرتير الجمعية الطبية المصرية - يؤس السواد الاعظم من سكان الريف المصري وتقشي الامراض المتوطنة والوافدة بينهم وعجزهم عن اسعاف انفسهم بالتداوي الفني الصحيح لشدة إعسارهم مع ان الاطباء القانونيين متوفرون في البلاد وكثير منهم في أشد الحاجة الى مرضى يؤاسونهم ويكسبون عيشهم من مهنتهم التي توفروا على دراستها فوضع مشروعاً تقوم الحكومة بمقتضاه بعمل الوسيط بين هذا الجمهور المحتاج من المرضى واولئك الاطباء المستعدين لخدمته فتستفيد الجهتان وتُسعد البلاد وهذا العمل لا يعدُّ بدعة في الحكومة المصرية . ليست هي التي تقوم بجميع شؤون الري والصرف في جميع جهات القطر ، وكذلك بتوفير سبل المواصلات على انواعها . ليست الحكومة هي التي تقوم بالتعليم العام على مختلف درجاته . ليس لها في الاعمال الصحية القدر المعلى فيها مستشفياتها العديدة من ثابتة ومتنقلة يتوفر فيها العلاج لمئات الالوف من المرضى . ومشروع الدكتور عبد الخالق بك هذا الذي دناه « الالتزام العلاجي القروي » ليس الا صفحة جديدة تضاف الى سجل كبير من الاعمال المجيدة من الخدم الصحية العامة وتكون متممة له

ويلخص هذا المشروع بأن تعين الحكومة لكل عشرة آلاف من القرويين الذين يملك احدهم اقل من عشرين فدانا من الارض او يدفع ضريبة اقل من عشرين جنيهاً في السنة طبيباً واحداً يعيش في وسطهم ويقوم بتطبيبهم واسعافهم وصرف العلاج مجاناً لهم ويحفظ في عيادته سجلاً لكل مريض منهم ويبلغ عن امراضهم السارية ويحرر شهادة الوفاة للمتوفين منهم . وتمهيداً لتنفيذ المشروع يوضع احصاء للاشخاص الذين سوف يشملهم ويعطى كل فرد منهم وثيقة تضع في شكل قرص نحاسي بنقش عليه رقم خاص للشخص ولبلدته ومركزه يعاق في عنقه حرصاً عليه من الضياع والتلف

فيرزّه عند كل زيارة للطبيب الذي عليه ان يرجع اليه عند تحرير شهادة وفاة صاحبه . ويحفظ الطبيب بطاقة خاصة لسكل فرد من سكان منطقته الذين يلتزم علاجهم يثبت عليها ارقام ذلك الفرد الخاصة وفقاً لوثيقته ويدون فيها الطبيب تاريخ الفرد المرضى . وقد ترك على سبيل الاحتياط الحرية لكل فرد ان يختار طبيبه لمدة أربعة أشهر على الاقل من بين الاطباء المجاورين لمنطقته مراعيًا أن لا يزيد عدد زبُن كل طبيب عن ١٥٠٠٠ نفس حتى لا يرهق ولا ينقص عن ٥٠٠٠ حتى لا يزهّد

والحكمة في هذا الاختيار هي أولاً للاستدلال من جانب اولياء الامر على حسن قيام الطبيب بواجبه من شدة اقبال المرضى عليه وبالعكس في حالة انصراف المرضى عنه وثانياً لترك المنبه الطبيعي وهو حب الكسب والفائدة يعمل عمله لانه كلما كثر عدد المرضى زادت فائدة الطبيب المادية كما ستري بعدئذ

وقد قدّر صاحب المشروع عدد الاشخاص الذين يشملهم هذا المشروع بنحو ١١٥٠٠٠٠ راجحون الى ١١٥٠ طبيباً وهو عدد متوافر في البلاد . وان عدد المرضى الجدد الذين سيتولى كل طبيب خصهم يومياً ما بين ٣٠ و ٦٠ مريضاً

ويرى المقترح ان ايراداً شهرياً في نحو الخمسة والعشرين جنيهاً مصرياً لكل طبيب وخصوصاً للاطباء المبتدئين يكون مكافأة عادلة وبالطبع سيدفع من اصلها اجر سكنه وعيادته واجرة خادمه ووسائل انتقاله التي لا ينتظر ان تبلغ اكثر من ربع المبلغ . وهذه المكافأة تدفع للطبيب من جانب الحكومة بمعدل قرش ونصف عن كل فرد يحفظ بطاقته في عيادته مرض او لم يمرض . ومن جانب الافراد بمعدل خمسة مليات عن كل استشارة طبية وعشرة غروش عن كل زيارة بيتية نهائياً وضعفها ليلاً . والحكمة في فرض جعل على المريض عن كل مراجعة هو كي لا يرهق الافراد الطبيب ويسرفون في العلاج سواء اكانوا في حاجة اليه ام لم يكونوا . فجعل هذا الرسم التافه الذي لا يعسر اي فرد عن تداركه تأميناً لعدم سوء استعمال المرضى لهذا الحق

وقد نصّ المشروع على ان الحكومة تجهز عيادة كل طبيب بلوازمها الضرورية وتلفون حكومي وتمده بما يلزم من الادوية الجاهزة للصرف كما هي الحال في العيادات الخارجية في المستشفيات تصرف للمريض باناء يتداركه هو من عنده

وقد ترك المشروع الحرية للطبيب في أن يعالج من يشاء من غير افراد العلاج الالتزامي مقابل اجر يتقاضاه منهم باختياره . وهو كذلك مخير في تحويل اي مريض من زبُنِه الى اقرب مستشفى اذا وجد ان تداويه في عيادته غير ممكن على الوجه الاكمل اما لنقص في ادويته او لحاجة المريض الى عملية جراحية او خدمة خاصة غير متوفرة لديه

ولضمان حسن سير العمل يرى حضرته ان اطباء الصحة يجب ان يقصروا همهم وكل وقتهم على اعمالهم الصحية حتى لا يكونوا مزاحمين لاطباء الالتزام وانما يكونون مراقبين لهم كما وانه يرى لزوم تعيين نحو ٢٣ طبيباً مفتشاً يقومون بالتفتيش الدقيق على اعمال اطباء الالتزام . كما ان المشروع هذا لا يتعرض لاعمال المستشفيات المركزية التي أنشئت او التي ستنشأ تكميلاً للبرنامج الموضوع بل يرى انها لازمة لتكون الملجأ الاخير للمريض الذي لم يمكن تداويه عند طبيب الالتزام كما بينا أعلاه اما نفقات هذا المشروع فيقدرها كما يلي :

| | |
|---|---------------------|
| مكافأة اطباء الالتزام وعددهم ١١٥٠ | ١٧٢ ٥٠٠ جنية سنوياً |
| قيمة ادوية ومرتب عشرة صيادلة لتحضيرها | » ١٠٠ ٠٠٠ |
| مكافأة اطباء صحة المراكز نظير انقطاعهم عن العمل لحسابهم | » ١٧ ٠٨٨ |
| مفتشون للمشروع عددهم ٢٣ مفتشاً | » ١١ ٥٤٠ |
| تجهيز عيادات الاطباء بالادوات الكتابية ولوازم التبريد والتليفون | » ٣٤ ٥٠٠ |
| الادارة المركزية من مدير ووكيل وكتبة اداريون | » ٠٠٣ ٠٠٠ |
| ادوات واحتياطي ونفقات انتقال وبدل سفر الخ | » ٠٠٩ ٣٧٢ |
| | ٣٤٧ ٥٠٠ |

وهذا المبلغ يوازي نحو سبعة بالمائة من المال المربوط على عموم الاطيان في القطر المصري يجوز توزيعها بين مصلحة الصحة ومجالس المديرية وضريبة اضافية على الاطيان لا تزيد عن ثلثة بالمائة التي ينتظر ان يدفعها الممولون عن طيبة خاطر لما سينالون من الفائدة من هذا المشروع . نعم ان صاحب الثروة التي تزيد عن العشرين فداناً سيدفع الضريبة للمشروع من غير ان يستفيد منه بنفسه ولكن عماله ومستخدميه سيستفيدون فيزداد انتاجهم فيعوض هو ما دفعه اضعافاً ومع ان هذا المشروع جميل المبني واضح المعالم قريب التناول ينم على ما تحلت به نفس واضعه من مزية الانشاء والابتكار وما اتصف به من التدقيق والبحث العلمي فقد قامت ضده اعتراضات عديدة نلخصها بما يلي

- (١) - ان هذا المشروع هو بمثابة وضع سقف البناء الصحي قبل اساسه والمقصود بالاساس هو اصلاح القرية وتوفير مياه الشرب النقية والتخلص من الفضلات بصورة فنية
- (٢) - ان برنامج الحكومة لتعميم المستشفيات الحكومية المركزية عند اكمله يغني عن مشروع الالتزام هذا ولذلك فما ينتظر اتفاهه على هذا يجب ان ينفق في تميم انشاء المستشفيات
- (٣) - ان اطباء الالتزام سوف لا يجدون منازل في وسط كثير من القرى تناسب

لهم فيها

جزء ٥

(٤) — ان مشروع الالتزام سيفرض الطبيب فرضاً على مرضاه ويحد من حريتهم بينما مشروع التأمين الطبي التعاوني المعمول به في بعض الاوساط يفضل عليه فيجدر بالحكومة تعميم هذا التدبير الاخير وراحة نفسها من فرض ضرائب جديدة

(٥) — ان احتياج المشروع الى عدد كبير من الاطباء ١١٥٠ دفعة واحدة سوف لا يخلو من صعوبة باختيارهم من بين الاكفاء وربما يؤول ذلك الى تسرب عدد من غير الاكفاء اليهم ، وفرض الاعتماد عليهم على اناس قداما يستطيعون تمييز كفاءتهم

(٦) — ان دفع الخمسة المليارات عند كل استشارة سوف يمنع كثيرين من المرضى من الاستفادة من المشروع فتضيع الغاية التي وضع لاجلها

(٧) — ان قبول الطبيب خمسة مليارات ثمناً لاستشارته فيه تحقير للطب والطبيب ولا يخفى عن القاريء اللبيب ان هذه الاعتراضات بمجملتها لا تمنع من تنفيذ المشروع ولو تدريجياً ولا تحوي بينها سبباً جوهرياً يوجب تأخيرها او تأجيله فالسبب الاول لا يثبت عدم فائدة المشروع وانما يدل على ما يمكن ان يكون افضل او اكمل منه ولكن اذا تعذر الحصول على الافضل فلا بأس من الاكتفاء بما يليه فضلاً حتى ولو قدر لنا ان حصلنا على جميع الاصلاحات المذكورة وهي بلا جدال تعد كالمثل العليا في الانقاذ الصحي ، فشروع الالتزام هذا اذا وجد الى جانبها لا يحط من قيمتها بل يزيدها فائدة ويملاء فراغاً خاصاً يبقى موجوداً . عدا عن ان ظواهر الاحوال تدل على ان اتمام هذه الاصلاحات العظيمة سيحتاج الى سنين عديدة وملايين كثيرة لا يوجد دليل على توفرها في امد قريب

اما تعميم المستشفيات الذي بني عليه الاعتراض الثاني فلا يغني عن الطبيب الذي يداوي الفرد في منزله ويجعل له به صلة مستمرة يرجع اليه للتداوي وللوقاية فهو الصديق النصوح لزبائنه ودليل الحكومة على مواطن الخطر كما هو الحارس الصحي لمنطقته . واذا كنا سننشئ مستشفيات عديدة تكني لمداواة كل المرضى مهما كانت حالتهم بسيطة فنكون مسرفين اسرافاً لا مسوغ له . فطبيب الالتزام هو مساعد ومغذٍ للمستشفى وليس مزاحماً له عدا عن ان مشروع الالتزام قريب النضوج داني القطوف بينما تعميم المستشفيات سيستغرق كغيره من المشروعات الضخمة اعواماً عديدة واموالاً طائلة

اما السبب الذي بني عليه الاعتراض الثالث فلا يتفق مع المشاهد الواقعية . لانه في كل مكان تظهر فيه حاجة الى منازل متقنة تنشأ حالاً من جانب اصحاب الاملاك طمعاً بتأجيرها والاستفادة منها وهو عمل راجح دائماً . وحتى اذا اقتضى الامر في بعض الحالات الشاذة يستطيع الطبيب ان يتخذ محل سكنه في اقرب مركز ويكتفي بعيادة في وسط القرى

اما عن الاعتراض الرابع فاذا صحح في بعض البلدان الاجنبية وبين بعض الهيئات الخاصة المصرية فلا يصحح على الاطلاق بين الفلاحين والقرويين عموماً لان روح التعاون الصحيح لم يشع بعد في مصر التي تكاد تبدأ التدريب عليه وربما تمضي عدة سنوات قبل انتشاره وتأصله في النفوس ولا يصح ان ينظر المرضى الى ذلك العهد بل كل عاقل يرى ضرورة قيام الحكومة بهذا الواجب العام وقد تعود الاهالي ان ينتظروا كل شيء من الحكومة

اما الاعتراض الخامس فلا يبدو جديراً بالبحث فسهر مصلحة الصحة وعلى رأسها زعيمها الهام صاحب السعادة محمد شاهين باشا ونظامها الدقيق وخبرتها تكفل حسن اختيار الاطباء كما ان المراقبة المنتظمة تضمن اخراج الطبيب غير الكفء الذي يكون قد تسرب خطأ الى الوظيفة وزيادة الحذر يحوز تنفيذ المشروع تدريجياً

والاعتراض السادس هو فرض بعيد عن الواقع فبلغ الخمسة مليات زهيد لا يعجز اي فرد في الديار المصرية عن تداركه في اي وقت كان وخصوصاً عند ما تكون هنالك حاجة به للتداوي ودفع هذه الخمسة مليات يبدو ضرورياً لمنع سوء استعمال الغير المرضى وللحيلولة دون ارهاقهم الطبيب من دون حاجة او اسرافهم بالعلاج

اما الاعتراض السابع فلا يتفق مع الواقع فإنه يوجد الآن في ذات القاهرة عيادات مشتركة خاصة يتقاضى الطبيب فيها من المريض اجراً لا يزيد كثيراً عن الخمسة مليات

اما اذا توخينا الحقيقة المجردة المنزهة عن كل تحيز ، فيجب علينا ان نعترف بأن هذا المشروع مع كل ما ينطوي عليه من الفوائد العاجلة والآجلة ليس سوى حلقة صغيرة في سلسلة الانقاذ الصحي . فالحالة الصحية في القطر المصري تحتاج الى جهود جبارة وتعاون جميع القوى لاجل اصلاح المرفوق وانتشال الفلاح المصري وبالتالي الامة المصرية من الادواء التي تنخر في كيانها وكانت منذ اقدم العصور السبب الرئيسي في تأخرها في ميادين الانتاج المادية والعقلية والخلقية فهذا المشروع مع ضخامة مظهره يرمي الى تلطيف الاعراض ولا يؤثر كثيراً في اصل العلة .

اما اذا اردنا ان نمجث الداء من جذوره فعلينا

اولاً — نشر التعاليم الصحية بكل وسائل النشر من محاضرات واعلانات ومواعظ ونستخدم المطبعة والسينما والراديو والمنبر والصحافة وكل وسيلة بالامكان استخدامها

ثانياً — جعل التعليم الصحي ازامياً في المدارس على اختلاف طبقاتها من روضة الاطفال الى آخر سني البكالوريا ولكل درجة ما يناسبها . وخصوصاً في مدارس التعليم الازامي الذي شرعت الحكومة في تطبيقه يجب ان يكون لدرس حفظ الصحة منزلة ممتازة

ثالثاً — نشر الامن الحقيقي في الريف المصري فالفلاح لم يختار منزله بشكله الحاضر غرفة واحدة قليلة النوافذ او معدومتها يترك مواشيه فيها ويلصقها منزل جاره الا لكي يستطيع ان يدافع فيه عن حياته وماله من المعتدين والصوص . ومهما نصحته بتغيير هذا الطراز لعدم ملائمته الاصول الصحية فلا تجد منه مجيباً فلسان حاله يقول التعرض للأمراض من الجرائم الخفية افضل من التعرض لاعتداء اللصوص من بني البشر . فتى شعر بالامن والطمانينة على حياته وماله فعندئذ فقط يغير طراز منزله من تلقاء نفسه ويجعل اقامته في وسط حقله في منزل منفرد كثير النوافذ محاط بأشجاره المثمرة وبالقرب منه زريبة مواشيه . اما اصلاح القرية المنشود قبل نشر الامن التام فغير ممكن قطعاً . اما الطريقة او الطرق المؤدية الى نشر الامن الحقيقي فليست من اختصاصنا وعند اهل الذكر الخبير اليقين

رابعاً — اجبار اصحاب الاملاك الواسعة والتفائيش الكبيرة على اقامة منازل صحية لعلمهم وفلاحهم تتوفر فيها المياه النقية والنور ولا بأس من توضحية هؤلاء بجانب من ايراداتهم في سبيل من هم مصدر ثروتهم ويسرهم . وعندئذ تكون هذه العزب نماذج ينسج على منوالها من هم في جوارهم وتربي في ساكنيها الذوق الصحي حتى اذا انتقلوا منها ينقلون معهم فكرة التجديد فتنتشر تدريجياً ويكون الفضل لاسيادهم الاولين

خامساً — تعيين الاماكن الذي يجوز اخذ التراب منها ومقدار التراب المأخوذ حتى لا تتكوّن حفر تصبح بركاً بعد الري والّا فلا فائدة من ردم البرك الموجودة وحفر غيرها بأسرع من ردمها سادساً — اقامة مسابقة عالمية لحل مشكلة مياه الشرب في القرى حلاً عملياً قابل التنفيذ في الحال وفي تناول الحكومة والاهالي والّا فلا فائدة من الحلول غير القابلة للتنفيذ ولا فائدة من الارزاء والتسويق فالضرورة ماسة والداء فتاك ولا بدّ من تدارك الحالة بالعلاج الفعّال . ولا اظن ان العلم يعجز عن ايجاد ماء شرب نقي يتمتع به الفلاح المصري كما يفعل امثاله في كل بلاد العالم المتعدن

سابعاً — حل مشكلة المراحيض بما يتفق مع طبيعة الارض وعادات السكان حلاً سريعاً

هذه هي الحلقات السبع التي تكوّن الجزء الاول من سلسلة الانقاذ التي يتطلع اليها الفلاح المصري منتظراً من حكومته الرشيدة ان تمدها لتتقذه ونسله من لجة بؤسه وشقاءه . ومع كل ذلك ومع انتشار المستشفيات في الاقاليم فمشروع الدكتور محمد خليل عبد الخالق بك (التزام العلاج القروي) اذا نفذ بأيدي رشيدة سيكون بلا شك جزيل الفائدة

عناق الادب والعلم

مثال من الادب الانكليزي الجديد

لـ سماعيل مظهر

يحدث كثيراً ان نتناول في حلقات الادب والعلم ذكر الاساليب ، ونفرق بين الاساليب العلمية والاساليب الادبية ، ونفصل بين الناحيتين فنقول لغة الادب ولغة العلم ، وهذا اصطلاح ادبي وذلك اصطلاح علمي ، كأننا قد فصلنا بين الناحيتين بفواصل من اللبنة المدرعة بالفولاذ . وبخيل الينا فوق ذلك ان اصطلاحات كل من الناحيتين يجب ان تظل محبوسة بين تلك الجدران التي نطشها ابدية سرمدية ، ونشعر عند ما نحاول ان ندخل اصطلاحاً علمياً في موضوع ادبي ان ذلك الاصطلاح لابد من ان يستوحش في موضعه الجديد وانه لابد من ان يظهر فيه نايياً غير مساغ . والحقيقة اننا اعنا في هذه السبيل الى حد ان لغة الادب قد تنفر من لغة العلم وقد تنفر اصطلاحات العلم من ان تدخل في اساليب الادب ، حتى ان كلمة علمية ان دخلت في موضوع ادبي اخذ ذلك على الكاتب وكان موضعاً لنقده او سبباً للفرار من قراءة بحثه اولاً وآخرأ لان لغة العلم تقسد الادب . وكذلك الحال مع كاتب آخر يحاول ان يكتب في العلم بأسلوب ادبي مختار الالفاظ حسن التراكيب ، فان ذلك قد يصرف العلماء عن قراءة ما يكتب ان لم يرم بأنه اديب وليس عالماً ، وذلك لان لغة الادب تقسد العلم وقد تجلس في دوائر الادباء فتسمع احدهم يقول ان فلاناً تغلب عليه النزعة العلمية ، وما يقصد بذلك الا انه يغلب عليه جفاف العلم ومعنى هذا انه قليل الاحساس غير مشبوب الخيال . وقد يضمك المقام مع العلماء فتسمعهم يقولون ان فلاناً اديب ، وتتبع كلمة « اديب » ابتسامات لا تنفرج لما الشفاء عن الناي الا بقدر ما تعبر عن حقارة ذلك الشيء الذي يسمى الادب . وما السبب في هذا الا حقيقة مرة ، ومحصلها ان ادباءنا لم يتذوقوا العلم ، وعلماءنا لم يتذوقوا الادب في الغالب . اما الذي ينزع نزعة فلسفية فهو بين الجماعتين كالخبة بين شقي الرحي ، ان افلنت من الثقال لحقتها الهوة ، واهون ما يصدر ضده من احكام الادباء والعلماء انه ممسوس اخلق به ان يتفلسف في مستشني المجاذيب . وسبب هذا حقيقة امر من الحقيقة الاولى ، ومحصلها ان ادباءنا وعلماءنا سواء في البعد عن تذوق الفلسفة خطرت لي هذه الخواطر وانا اقرأ رواية لاديب لاشك في اني احار أسمه بالعالم ام بالادب ام بالفلسفة واحار كذلك اسمي كتابه قصة ام كتاباً في علم النفس أم فلسفة عالية في حقائق هذا الوجود الانساني اما ذلك المؤلف — وادعوه مؤلفاً لاخلص من حيرتي الاولى — فهو الدوس هكسلي . واما الكتاب — واسمه كتاباً لاخلص من حيرتي الثانية — فعنوانه « الدنيا الجديدة المسورة » — Brave New World — ولقد تعجب كيف استطاع ذلك المؤلف الفذ ان يجمع بين روائع الادب

في اسلوب سهل بعيد عن التكلف مختار الالفاظ متسق الجمل ، وبين افكار علمية في علم الحياة والنفس هي آخر ما جادت به قرائح العلماء ، وتأملات في نظام الاشياء الانسانية هي من اعمق ما يفكر فيه الفلاسفة . ولا شك انك في النهاية تقرأ قصة رائعة الخيال . ولكنها قصة يستعصى عليك ان تفهم منها شيئاً اذا أنت لم تحط بحقائق ثابتة في علوم الحياة والاجنة والوراثة وعلم النفس ومذهب بافلوف فيه ، او بفلسفة الاجتماع الاوروي في هذا العصر . فكأن الدوس هكسلي قد استطاع ان يجمع في روايته هذه بين الازداد التي لا تجمع في رأينا وفي أدبنا الحاضر الا اذا اجتمعت الثريا بسهيل ، والثريا شامية وسهيل يمانى

واعجب من هذا كله ان يستدرجك هكسلي الى هذه الاغوار البعيدة فلا تشعر الا وانت في معمل عظيم تفرخ فيه الاجنة البشرية داخل زجاجات كسيت من داخلها بمادة بريتونيه وملئت بسائل دموي تسبح فيه الاجنة ، والزجاجات تدور على رفوف متحركة فاذا ادركت الاجنة التي تفرخ فيها استخرجت لترى ضوء النهار لأول مرة . فلا ارحام اذن ولا أبوة ولا امومة ، ولا همومة ولا خوولة ولكنها البشرية المفرخة في معامل يصنعها مفرخها كيف يشاء ويدس فيها من الصفات ما يريد ويخرج منها الطبقات التي تكون المجتمع الانساني

وقد يرمز لكل طبقة برمز . فالطبقات خمس . اولها طبقة « الفا » والثانية « بتا » والثالثة « غما » والرابعة « ذلتا » والخامسة « ايسلون » على خمسة الحروف الاولى من الابدادية اليونانية ، وعلى الطريقة التي يرمز بها العلماء للاشعة المنبعثة من معدن مشع مثلاً . ولكن كل طبقة من هذه الطبقات تنقسم الى نوعين زائد وناقص . فهناك « الفا » زائد ، وهؤلاء انبع من تخرج معامل التفريخ البشرية ثم « الفا » ويتبعها الفا ناقص وهكذا الى ان تبلغ الى « ايسلون » ناقص وهؤلاء هم اخط افراد البشرية الذين ينتجهم عالم المستقبل ولكن اين المساواة التي ينشدها البلاشفة في هذا العصر ؟ هذه لا وجود لها في عالم المستقبل فكأن هكسلي يريد ان يقول ان هذه الاوهام سوف لا تستولى على انسان العصر المقبل . واين الحرية ؟ ان الانسانية المفرخة في معامل المستقبل سوف تخرج من المعامل حاملة لكل الصفات الفزيولوجية والنفسية التي تجعلها بعيدة عن التفكير في مثل هذا الخيال الفارغ . فكل سيخرج مهيناً لما سخر له . اما الحرية واما الحقوق المدنية . واما قانون العقوبات فعلى كل هذه العفاء . ولماذا يلجأ انسان المستقبل الى تلقيح المجرمين كما يفعل هتلر اليوم في المانيا ؟ يكفيه ان يختار الحيوانات التي تلقح البويضات من ذكر وانثى ليس فيهما عنصر الاجرام ولا اللجاج ولا المشاحنة ، ويكفي ان يزيد في قارورة هذا المخلوق قليلاً من مادة الكحول ليخرج حاد الذهن ، وفي قرورة ذلك قليلاً من مادة اخرى ليخرج بليداً من « ماركة » ايسلون ناقص . وكيف يستقوى مفرخو المستقبل ومربو ابنائهم على الصفات التي لا يمكن ان يتغلبوا عليها في الاجنة وهي في القوارير . صفات التطلع والشهوة الى معرفة الاشياء وامتحان كل شيء يقع تحت الحس ؟ ان هذه الصفات لدى الواقع صفات يشارك فيها

الإنسان الحيوان، وإذا قتلت في الجنة خرجت إنسانية أدنى من الحيوانات. واذن يلجأ مربو المستقبل إلى طريقة تحويل الغرائز بالوسائل العملية. وأية وسيلة أقرب من وسائل بافلوف ؟

والى هنا اشعر بعجزى عن متابعة الشرح من غير ان افصح للقارى عما هي طريقة بافلوف هذه وعلى الرغم من ان الدوس هكسلي يشير اليها اشارة ، فاني واثق من اني اذا اتبعت طريقته اكون كمن يتكلم بالالغاز . ولتطور هذه النظرية تاريخ طويل يرجع الى أبعد عصور الفلسفة اليونانية وفي المذهب القوريني احد اصولها الرائعة . لهذا اکتني بشرحها على الصورة الأخيرة التي صيغ فيها بافلوف الروسي ، وهو من معاصرينا الاحياء

ولقد حصر هذا العالم تجاربه في الكلاب . ومن المعروف ان الكلب ، ككل الاحياء المدركة ، اذا رأى قطعة من الحلوى سال لعابه ، فاستغل بافلوف هذه الظاهرة ، وهي ظاهرة من الظواهر التي تسمى « أفعالا عكسية » اي انه من الافعال التي يؤديها الجسم بقاسر ذاتي ، ومن غير ان يكون لتجارب الحياة فيها أقل اثر . وهناك كثير من الافعال العكسية بعضها اصيل وبعضها مؤصل . ومنها ما يمكننا مشاهدته في الاطفال ، ومنها ما يتأصل على قدر من العمر ومرور من الايام . فالطفل يعطس ويتنأب ويتمطى ويحول عينيه نحو النور ، ويأتي غير ذلك من الافعال في مختلف اطوار عمره وظروفه ، من غير ان يكون في حاجة الى ان يتلقها او يتلقاها عن غيره . وكل هذه الافعال تدعى الافعال العكسية او بالاحرى ، كما دعاها بافلوف أفعال عكسية أصيلة Unconditioned Reflex actions وهي بذاتها التي كانت تدعى من قبل الغرائز Instincts والغرائز المركبة لغريزة بناء الاعشاش في الطيور ، تلوح كأنها جملة مندمجة من افعال عكسية . والأفعال العكسية في الحيوانات الدنيا قلما تؤثر فيها تجارب الحياة . فان البعوضة تستمر تحوم حول الضوء حتى بعد ان يحترق جناحها . وعلى الضد من ذلك تجد الحال في الحيوانات العليا . فان تجارب الحياة لها من هذه الافعال العكسية الاصيلية ، تأثير بالغ فيها ، ولا يخرج الانسان عن حكم هذه القاعدة . ولقد قصر بافلوف تجاربه كما قلنا من قبل على سيل اللعاب في فم الكلاب . فخلص من تجاربه بالقاعدة الآتية التي استخلصها من تحول الافعال العكسية الاصيلية ، قال :

« عند ما يقترن بالمنبه الذي يبعث اي فعل عكسي اصيل او يتقدم عليه مرات عديدة الى منبه ثان ، فان هذا المنبه الثاني يحدث مع الزمن نفس الاستجابة Response التي كان يبعثها المنبه الاول في احداث فعل عكسي متحول » . Conditioned Reflex action —

فان سيل اللعاب فعل عكسي اصيل ، لا يحدث اصلاً الا عند وجود الطعام في الفم . ومن ثم يحصل عند مראي الطعام او شم رائحته ، او عند حدوث اية علاقة او اشارة تسبق مباشرة الاكل . وكل هذه الافعال يدعوها بافلوف الافعال العكسية الاصيلية . على انك تجد ان نفس الاستجابة (سيل اللعاب) واحدة في الفعل العكسي الاصيل والفعل العكسي المتحول وانه لم

يستحدث في الامر من شيء الا « المنبه » Stimulus الذي يشترك او يتحد مع المنبه الاصلي من طريق التجربة . وهذه القاعدة هي اساس كل تعليم او استيعاب للمعلومات ، واساس الظاهرة النفسية التي كانت تدعى من قبل « تداعي او اشتراك الافكار » ، واساس تعلم اللغات ، واستحكام العادات واستبدالها بالافراد والجماعات ، وعلى الجملة هي الاساس العملي لكل مناحي السلوك الانساني الخاضع للتجربة وبعد ان استرشد بافلوف بهذه القاعدة مضى يطبقها ما على يخطر بباله من ممكنات التطبيق . فانه لم يقتصر على امتحان منبهات الطعام الشهية . بل عمد الى الاحماض المكروهة ، يأخذ منها منبهات يستعملها في تجاربه ، حتى يستطيع ان يؤصل في كلابه استجابات « التوقي » ، كما يؤصل فيهم استجابات « التشهي » فبعد ان ينبه فعلاً عكسياً اصيلاً ، يعمد الى قعنه بفعل آخر . فاذا كانت العلامة او الاشارة التي يعمد اليها يعقبها نتيجة مرغوب فيها طوراً ، ونتيجة مكروهة طوراً آخر ، فان الكلب يصاب باضطراب عصبي مثل الهستريا أو النورستانيا ، وتظهر عليه كل العلامات المميزة لاحد المرضين

وبعد . فافرض انك استعصت عن الكلاب في تجارب بافلوف بأطفال تريد ان تقمع فيهم غرائز التطلع الى معرفة المجهولات و اردت ان تحول غرائزهم نحوياً لتصبح مجرد شهوات مقموعة بأفعال عكسية محولة فاذا تفعل ؟ تخيل معي الصورة التي رسمها قلم الدوس هكسلي

في مستعمرة التفرخ — ولا تنسى انها مستعمرة تفرخ بشرية — قسم للتربية ، يعهد فيه بالاطفال الى مربيات لا يعرفن حنو الامومة ولا مشاق الحمل والولادة ، فيسرن في تربية الاطفال على قواعد مرسومة لكل طبقة من الطبقات . اما الاطفال الذين يراد ان تقمع فيهم شهوة التطلع فن الطبقة الدنيا . ولكن العناية بهم من حيث تكوين اجسامهم وكفائاتهم العضلية وافية . لهذا يجب ان يعرفوا كل يوم لاشعة فيها كل خصائص الاشعة الحيوية الطبيعية في مكان يتخذونه مراحاً لهم وملعباً ، وفيما هم يلعبون ويمرحون يلقي اليهم بنسخ من الكتب المصورة التي تثير في الاطفال شهوة التطلع فاذا امتدت الايدي الصغيرة الى هذه الكتب وامتدت الانظار لتلهم ما فيها من الصور والالوان ، قذف الاولاد بشحنة كهربائية ، فتلقى الكتب الى الارض ، ويسارع الاطفال الى الاستلقاء كأفراخ ازعجهم صوت داوٍ شديد . وبتكرار هذا الفعل تقمع فيهم شهوة التطلع وتغرس فيهم استجابة التوقي من الكتب والتطلع وحب معرفة الاشياء فيخرجون آلات حسنة للتنفيذ دون التفكير

في نظام اجتماعي كهذا النظام سوف تستولي على العقول افكار زاهها متطرفة وان بدت لاهل ذلك العهد المنتظر حقائق عادية لا تثير عجباً ولا تفكيراً . فان هؤلاء سوف يتبدلون من كل العقائد القديمة عقائد جديدة ، وسوف لا يكون لآله الفضيلة كما تتصورها الآن من محل يشغله في نظام الاشياء التي سوف تقوم في المستقبل ، ولن يكون لآله من محل اللهم الا آله العمل والانتاج . فان اقسام احدهم بقسم أو قطع عهداً قال « بحق فورد » او عاهد على ذكرى « ركفلر » او اقسم باسم « اديسون » . وسوف تصبح الكاتدرائيات العظيمة والاديرة والبيع آثاراً ان دلت على شيء

فعلى الاوهام التي سيطرت على الانسانية خلال اجيال متطاولة واستعبدت العقول على مدى التاريخ الذي سطره الانسان بدمه ليقوم دليلاً واضحاً عند اهل المستقبل على توحشنا وبربريتنا. أما معابدهم ، فالمعامل الضخمة العظيمة والآلات الداوية التي يستمعون لدويها نغماً اشبه بنغم الارغن الجميل او الترانيل الهادئة التي تُسَلِّن بفتنتها اقسى القلوب في اماكن العبادة . ولسوف يسقط الايمان عن عرش الغيب ، ليعاق بعرش الشهادة . فلا ايمان الا من طريق الحواس ولا حقيقة الا بعد اختبار . اما منطق العقل وحده فذلك سوف يكون اداة ناقصة للعلم ، وخادماً للمعجز والمنظار المقرب والسموغراف ولقوائم الاحصاء ، الى غير ذلك من ادوات التجربة والاختبار

ولا شك في ان اول ما سيتقوض من بناء الاجتماع الحالي هو نظام الاسرة . لان المرأة ستشغل مقاماً اقتصادياً في المجتمع يكفيها مؤونة العبودية والاسر الذي يفرضه عليها الرجال لا شيء الا لانهم العنصر المسيطر في النظام الاقتصادي . ففي ايديهم المعامل والمصارف والجامعات والحكومات وعلى الجملة كل ما من شأنه ان يمنحهم السيطرة الاقتصادية على الجنس اللطيف . ولكن نظاماً اجتماعياً يزرق فيه كل شخص على قدر عمله وانتاجه ، لا بد من ان يفسح للمرأة فيه مجالاً للعمل لتكسب رزقها الحلال من كدح يديها وبعرق جبينها . واذن فلا تصبح للنساء من حاجة الى سيطرة الرجال واستعبادهم وتسلطهم على نصف البشرية اللطيف . ولسوف تتغير العواطف الانسانية بهذا الانقلاب الكبير فلا غيرة ولا حباً أبويّاً ولا شعوراً بامومة ولا قرابة ، وستمحي من القواميس كل الالفاظ التي كانت تدل من قبل على علاقات الاسرة ونظامها ، وتصبح في القواميس القديمة كالأثار المتحجرة في باطن الارض ، ما تذكر الا للفكاهة وما تدور الا على السنة بعض الباحثين في تاريخ البشرية في ناحية منبوذة من جامعة كجامعة اكسفورد مثلاً ، التي من قواعدها الموروثة المحافظة على التقاليد

اما الحب الذي يتغنى به الشعراء ، فسوف يصبح مجرداً عن كل المعاني التي نلصقها به الآن . فلا غزل ولا تغزل ، ولا هيام ولا غرام ، لان القاعدة الاساسية في نظام المستقبل سوف تكون قائمة على حكمة الاباحة ، وان كل فرد ملك لكل فرد آخر ، والجميع للهيئة الاجتماعية . فلا اختصاص اذن ، ولا ارتباط برباط الزوجية (المقدس) ولا غيرة ولا شهوة ولا تطمع الى ما في يد الغير ، لان الرغبات ، ستكفيها الاباحة المطلقة ، فما في يدك اليوم يكون من قسمة زميلك غداً ، وانت بعيد عن كل تبعه ، اللهم الا تأدية عمل خاص في وقت محدود ، تكون بعده حرّاً في ارضاء شهواتك واكفاء رغباتك بالطريقة التي تراها ارضى لنفسك واشهى لميولك

ولا يقف بك الدوس هكسلي عند هذا الحد ، بل يسوقك الى صورة متخيلة يصور لك فيها الفرق بين مشاعر الانسان في عصره الحاضر ، ومشاعره في عصره المقبل . ولا أريد ان اصورك نفس الصورة التي رسمها قلعه ، بل أريد ان أعدّ لك فيها بعض الشيء لعلني استطيع ان ابلغ من الوصف ما أريد . فان الدوس هكسلي يصور لك فتى وفتاة من اهل دنياه المستقبلية فكّراني

ان يزورا بقعة من بقاع الارض لا يزال اهلها يحجرون على قواعد مدينتنا الحاضرة . ولكنني اريد ان اجعل هذه الفتاة ترافقني او ترافقك فتزور بيتي او بيتك او بيت لورد من ارستوقراطي الانكليز واصور لك ما تشعر به وما يقوم في نفسها من العوامل المثيرة

فصور لنفسك انك بعثت سنة ٤٠٠٠ بعد الميلاد واخذت تنسكع فوق الاسطح — لان الشوارع ستكون ممرات للهواء لا غير — فالنقيت بفتاة على سطح ناطحة من ناطحات السحاب في لندن ، وانك توسلت اليها في ان ترشدك الى بيتك في جاردن ستي بمدينة القاهرة . اذا حدث هذا حقيقة فلا تعجب اذا ضحكت منك الفتاة الماكرة ، لان السياحة من لندن الى مصر لا تحتاج الى رفقة ، لانك تستطيع ان تحضر من لندن الى القاهرة وتعود اليها في بضعة ساعات . وكذلك لا تعجب اذا رغبت الفتاة في مرأى القاهرة لانها لا تزال تسمع ان اهلها يأكلون القواقع بالخبز المشوي في افران توقد فيها النار بوقود الخشب او القمامة . وماهي الا اشارة حتى تهبط على سطح الناطحة طائرة صغيرة الحجم ويخرج منها نصف انسان من « ماركة » اسلون ناقص وقبعته في يده ، فتستقلها لتطوي بكما الجو الى القاهرة فتبلغانها عند تمام الساعة الثانية عشرة من صباح يوم الجمعة ٢٤ مايو سنة ٤٠٠٠ بعد الميلاد . ويبحث سائق الطائرة عن مكان ليهبط فيه بطأرتة فلا يجد الا متزهاً صغيراً يسع الطائرة فيهبط بها ثم يقفز منها ليفتح لكما الباب

ولا تكاد ريفقتك تنزل من الطائرة حتى تتعلق بعنقك رهبة وفزعاً لانها رأت قطعاً من الماعز يهوي عليه ولد صغير بسوط طويل في يده والمعز تلتقط في جريها اوراق الاشجار وبقايا المأكولات الملقاة بجوار الارصفة مثلاً . فقد يستولي عليها نفس الشعور الذي يستولي عليك اذا هبطت بك طائرة الآن في أواسط افريقية ورأيت انك في وسط غابة من الغابات تمرح فيها السباع والوحوش الضارية . فاذا ذهبت بها الى بيتك ورأت ابنك يأكل الخبز القديد واسنانه تقضض فيه وشاهدت زوجك وعلى صدرها رضيع ترضعه ، عرّت عن ساقها فضل رداها واطلقتها للريح واستقلت الطائرة لتبلغ لندن عند تمام الساعة الرابعة بعد ظهر ذلك اليوم نفسه . اما سبب الفزع والهرب فلان ابنك يأكل ويطحن الاكل بأسنانه ولا يبتلعه في حبوب تغذيهِ ، ولأن زوجك ترضع الطفل . فأنت وهي وأهل مصر اجمعين برابرة ما تزالون في الطور الذي قطعت الانسانية المتمدينة شوطه منذ قرون اي انكم في الطور الذي كانت فيه الانسانية من الحيوانات الولودة

وبعد فاني اتساءل : اتبلغ الانسانية في المستقبل هذا المبلغ من التطور ؟ وهل يكون من نصيب النظمات المقدسة القائمة فيه حولنا ان تنهار وتندك الى الحضيض حقيقة ؟ وهل لنا ونحن في عصر ندعوه عصر التجديد أن نفرق بين لغة العلم ولغة الأدب ، ويظل علماءنا بعيدين عن الادب وادباؤنا بعيدين عن العلم ، ليكون مصيرنا جميعاً كمصيري مع الفتاة الانكليزية التي اقترضتها من مخيلة الدوس هكسلي لاستعين بذلك على رسم هذه الصورة العجيبة من مستقبل الانسانية

الاسنان والعمران

بحث علمي تاريخي

يرى بعض العلماء ان اسنان الناس في اوربا وأميركا صارت الآن اضعف مما كانت من قرن ونصف قرن وقد نتج عن ضعفها أن ضعف الهضم لان المضغ الجيد لازم له . واذا ضعف الهضم كثرت الامراض وقصر العمر ، وأثر ذلك في نمو الامم وارتقاءها لانه يقلل النسل ويمنع الانسان عن اعمال كثيرة . وهذه الآفة اي ضعف الاسنان آخذة في الازدياد حتى اذا لم تتخذ الوسائل الفعالة لتلافيها فالعاقبة وبيلة جداً كما يقول أطباء الاسنان . وقد عني احد علماء انكلترا بفحص مجاميع شعوب مختلفة لكي يرى ما بين اسنان تلك الشعوب وأحوالها المعاشية من الارتباط لعلمه يعلم اسباب الحفر الذي أصاب اسنانها حتى اذا تلافيها نجونا نحن منها . ويبيّن في اوائل هذا القرن أن الحفر ليس تغيراً كيميائياً مجرداً كما كان الرأي الشائع قبل اربعين سنة بل هو يرتبط بفعل انواع من الميكروبات فاذا اميتت توقف الحفر عند الحد الذي وصل اليه . وقد اثبت ذلك بالامتحان . فربى هذا العالم تلك الميكروبات ووضعها على الاسنان فسببت فيها الحفر أي نخرها وأكلتها . فلم يوافقها اطباء الاسنان على ذلك اولاً ثم وافقه احد ثم رأى كوخ العالم البكتريولوجي المشهور نجارب هذا العالم فاقنع بصحة اكتشافه وعاد الى برلين وهو مقتنع به وهذا هو الرأي المتفق عليه عموماً الآن . فاذا كان سبب الحفر ان انواعاً من الميكروبات تسطو على الاسنان وتنخرها فدفعه بقوم اولاً بمقاومة هذه الميكروبات وثانياً بتقوية الاسنان حتى تقاومها

والميكروبات كثيرة جداً ، كما لا يخفى ، وتتوالد وتتكاثر بسرعة فائقة ، فاذا نظفنا افواهنا منها الآن لا نمضي ساعات كثيرة حتى تدخلها وتتكاثر فيها فلا سبيل الى منعها ، من دخول افواهنا . ولكن الاسنان في حالتها الطبيعية مغطاة بقشرة بيضاء صلبة جداً وهي المسماة بالميناء ، فاذا كانت هذه القشرة صلبة كما هي في حالتها الطبيعية لم تستطع هذه الميكروبات ان تنخرها مهما كثرت ، ولكن اذا بقيت فضلات الطعام بين الاسنان وفي المنخفضات وعلى تيجانها اختمرت وتولدت منها حوامض تأكل شيئاً من الميناء ، فيخشن سطحها وحينئذ يصير للميكروبات سبيل اليها فتأكلها وتنخرها . ولذلك كان تنظيف الاسنان من فضلات الطعام ضرورياً لوقايتها . ومن الاطعمة ما يزيل فضلات غيرها ولا يبقى منها هي فضلات . فهي اذن تساعد على وقاية الاسنان من الميكروبات

هذا من حيث الامر الاول اي مقاومة الميكروبات

اما الامر الثاني وهو تقوية الاسنان نفسها حتى تقاومها فأهم من الامر الاول والراجع انه اذا بلغت المينا حدها من التكون تعذر على الميكروبات ان تتخرها ولو حاولت فضلات الطعام ان تمهد لها السبيل الى ذلك لان هذه الفضلات لا تستطيع تمهيد السبيل الا اذا كانت المينا غير تامة التركيب والنمو فاذا تم نموها وبلغ حده لم يعد للميكروبات ولا لفضلات الطعام سبيل اليها وهي تتكوّن على الاسنان قباماً تشق اللثة وتظهر . فكونها قوية او ضعيفة يتوقف على احوال الولد في طفولته ويظهر من البحث في اسنان أمم مختلفة ، في أزمنة مختلفة ان الحفر كان يزيد بازدياد العمران اي بازدياد العيشة غير الطبيعية . فالشعوب المتوحشة سليمة الاسنان مهما كان عصرها ومهما كان اقليم بلادها ، والذين ساروا في طريق العمران ظهر الحفر في اسنانهم والذين اوغلوا فيه تمكن الحفر من أسنانهم حتى أفسدها . فقد اجلى البحث في حجاجم الشعوب الافريقية ان اسنانها خالية من الحفر ، وفي حجاجم الهنود انها لا توجد الا سن واحدة مصابة بالحفر في كل جمجمة ، فتكاد أسنانهم تكون سليمة منه تماماً ، وفي اسنان الصينيين انه لا توجد سن مصابة بالحفر الا في كل ثلاثين جمجمة ، وهذه الشعوب مشهورة كلها بتنظيف أسنانها بالمساويك والغسل المتكرر وبيعض المساحيق التي تنظف الاسنان ، وهم يغسلون أفواههم واسنانهم بعد كل طعام . فلما ثبت ذلك من درس الججاجم ثبتت علاقة سببية تاريخية بين تنظيف الاسنان وحفظها من الحفر

ولكن الغريب أنه لما خصت حجاجم الاسكيمو الذين يسكنون في المناطق الباردة الشمالية وهم لا ينظفون اسنانهم مطلقاً ولا يغسلون افواههم ، ظهر ان الحفر لا يوجد الا بمتوسط سن واحدة في كل ٧٢ جمجمة ، وكان الظن ان الحفر يكون شائعاً فيها ، لما ثبت منه وجود العلاقة بين حفظ الاسنان ونظافتها في الججاجم السابقة . ثم خصت حجاجم الاستراليين الذين لم يصل اليهم العمران فثبت ان الحفر لا يقع الا في سن واحدة من كل مائة جمجمة . ويستدل من هذا البحث ان أسنان بعض الناس سليمة من نشأتها لا تقوى الميكروبات عليها ولو كان للنظافة شأن كبير في حفظ الضعيف منها وما هو جدير بالذكر في هذا المقام ان اسنان الاوربيين والاميركيين وأسنان نسلهم في مستعمراتهم يزداد الحفر فيها سنة بعد سنة . فمن مائة عام كان الحفر يرى في سن واحدة من كل ثلاثين سنّاً ، اما الان فيرى الحفر في سن من كل ثلاث اسنان والنظافة لم تزد ولم تقل في خلال هذه المدة بل هي على حالها واذا رجعنا الى حجاجم الشعوب القديمة التي بسط العمران رواقه عليها رأينا الحفر كثيراً في اسنانها فقد خص احد العلماء ١٤٣ جمجمة من حجاجم الرومانيين القدماء فوجد الحفر في ٤١ جمجمة منها . وخص ٣٦ جمجمة من حجاجم المصريين الاقدمين فوجد الحفر في ١٦ جمجمة منها . وخص عالم آخر الججاجم التي وجدها الاستاذ بيري الاثري الكبير ، في المدافن المصرية القديمة فوجد الحفر نادراً في السابقة منها لعصر التاريخ ، وكثيراً في الحديثة منها . وخص اليوت سمث الذي كان استاذاً للتشريح في كلية الطب المصرية خمسين الف جمجمة من الججاجم المصرية فوجد ان السابق منها لعصر

التاريخ خال من الحفر ، والذي من عهد الدول الاولى يكاد يكون خالياً منه ، ولكن ابتداء الحفر يظهر في عهد الدول التي بنت الاهرام ولا سيما في اسنان الطبقة العليا من السكان . فانه يخص ٥٠٠ جمجمة من جاجم عظماءهم فلم يجد الا خمسين جمجمة منها خالية من الحفر وقد قلنا سابقاً ان اسنان الهنود الآن تكاد تكون سليمة من الحفر ولكن يظهر من بحث الدكتور موثو ان الحفر آخذ في الازدياد فيها باقتباس اصحابها أسباب العمران الاوربي . ويستدل من ذلك كله ان العمران يدعو الى حفر الاسنان ولو كان للنظافة وانواع الطعام شأن كبير في حفظها منه

ان المينا التي تغطي اسنان الانسان تتكوّن في صبوته — ما عدا الاضراس الاربعة الاخيرة اي اضراس الحكمة فان مينائها تتكوّن بعد ذلك — فكل ما فيها من كمال ونقص راجع بنوع خاص الى طعام الولد في السنين الاولى من عمره

ففي العصور الاولى حين كان الانسان يعيش بالصيد والقتل وبأكل الثمار والحبوب من غير طبخ كان يضطر ان يستعمل اسنانه كثيراً وكان ضعيف المضغ ينقرض من أمام غيره . وكان النساء يرضعن اطفالهن والطفل الذي لا يجد لبناً في ثدي امه يموت جوعاً . ثم تحضّر الناس وتركوا البداوة واكثروا من استعمال ألبان الماشية وطبخ الطعام وصارت المرأة التي لا يكتفي ابنها بلبنها تسقيهم من لبن البقر وفائدة لبن البقر تتوقف على مقدار ما يهضم منه . ولبن المرأة اسهل هضماً على معدة الطفل من لبن البقر فيغذي الطفل من لبن امه اكثر مما يغتذي من لبن البقر ثم ان احوال الام الصحية والمرضية تؤثر في ابنها ونموه ، فلما كان الناس على البداوة ، كانت الام الضعيفة تموت ويموت طفلها بعدها . والطفل الضعيف يموت ايضاً فلا يعيش من الاطفال الا الذين يعتنون جيداً من لبن امهاتهم فتنبت أسنانهم قوية وكان الناس وهم على البداوة ، يأكلون طعامهم من غير طبخ ، فيضطرون الى الاكثار من مضغه ، فتكبر أحناكهم وتقوى لكثرة استعمالها فلما شاع الطبخ وصار اكثر الطعام يؤكل مطبوخاً قلت الحاجة الى المضغ ، فضعفت الاحناك وصغرت وبقي عدد الاسنان على حاله ، فازدحت وضاحت الفسحات التي بينها ، فصار الطعام يتخللها ويبقى فيها فيحمض ويفعل بالاسنان فعلاً كيميائياً

يضاف الى ذلك ان الابحاث الحديثة التي قام بها الدكتور ملني وزوجته أثبتت ان نقص بعض أنواع الفيتامين في غذاء الطفل يضعف مينا اسنانه ، وقد جربت التجارب في الجرذان وجراء الكلاب ، فتأيدت هذه النتيجة . ولعل تأثير الطبخ في اضعاف الاسنان ، له من هذه الناحية فعل لم يكن معلوماً من قبل اكتشاف الفيتامين

فاذا غذي الاطفال التغذية الكافية الوافية وهم في سن الرضاع وما بعدها ، واكثروا من مضغ الطعام ، نبتت اسنانهم في الغالب مستكملة بناءً ، وحينئذ اذا اعتاد المرء تحليل اسنانه بعد الطعام وتنظيفها جيداً قويت على مقاومة الميكروبات ، ولم تصب بالحفر ولا بغيره من آفات الاسنان

الفلاح المصري القديم

مقامه . اعماله . حياته . منزله . مقاييسه . مكائيله

للركن نور حسن كمال

نشوء المدنية المصرية وتقدمها ثم انتشارها في انحاء العالم، كل ذلك نتيجة لخصب التربة في وادي النيل ووفرة محاصيله . وبهذه الوسيلة فقط تمكنت مصر على ضيق مساحتها من تغيير نظام العالم القديم تغييراً يفوق كثيراً ما قامت به سائر الاقطار الاخرى مجتمعة . ومهما قلب الباحث في الحضارة المصرية القديمة واستقصى اصولها وازداد في ذلك امعاناً ودقة فإنه لا يهتدي في النهاية الا الى الزراعة ، وكلما تعمقنا في اقدم العصور المصرية المعروفة وجدنا الفلاحة قد بلغت شأواً كبيراً ومكانة عظيمة قبل تلك العصور بزمن طويل . والمعروف ان ازالة الغابات الكثيفة التي كانت مكتنفة وادي النيل وتهمئة الاراضي لزراعة الحبوب والفواكه ومراقبة فيضان النيل ساعد على جمع كلمة القبائل التي كانت تقطن الوادي فتكوّنت من ذلك مملكة واحدة متينة الاساس قوية البنیان . وكذلك انقلب الوادي الى مزرعة في منتهى الخصب . لكن القيام بهذا العمل الجسيم تطلب مجهوداً مائلاً لجسامته . فنعماً للقحط والموت حفر القوم الترع فامتدت في انحاء القطر وحافظوا عليها بكل عناية ودقة . ولما كان من الصعب ري بعض الاراضي لارتفاع مستواها عمد الفلاح المصري في اقدم العصور الى استعمال الشادوف كي يثابر به على ري زراعته حتى الحصاد

وكانت الاراضي منذ اقدم العصور تزرع بواسطة فلاحين مأجورين يقومون بهذه المهمة نيابة عن الملاك . وهؤلاء الاخرون هم المالك او المديرون او الاعيان او كهنة الاديرة او الاضرحة . وكان الملك يعتبر إسمياً صاحب الاراضي كلها لكنه لم يتمكن من اثبات ذلك اثباتاً عملياً حتى في أوج سلطته ولا بد ان يلم القارئ بعظم الانتاج الزراعي التي كانت مصر تخرجه قدماً . فثمّة في قصة سيدنا يوسف عليه السلام من البراهين على صدق ذلك اقواها وأدعمها . فقد جاء عنها في الذكر الحكيم « تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلاً مما تأكلون . ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمت لهن الا قليلاً مما تحصنون . ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون » (آية ٤٦ - ٤٨) . وهكذا تمكن الصديق بكفاءة من تغذية سكان مصر وما جاورها من البلدان مدة أربعة عشر عاماً بحصول سبعة أعوام فقط

واحتكرت الحكومة بيع المحاصيل المصرية الى البلدان الاجنبية كما يستدل على ذلك بطريقة بيع القمح الى اهل فلسطين الواردة في القصة نفسها «مستنا واهلنا الضرّ وجئنا ببضاعة مزجة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين» (آية ٨٧). والمكيال الذي اکتلوا به هو «صواع الملك» (آية ٧١) — اي المكيال الملكي او الرسمي. ولا يبعد ان كبار الملاك كانوا يبيعون ما يتبقى لديهم من المحاصيل الى الحكومة رأساً. خصوصاً اذا لاحظنا ان الفلاح قدماً كما هو حالاً ينعن دائماً بالقليل من القمح او الشعير مما يسدّ به رمقه. قال ديودوروس الصقلي ان البالغين والاطفال كانوا كثيراً ما يعيشون على جذور النباتات والاعشاب المائية كالبردي واللوطس وغيرها وكانوا يتناولونها نيئة او مشوية او مسلوقة.

ولم تتدخل الحكومة في المزروعات التي يرغب الفلاح في زراعتها بل تركت له كامل الحرية بخلاف الحال في عصرنا من حيث تحديد مساحة زراعة القطن والارز. ولا غرابة في ذلك فان الفلاحين وقتئذ كانوا بحسب قول ديودوروس الصقلي متمرنين منذ نعومة اظفارهم على الحياة الزراعية. فأقنوا الفلاحة وتفوقوا فيها على البلدان الاخرى. ودرسوا طبيعة ارضهم وسبل ربيها والمواعيد المناسبة للبذر والحصاد وما هو اهم من ذلك من اسرار طرق الحصاد التي توارثوها عن اجدادهم واقتنوها باختباراتهم. وقد اعتاد الفلاحون ان يستأجروا اراضي ملوكهم او ضباطهم او قسوسهم بقيمة يسيرة وان يتفرغوا لفلاحتها تفرغاً تاماً. اما العمال الذين كانوا يستأجرون للقيام بزراعة اراضي الاغنياء او الامراء فكانوا يعملون تحت رقابة ناظر زراعة يشرف على اشغالهم ويكتب التقارير عنهم بل ويقدمهم الى المحكمة لعقابهم اذا ما لاحظ عليهم اهمالاً أو تقصيراً في القيام بامامهم. وما اكثر ذكر هذه المحاكمات في الآثار المصرية. فالباحث يجدّها مرسومة في المقابر كمقبرة (تي) بسقارة وغيرها بل ويجدها مجسّمة بشكل انموذجي كالانموذج الذي في دار تحف القاهرة وقد عثرت عليه بعثة متحف المتروبوليتان الامريكي. وبعد زوال الفيضان وابطال الشادوف يبدأ الفلاح في فلاحة أرضه ففي هذا الوقت تكون الارض رطبة لان المياه تكون قد انحسرت عنها حديثاً. فيعتمد الى حرثها حالاً الا في بعض المناطق التي تتجمع فيها المياه الراكدة. والمعروف ان الزراعة المثلى هي التي يبدأ بها في آخر فصل الصيف كما يستدل على ذلك من النقوش الواردة في أعلى المناظر الزراعية بالآثار المصرية مما يشير الى حسن الطقس وتأثيره الحسن في نفوس الفلاحين حينذاك (راجع كتاب مصر للاستاذ ارمان ورائكه فصل ١٧ ص ٥١٧). خذ مثلاً ما ورد بمقبرة (باحري) بمدينة الكاب خاصاً بهذا العمل فقد جاء ما ترجمته: —

«هذا يوم جميل! الهواء رطب والثيران تؤدي اعمالها (على ما يرام)! والجوّ صاف كما نلتهمه!» (راجع مقبرة باحري لجريفت لوحة ٣). وهناك عبارات اخرى ماثلة لها مثل «النيل يرتفع هذا العام» مما يدل على شأن ذلك عند هؤلاء القوم لانه بحسب قولهم «سوف لا تحصل

مجاة في العام القادم بل بالعكس سيكون عام رخاء غزير المحصول ! « وأيضاً « ان الحبوب في العام القادم ستكون وافرة والثيران سمينه (راجع مقبرة يا حري) « وبديهي ان اول عمل يقوم به الفلاح شق الارض بالفأس ثم حرثها ثم بذرها الخ . وكان الفلاح يلتحف احياناً جلود الحيوانات فوق كتفيه ويصنع منها البسة صغيرة وكان يلبس تارة مآزر كتانية بيضاء قصيرة . اما نسوة الفلاحين فكان يلبسن الملابس الطويلة المنسوجة غالباً من الكتان مبتدئة من الكتفين وواصله الى القدمين . واستعمل الفلاحون النعال احياناً . وشادوا مساكينهم بالعساليج (جمع عسلاج وهو ما لان واخضر من قضبان الشجر) المعزوجة احياناً بالطين . وشاد البعض الآخر مأواه باللبن

ومما يشير الى شهرة مصر في تلك العصور الغابرة بالزراعة ما تحمله اسمائها من معاني . فمن هذه الاسماء « بق » ومعناه بلدة الزيتون وسميت كذلك لكثرة فيها . ثم اسم (تغرا) ومعناه الارض المشبعة بالترع وسميت كذلك لتخللها اياها . ثم اسم (قم) ومعناه السوداء اشارة الى شدة سواد طينها . ثم (ناهي) ومعناه بلد الجميز وسميت كذلك لكثرة فيها

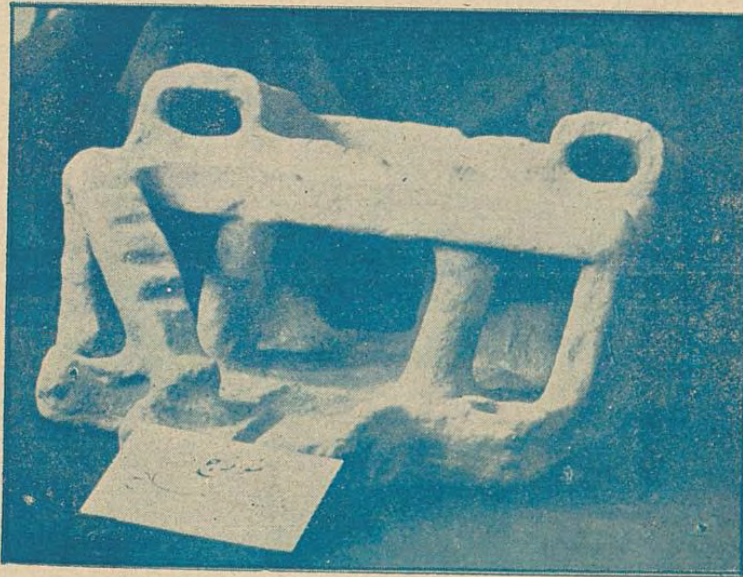
وكان يطلق على الفلاح قدماً اسم (سختي) و (حسويو) و (انوتي) و (مِرْ)

✽ منزل الفلاح ✽ لم يبق لنا التاريخ من آثار منازل الفلاحين الا ما ندر . ولم يبق من المدن الاثرية الا القليل جداً . والمنازل القديمة مطموسة وقد شيّد عليها منازل حديثة مما يزيد في صعوبة البحث . وتتلخص المباني القديمة التي بقيت للآن في معبد ابي الهول ومنازل اللاهون وتل العمارنة . واهم المراجع لمعرفة منازل الفلاحين وكيفية تنسيقها هي النماذج الصغيرة العديدة التي دثرها القوم مع موتاهم ومنها نماذج كبيرة في دار تحف القاهرة . وبالتأمل في هذه المنازل يتضح للناظر انها صورة طبق الاصل لمنازل فلاحينا . فنمازل الفلاحين الاقدمين كانت غاية في البساطة كما هي الآن . وهي تتركب من حوش سماوي تمضي فيه افراد العائلة يومها (وتنام فيه ليلاً) وبهذا الحوش تتصل عدة حجرات مظلمة صغيرة وزربية للحيوانات . وهناك سلم يوصل الى السطح . وقد تشاد فوق الاخير عدة حجرات . والصورة المرفقة بهذه المقالة هي لانموذج منزل فلاح محفوظ الآن بمتحف فؤاد الاول الزراعي . والاصل بدار تحف القاهرة . وفيه تتجسم البساطة بكل معانيها وهو يكاد يتفق تماماً مع كثير من منازل فلاحينا الحاليين فحجرتا السطح للنوم والسلم بسيطة الشكل والوضع . وهناك حجرة كبيرة كالردهة تتصل بالحوش . ويشاهد عمودان يحملان السقف من الامام . وفي الركن الايمن تشاهد دائرة لوضع غذاء الحيوان فيها . ولا يبعد ان الحيوانات كانت توثق بالاعمدة اما منازل كبار المزارعين وعلى الاخص في عهد الامبراطورية الوسطى (٢١٠٠ - ١٧٠٠ ق.م

فكانت تتكوّن من حوش ينتهي من الخلف بمصطبة ذات عمد او بدهليز يتجه عادة الى الشمال لالتقاط النسيم البحري ولتجنب حرارة الشمس المحرقة وفي هذه المصطبة او الدهليز يجد الداخل باباً يؤدي الى صالة فسيحة مقدمها محمول على عمد . وبعد ان يحترق الانسان هذه الصالة يجد نفسه في



نموذج لتمثال خشبي لفلاح مصري من عهد الامبراطورية الوسطى محفوظ بمتحف فؤاد الاول
الزراعي والاصل بدار تحف القاهرة وهو يمثل الفلاح وقدماء فائرتان في الطين
وقابضاً يديه على فأس من طراز تلك العصور



نموذج لمنزل الفلاح المصري القديم والاصل بدار تحف القاهرة
تصوير الدكتور حسن كمال

حجرة اخرى ذات عمد ايضاً كانت تستعمل على الارجح للغذاء . ومن ثم يتصل الانسان بحجرات
النوم المتعددة الخاصة بصاحب المنزل وافراد عائلته من الذكور . اما قسم الحريم فكان يتصل باحد
اقسام المنزل الاربعة المذكورة (وهي «الحوش» والمصطبة والصالة وحجرة الاكل) وذلك بواسطة حوش
صغير . وفي مقابل قسم الحريم مساكن العبيد والمخازن والمطبخ والاسطبلات والزرابي . ولا يبعد
ان هذا التقسيم روعي باستمرار على طول العصور . واتبعت سرايات الملوك النظام نفسه كما يشاهد
ذلك في تل العمارنة ومدينة هابو

والمادة الاساسية التي كانت تستعمل في بناء المنازل والسرايات هي اللبن المصنوع من طمي النيل
وعرّش القوم اسقفهم بالخشب وغطوه بالقش او الغاب الممزوج من الداخل والخارج بالطين . اما
العمد فكانت تصنع عادة من الحجر او الخشب وكانت تحلى في السرايات بالاحجار الزاهية او الزجاج
الملون . واعتاد سراق القوم ان يموهوا جدر منازلهم باللوان البديعة وان يطلوها بالجير .
وتخفيف اللبن كان بتعرضه للشمس . وبهذه المادة شاد المصريون ربوع عملهم وقصور اغنيائهم
ومستودعاتهم ومخازنهم وقلاعهم واسوار مدنهم . وذلك لخص مادته وسهولة استعماله . وكان للبن
مصانع خاصة . والمصانع الملكية كانت تحتم كل طوبة من صنعها بالختم الملكي تذكراً للعصر واثباتاً
للمصنع . ولما كان المعمار يحتاج دائماً الى الاخشاب وكانت هذه الاخيرة قليلة في وادي النيل اضطر
القوم بحكم الضرورة ان يستعملوا اخشاب النخيل والجميز والائل والسنت بالرغم من رداءة مادتها .
ولندرة الخشب الجيد بالقطر كان ثمنه باهظاً . لذلك كان السراة يجلبون من سورية ما يلزمهم من
خشب الارز . ومن هذا الاخير صنع النجارون ما ادهش الناظر واخذ بلبته

✽ المقاييس الزراعية ✽ — الفدان المصري القديم يقرب من اربعة اخماس الفدان الحالي
ويعرف باسم (سانا) وهو المعروف ايضاً باسم (ارورا) ويعادل عشرة آلاف ذراعاً مربعة . وقد
جزأ القوم هذا الفدان الى نصف ارورا ويقال له (ارمن) وربع ارورا ويقال له (حسب) وثن
ارورا ويقال له (سا) وجزء من ستة عشر جزءاً من الارورا ويقال له (سو) وجزء من اثنين
وثلاثين جزءاً من الارورا ويقال له (ارما)

أما مقاييس الطول فهي (١) الذراع الاعتيادي ويقرب من ٥٤ سنتيمتراً ، (٢) الذراع الملكي
(٧ اشبار او ٢٠ اصبعاً) ، (٣) الذراع الصغير (٦ اشبار او ٢٤ اصبعاً) ، (٤) الساعد (٢٠
اصبعاً) ، (٥) مقياس يقال له تشستر (١٦ اصبعاً) ، (٦) الشبر الكبير (١٤ اصبعاً) ، (٧) الشبر
الصغير (١٢ اصبعاً) ، (٨) مقياس يقال له شپوي (٨ اصابع) ، (٩) المقبض (٦ اصابع) ،
(١٠) اليد (٥ اصابع) ، (١١) راحة اليد (اربعة اصابع) ، (١٢) الاصبع
أما مقاييس الكيل فتتلخص في (١) الهن = $\frac{1}{3}$ من اللتر ، (٢) التنت = ٢٠ هنّا ،
(٣) ايت = ٤٠ هنّا ، (٤) حتب = ١٦٠ هنّا

تحول الآراء الفلسفية

كما تبدو في قصائد

ملتن وبوب ووردسورث وتنسن وشلي

إذا كان للافكار مرآة فالأدب مرآتها . فيه تتجلى نفسية الأمة وآراؤها . ويتطور الأدب بتطور التفكير في كل أمة في كل عصر . والتعمق في درس أدب الأمة ، ولا سيما شعرها ، يبدي للباحث حقيقة حالها . على هذا الأساس أورد الفيلسوف هويتهيد^(١) ، استاذ الفلسفة في جامعة هر فرد الأمريكية ، في كتابه : (العلم والعالم الحديث) بحثاً ضافياً تناول فيه الرجعة عن العلم الطبيعي ، تحت عنوان : الردة الرومنتيكية فاستخلصت منه هذه المقالة وتكاد تكون طبق الأصل ، مع حذف ما يمكن الاستغناء عنه من الاقتباسات والتعليق عليها

[هنا همزار]

لدينا اشعار ملتن وبوب وشلي ووردسورث وتنسن . فنمذج ملتن كتاب : الفردوس المفقود والفردوس المسترد^(١) وهما مسبوكان في قالب لاهوتي ، امتاز به الشطر الاول من القرن الثامن عشر ، من دون ان يتأثر بالعلم المادي . ونمذج بوب كتاب : تلخيص في الانسان^(٢) : وفيه تتبين الحركة العلمية التي لاح فجرها في خلال الستين عاماً بين ملتن وبوب . ونمذج وردسورث كتاب : الزهرة : Excursion وفيه ردة واضحة عن عقلية القرن الثامن عشر . والمقصود بهذه العقلية هنا التسليم بالآراء العلمية الى اقصى مقتضياتها . لم يزعج وردسورث اي تناقض ذهني انما حفزه نفور اخلاقي ، فقد شعر ان ذهنية القرن الثامن عشر قد اهملت شيئاً وهذا الشيء الذي اهملت ينطوي في رأيه على كل ما هو خطير . اما تنسن ونمذجه الذكرى^(٣) فلسان حال الرومنتيكية الآخذة في التقلص وهي تحاول ان توفق بينها وبين العلم الطبيعي . ففي الشطر الثاني من القرن التاسع عشر ، كان اصحاب الفكر الحديث قد انقسموا الى فريقين متمايزين في فهمهم وتعليلهم « الطبيعة وحياة الانسان » . فوقف تنسن بين الفريقين موقف الحائر . وجد نفسه امام مذهبين متناقضين ، لكل منهما مرجع بديهي لا ندحة له عنه . اما المذهب الميكانيكي فهو الذي يزعجه . قال :

وهمست : النجوم سائرة على غير هدى

في هذا البيت تلخيص القضية الفلسفية التي انطوت عليها اشعاره . واليك البيان : —
تسير كل ذرّة (في الكون) على غير هدى . وفي الاصل الانكليزي — سيراً اعمى — فالجسم
الانساني ، وهو مجموعة ذرّات ، اذاً يسير على غير هدى . وهذا ينفي التبعية الادبية في افعال الجسم .
فأنتك ، وقد سلّمت بان الذرّة تسير سيراً جبريّاً ، مستقلاً عن حكم العقل ، خاضعاً لنواميس
ميكانيكا عامة — اذا سلّمت بذلك ، فلا مناص لك من انكار التبعية . ولكن الاختبار الذهني
يستمدّ من حركة الجسد وعليه فتتحدّد وظيفة العقل في قبول الاختبارات التي تقرّر له ثم يضيف
اليها اختبارات مستقلة تستمدّ من حركات الجسد . فلنا في شأن العقل نظريتان هما انكار الاختبارات
الستقلة عن الجسد ، والتسليم بها . فبانكارها يسقط التكليف الادبي ، وبالتسليم بها يثبت . فيكون
الانسان مسؤولاً عن افعاله العقلية ، ولو لم يسأل عن حركات الجسد الطبيعية . والصورة التي بها
ينجذب تنسن هذه النتيجة هي مظهر ضعف الفكر في العصر الحديث

كانت هذه القضية على بساط البحث في عصر تنسن . وكان الفيلسوف جون ستوارت مل يقول
بالجبرية في هذا الصدد وقوله هذا كان يقتضي ان يكون النزوع البشري مسيراً لا مخيراً . وليس
في هذا المذهب مخرج من المأزق الذي تحتّمه الميكانيكا . لانه اذا كانت الارادة متحكمّة في الجسد
فلا يكون سير ذراته على غير هدى . واذا لم تكن الارادة حاكمّة للعقل في حال من الاضطراب تستوجب اليأس
راج رأي مل ، ولا سيما بين الطبيعيين ، لانه يؤذن بميكانيكا مادية متطرفة . على انه لا يحلّ
المشكلة لانه امان ان تكون الافعال البشرية حركات «على غير هدى» او لا . فان كان الاول فلا علاقة
للعقل بحركات الجسد . والمخرج التقليدي من هذا المشكل ، — اذا صدقنا عن تجاهله — هو في ما
بدعى المذهب الحيوي : Vitalism : لانه يأذن بسير الجوامد وفقاً لقواعد الميكانيكا ثم يضعف فعلها
في الاحياء . على ان الثغرة بين الجوامد والاحياء غير جلية . فلا وزن لرأي عرني كهذا

الاشياء قسماً . عضوية وغير عضوية . تمتاز الاولى بمبدأ كلي يتوزع في الفروع الداخلة تحت
الكل ، دخول الانواع تحت الجنس ، والافراد تحت النوع . فتنشأ بهذا الاعتبار في الحيوان
الاحوال العقلية . وللأحوال العقلية اثر في تعديل حركات الذرّات في الجسم العضوي . حتى ان
الكهرباء وهي تسير على غير هدى في الجسم العضوي وفي الاشياء سواسية . ومع ذلك فسيرها في العضوي
منطبق على خطة الجسم العامة ، بما فيه العلاقة العقلية

على ان التناقض بين ميكانيكا العلم الماديّ والبداية الاخلاقية اللازمة لمصالح الحياة ، اخذ
بنجس مع مرّ العصور . وموقف كل عصر من هذا التناقض يبدو لك في مستهلّ القصائد التي
ذكرناها . فقد جاء في خاتمة مقدمة الفردوس المفقود للتلّث هذه الطلّبة : —

ليتي اسمو بالعناية الى اعالي هذا البحث العظيم فأزكي طرائق الله للانسان

غرض ملتن في قصيدته الفردوس المفقود والفردوس المسترد: تزكية طرق الله في معاملته الانسان وقد كرّر ذلك في قصة شمشون
عدل هي افعال الله ومزكّاة في نظر الانسان

نتبين في ذلك ثقة راسخة لا تزغ عنها جرف الشكوك التي قذفها العلم. فالفردوس المفقود نشيد وداعي لليقين الراسخ. والموازنة بين «الفردوس المفقود» و«اشعار بوب في الانسان: تريننا التطور الذي وسم الفكر الانكليزي في خلال الفترة بين ملتن وبوب. فقد خاطب ملتن العزة الالهية، اما بوب فخاطب اللورد بولينبروك قائلاً: اترك السخافات للمطامع السافلة وكبرياء الملوك. ودعنا (ما زالت الحياة لا تتمكنا الا من نظرة حوالينا يعقبها الموت) نستطلع احراراً مشهد الانسان — تيه عظيم! ولكن لا يخلو من منوال (نظام) قابل هذا البيت الاخير «تيه عظيم: ولكنه لا يخلو من منوال» بقول ملتن «عدل افعال الله». والامر الذي يجب ان نقف عنده في القولين هو رباطة الجأش في وسط عالم مصطبخ. هي ثقة لا تساورها الحيرة التي ملكت مشاعر ابناء العصور الحديثة. كان رائد ملتن الاستسلام «لطرق الله» في معاملة الناس. وبعد جيلين نرى الثقة نفسها في شعر بوب اذ يمجّد في اساليب العلم الحديث نظاماً كأنه خريطة لذلك التيه العظيم فننتقل الآن الى «نزهة» وردسورث. وهي في الموضوع ذاته. جاء في مقدمتها النثرية انها جزء من مؤلف شعري فلسفي كبير، يشتمل على آراء في الانسان والطبيعة والهيئة الاجتماعية: قال في مطلعها
كان يوماً من أيام الصيف والشمس رآد الضحى

وكذلك ترى ان الردّة الرومنتيكية لا تبدأ بالله كما في ملتن ولا باللورد بولينبروك كما في بوب بل بالطبيعة. وفي ذلك رجعة محسوسة عن سمة القرن الثامن عشر. ادرك ذلك القرن الطبيعة بواسطة التحليل العلمي التجريدي. على اننا نرى وردسورث يستعيز من التجريد العلمي باختباره الحسي بين «نزهة» وردسورث، وذكرى تنسن جيل من الاحياء الديني والتقدم العلمي. وكان الشعراء الذين سبقوها يحلون المشكل بتجاهله، فلم يتسن ذلك لتنسن. فبدأ شعره بما يأتي: —
ايها الحب الخالد. ابن الاله القدير. اننا ونحن لا نرى وجهك نعتقد وبالاعتقاد وحده نؤمن حيث نعجز عن البرهان

وكذلك ترى ان تنسن نقر في مستهل قصيدته على وتر الحيرة، اذ اشار الى الايمان القائم على الاعتقاد حيث نعجز عن البرهان

كان القرن التاسع عشر قرن حيرة لم يسبق لها نظير. ففي العصور السابقة كنت تجد فريقين متبايزين او نظريتين متناقضتين ولكن كلاً منهما كانت جلية واضحة. وكان اتباع كل نظرة لا تساورهم اية ريبة في صوابها وتقوم مكانة شعر تنسن بكونه مرآة عصره الخاصة. فقد كان كل فرد في عصره منقسماً على

ذاته . بخلاف المفكرين قبل ، اذ كانوا غاية في الوضوح ، كديكارت وسبينوزا ولوك وليبنتز . ولكن في القرن التاسع عشر كان اقدِر اللاهوتيين والمفكرين محيراً مضطرب الذهن . فكانت تتنازعهم لعالم متناقضة ، انتجت بلبالا لا يحصى منه . بل ان متيو ارنولد ، كان اشدّ جلاء هذه الحيرة من تنسن . قابل ذكرى تنسن بختام قصيدة ارنولد التي عنوانها : شط دوثر : حيث يقول نحن هنا في ساحة قائمة تجرنا مخاوف مضطربة من النزاع والفرار حيث تصطدم جيوش جاهلة في الظلام

وقد ذكر الكردينال نيومن في كتابه : الابولوجيا : ان من أهم مزايا بوسي الاكليري الانجليكاني العظيم انه : لم تقلقه حيرة عقلية : فيعيد بوسي بذلك ذكرى ملتن وپوپ ووردسورث . فهؤلاء على الضد من تنسن وكلو وارنولد ونيومن نفسه لا تعلقهم حيرة فكرية ما . وقد اورد زعماء الرجعة الرومنتيكية اهم انتقادات الافكار العلمية في الشعر الانكليزي المعاصر للثورة الفرنسية والذي تلاها . وأعمق مفكري هذه النزعة كولردج ووردسورث وشلي . أما كيتس فهو مثال الادب الذي لم يمسه العلم الطبيعي

كان ووردسورث هيئاً بالطبيعة هيام سبينوزا بالله . وكان ايضاً مفكراً واسع الاطلاع ، فلسفي النزعة . وعلاوة على ذلك كان عبقرياً . لكنه اوهن حجته بكراهيته العلم . فقد قال : نقتل لكي نفرح الجثث . يبين ذلك نقده العلم . وهو يأخذ على العلم غلوه في التجريد . ورأيه المتردد في اشعاره هو : ان حقائق الطبيعة الكبرى تقلت من المنهج العلمي . فلنا ان نسأل ماذا وجد في الطبيعة مما لا يعنو للبيان العلمي ؟ لا ريب في انه عرف ما لا ينكره احد وهو اختلاف الاحياء عن الجوامد . على ان ذلك لم يكن نقطته الرئيسية . بل فتنه مشهد الهضاب الباعث على الابتكار وهو يتعمق في نقد ما يحيط بنا من الغوامض التي تساور كل عصر . وأهم اشعاره الكتاب الاول من الديباجة : المشحون بقتنة الطبيعة . جاء فيه قوله : —

يا مجالي الطبيعة العلوية . والارضية . يا مرآتي الهضاب . والهلمات المواطن الخالية ! امكنني الظن . ان لك املاً ساذجاً باستخدامك . رسالة كهذه يوم فتفتني في خلال السنين . ابان لهوي بتسليات الصبا . في الكهوف والاشجار ، في الحراج والهضاب . ترسمين على كل شكل صفات الخطر او الشهوة ، فجعلت وجه الارض قاطبة . بفوز وجبور وأمل وخوف . يضطرب اضطراب وجه البحر ؟

ارى في هذا الاقتباس من ووردسورث شدة التقيّد والتناقض في مشهد الطبيعة الذي يوحيه الينا العلم العصري . ويوضح ووردسورث ، الى حدود العبقرية ، حقائق ادراكنا التي شوها التحليل العلمي ولكن موقف شلي ضد موقف ووردسورث من حيث صبغته العلمية . فقد أحب شلي العلم ، وهو لا يني يوضح افكاره العلمية بأسلوب شعري . والعلم عنده رمز الفرح والسلام والبهاء . وكانت الهضاب عنده مختبرات كيميائية لا ملاهي كما كانت في نظر ووردسورث . ومما يؤسف له ان نقاد

شلي الاوربيين لم يدركوا حقيقته ، لبعدهما بين ذهنهم وذهنه فحسبوا معالجته للطبيعة ، شذوذاً مع انه السمت الذي يتخلل اشعاره وينظمها . ولو ان شلي ولد مائة سنة بعد ولادته لكان نيوتن الكيماويين . فليكن نتج من قدر شلي قدره يجب ان ندرك افتقانه بالفكر العلمية والامثلة على ذلك في شعره لا نحصى فنكتفي بقصيدة : بروماتيسوس المطلق : قال بلسان الارض : —
ادور تحت هرم من الليل — متجهة الى السماء — حاملة بالنشوة ، متمتعة بالفرح المظفر في نومي المسحور

وهي صورة شعرية ما كان شلي يستطيع بيانها لولا مثال هندسي مرسوم في ذهنه وللطبيعة عنده روعتها وجمالها . وهي في نظره كائن عضوي . فلو اتيج لرجل وصف مضمون العلم الاختباري لكان شلي ذلك الرجل . قال في قصيدة « مون بلان » :
الاكوان المادية الخالدة . تجري في العقل متتالية الامواج . آونة قاتمة — وأخرى باهرة . حيناً تسوء وحيناً تسر . حيث يستمد الفكر الانساني مدده . من نبوع سرية لها نصف ضوئائه . كجدول لطيف في قلب الجبال . تنبجس مياهه على الدوام . وشلالاته دائمة الهبوط . فيتفجر ويزجر نظم هذه الاشعار استناداً الى المذهب التصوري ، كنتيياً كان او باركليياً او افلاطونياً . وكيفما اولته فهو شاهد على الوحدة التي تؤلف الطبيعة . فشلي وباركلي ووردسورث يمثلون البديهة نابذة العلم المادي الصرف . وهناك تباين بين نظري شلي ووردسورث في الطبيعة . يراها شلي تغيراً وانتقالاً ، كريشة في مهب الريح قال :

كأشباح فارّة من ساحر

او كقوله في قصيدة الغيمة على لسانها « تحول ولكن لا اتلاشى » . وهذا التغير في الطبيعة ليس تغير انتقال بل تحولاً في طبيعة الشيء . فتغير الاشياء التي لا تتلاشى هو ما علق عليه شلي اعظم الشأن . اما ووردسورث فنشأ في جبال جرد ، لا يؤثر فيها تقلب الفصول . فاستهواه ثبوتها فهو يرى تغيرها عرضاً : كسهم في نسيج الثبوت قاطعاً عرض البحار الهادئة الى اقاصي جزر الهبريدس . ففي كل جهد في تحليل الطبيعة فعلان ، التغير والثبوت . يضاف اليهما ثالث هو : الابدية . فالادب الانكليزي القرن التاسع عشر هو مظهر التباين بين بدائه الفن ومقتضيات الميكانيكا العلمية . يصور شلي تغير الاشياء تغيراً صوريّاً . اما ووردسورث فشاعر الطبيعة ذات الجمال الرائع . وهناك الموضوعات الابدية ، وهي عنده : النور الذي لم يحصره بر ولا بحر :

ويشهد الشاعر ان الطبيعة غير منفكة عن القيم الفنية . وتنشأ القيم عن انبثاث الكل في اجزائه . ونستخلص من اولئك الشعراء انه على الفلسفة ان تعنى بالاشياء الخمسة التالية : —

التغير : القيمة : الاشياء الخالدة : العضويات : الاصطحاب

فالحركة الرجعية الاوربية في مطلع القرن التاسع عشر هي كفلسفة باركلي قبلها بقرن كامل ، تأبى الحصر في ادراكات العلم الصرف

مشكلة الشرق الأقصى

وخطط الدول العظمى نحوها

من نكد الدنيا على العاقل في هذا العصر انه يستطيع ان يتكلم عن حرب بين اليابان وروسيا ، وذكرى الحرب العالمية ما تزال حية في الازهان . ولكن ذلك لا يمنع ان حرباً من هذا القبيل ، خرجت عن كونها نظرية تحتاج الى تأييد ، واصبحت احتمالاً لا ينقصه الا تعيين ميعادهم . فبعضهم يذهب الى ان هذه الحرب واقعة في هذه السنة ، والبعض الآخر يذهب الى انها قد تتأخر سنة اخرى او سنتين . ولكن لا بد من نشوبها على أية حال . ولسنا نقشي سرّاً لا يعلمه أحد ، اذا قلنا ، نقلاً عن اوثق المصادر ان وزارات الخارجية ، واران حرب الجيوش ، تعدّ معدّاتها على اساس ان هذه الحرب ناشبة بعد بضعة شهور . وقد نتجاهل ما تفعله وزارات الخارجية او أركان حرب الجيوش من هذا القبيل ، لأنّ اقلّ باعث من الخطر يحملها على اعداد المعدّات للحرب . ولكننا مع ذلك نطلّ مالكين لطائفة من الأدلة تشير الى ان الحرب واقعة لا بدّ منها . خذ مثلاً على ذلك غنف العبارة في البلاغات الروسية الى اليابان ، وهو لا يتسرّب عادة الى لهجة المذكرات بين امتين الا اذا كان الجو مضطرباً بينهما والصلة متوترة . واجماع الروس ، سواء في ذلك صحافتهم وزعمائهم ، على استعمال هذه العبارات العنيفة في مخاطبة اليابان ، يدلّ على ان الامر جدّ كلّ الجدّ . ثم ان هناك أدلة أقوى من الادلة المبنية على الكلام وتصريحات الرجال المسؤولين . هناك عناية روسيا بحشد جيوشها في شرق سيبيريا وجمع كلّ ما تستطيع جمعه من مواد الحرب وذخيرتها في النقاط الرئيسية وتعبئة اسطول جوي كبير في مدينة فلاديفستوك وهي اقرب المرافئ الروسية في الشرق الأقصى الى اليابان . ومنذ ما فتحت اليابان مقاطعة منشوريا سنة ١٩٣١ عمدت روسيا الى تعزيز مكائنها العسكرية في سيبيريا ، مع ان هذا التعزيز اقتضى منها ان تهمل قليلاً مشروعاتها الصناعي الكبير ، العزيز على قلبها

وكانت نتيجة كل هذا ان قوى روسيا واليابان متواجهة الآن في سيبيريا وكوريا ومنشوريا . لا ريب ان الصحف هوّلت بكثير من الحوادث ولكن لا ينكر احد ان حوادث وقعت بين الفريقين والاسباب التي نحملنا على الاعتقاد بأن النزاع قد يتأخر قليلاً بين هاتين الدولتين في الشرق الأقصى هو (اولاً) ان روسيا سوف تجتنبه بكل الوسائل المستطاعة ، الا اذا اطلقت اليابان العنان ، وغزت بعض الممتلكات الروسية و (ثانياً) ان اليابان قد تحاول في الغالب ان تضبط نفسها الآن ، او بالحري ان تضبط دعاة الحرب من ابنائها وليس القول الاول مبنياً على محاولة تصوير روسيا بصورة المحب للسلام على اطلاق القول . لان

ذلك ليس صحيحاً بوجه عام . وروسيا ما زالت من سنة ١٩١٩ مستعدة للحرب في سبيل المحافظة على
كيان الجمهورية السوفيتية . ولكننا نقوله لان الحرب ، اذا خاضتها روسيا الآن ، تبطل عمل التعبير
الداخلي ، الذي وجهت روسيا اليه كل عنايتها في العهد الاخير . ونحن لا نعتقد ان روسيا واهمة ،
في امكان الافلات من حرب مع اليابان ، بل هي ولا شك تدرك ان يوم الحساب معها قادم لا رية
فيه . ومع ذلك ظلت روسيا لا تحرك ساكناً رغم فقدتها لمكانتها الاولى في سيبيريا ، وتهديدها
بفقد مكانتها في مغوليا الخارجية . وسوف تظل كذلك ، حتى تتم استعدادها — الا اذا هتكت
حرمة اراضيها في سيبيريا

اما اليابان فاما ان تنفذ خطتها بسرعة او قد يتعذر عليها تنفيذها على الاطلاق . ففكر الزمان
ضد اليابان في مغامرتها مع روسيا . ذلك ان كل سنة تمر ، تجعل روسيا ، وهي اقوى من اليابان من
جميع الوجوه العسكرية والصناعية . فاذا تم ازدواج سكة حديد سيبيريا ، وانشاء المراكز الصناعية في
سيبيريا ، فقدت اليابان ما تمتاز به على روسيا الآن ، من الوجهة العسكرية . والراجح في نظر النقاد
انه اذا كانت اليابان تنوي ان تغزو شواطئ سيبيريا ، لتجعل كل الاراضي التي تحيط ببحر اليابان ،
شواطئ يابانية ، فعليها ان تفعل ذلك الآن ، او على الاقل عليها ان تحاوله الآن ، قبل ان تعزز
قوى روسيا في الشرق الاقصى . ولكن يقابل ذلك (اولاً) النفقات الهائلة التي تقتضيها الحرب ،
مع ان حالة اليابان المالية الآن ، لا تسمح بهذا . (وثانياً) اضعاف اليابان ازاء الولايات المتحدة الاميركية .
فعمسكريو اليابان يرون العقبة الاولى التي تحول بينهم وبين تحقيق حلمهم في التوسع العالمي ، هي
الولايات المتحدة الاميركية لا روسيا . وليست ولايات سيبيريا البحرية ، الا شيئاً صغيراً ، ازاء
السيطرة على الصين . وخصمهم الاول في السيطرة على الصين ، هو اميركا لا روسيا . حتى اذا خضعت
لهم روسيا في الشرق الاقصى ، تبقى الولايات المتحدة في حوز حريز ، تناوئهم وتؤلب عليهم العالم
ولذلك يجب ان لا يفعلوا ما يضعفهم ازاءها

من ذلك نستطيع ان نستنتج ان الحرب بين روسيا واليابان ، قد لا تنشب هذه السنة .
ولكن ذلك لا يهم . وسواء انشبت هذه السنة او السنة القادمة او السنة التي تليها فالشرق الاقصى
في حالة حرب الآن . ذلك انه لما كانت منشوريا بلداً مستقلة استقلالاً ذاتياً ، كانت كالجن بين
روسيا واليابان . فلما زال الجن تقابلت القوى الروسية واليابانية وجهاً لوجه . بل هناك ما هو انكى من ذلك
اليابان في شرق آسيا معرض لروسيا الاسيوية . ولروسيا هناك جناح معرض لليابان كما يبدو
لك من مراجعة الخريطة . وموقع كل من هذين الجناحين يقلق صاحبه ، اذا بدا من خصمه اي ميل
لاقلاق الحالة الراهنة . وكلتا الدولتين لها مطاعم اسيوية حيوية . أما اليابان فطامعها استعمارية .
وأما روسيا فطامعها من قبيل ما تقتضيه النزعة الشيوعية وفلسفة الثورة العالمية من تشجيع الانقلاب

الشيوعي حيث تستطيع . ففي اليابان قوى خفية تدفعها غرباً . وفي روسيا قوى خفية تدفعها شرقاً . ولا بد يوماً ما ، من ان تلتقي الدولتان ، لانهما سائرتان في وجهتين متقابلتين في خط مستقيم . فاليابان تهاجم الآن . وروسيا ساكنة تستعد . وهذه حالة دولية لا يمكن ان تبقى مستقرة زمناً طويلاً . وما لم تحدث ثورة عالمية ، او انهيار اقتصادي عام او انحلال اليابان او روسيا من الداخل ، او انتصار الولايات المتحدة الاميركية على اليابان اولاً ، فلا بد من وقوع الاصطدام — قد يكون ذلك قبل نهاية هذه السنة وقد يتأخر سنة او سنتين

فاذا جاء هذا الاصطدام انتقل مركز القوى السياسية العالمية الى آسيا . بل ان الغرب ، قد بدأ بحسب هزات الزلزال قبل وقوعه ، على ما رأينا من أثر فتح اليابان لمنشوريا في جمعية الامم وعهدة كلوج والآمال الداوية بخفض السلاح . فاذا نشبت الحرب ، اضطربت آسيا ، كأنها بحر هب عليه إعصار ، وتعيّن على الدول الغربية ، ان تحجب عن مسائل خطيرة ، ترتبط بمستقبلها ومصير العالم . فليجد القارئ في هذه الكلمات ، نوعاً من التشاؤم الذي لا مسوغ له ، ولكننا نذكر ما كتب في الجلات البريطانية عن البلقان سنة ١٩١٣ ، وكيف ملّ الناس تشاؤم اولئك الكتاب ، وكيف حققت الحوادث كل ما اندروا به

وما لا ريب فيه ان الحرب في آسيا لا بد ان تشمل الصين ، شمولاً مباشراً او غير مباشر . اذ لا يمكن ان تنشب حرب في شرق آسيا من دون ان تشمل الصين . ثم ان الصين لا ترغب في الغالب ان تظل بمعزل عن تلك الحرب . اذ لا بد من ان تدور رحى القتال في منشوريا ، ولا بد كذلك من ان تصل بالصين الشمالية . وعندئذ لا بد للعصابات الصينية من ان تشن الغارات على القوى اليابانية فتحاول ان تنسف الجسور ومحطات السكك الحديد ومخازن الذخيرة . فتزد اليابان على ذلك ، بالانذار اولاً ثم بالتهديد ثم بأخذ النار . ولا بد للصين من ان تحاول جهدها ان تعرقل اعمال اليابان الحربية اقتصاداً منها . ذلك ان صدور الصينيين تعلي فيها مراحل الحقد على اليابان ، منذ ما اطلق هؤلاء قبايلهم على شنغاي . ومما يزيد في مرارة الصينيين انهم يشعرون بهذا الحقد وبعجزهم عن اخذ النار . فاذا سنحت لهم الفرصة فلن يدعوها تقلت . فاذا نشبت الحرب بين روسيا واليابان سرت في الصين موجة من الامل باسترداد ما انتزعتها اليابان منهم ولذلك فالراجح انهم يقفون في المعترك الى جانب الروس يضاف الى ذلك ان الشيوعية — او ما يعرف بالشيوعية في الصين — قد اصبحت راسخة القدم في غير ولاية واحدة من ولاياتها . وهي آخذة في الانتشار ، لما منيت به البلاد من الحروب الاهلية وفساد الحكم . وقد يتاح لها الفوز فيها . فاذا خاضت روسيا غمار حرب مع اليابان ، فالراجح ان دعاة الشيوعية يصورون روسيا في هذه الحرب ، بصورة « المنقذ » للصين من براثن اليابان . وهذا يساعد على انتشار الشيوعية في الصين . ومما لا ريب فيه انه اذا كان النصر حليف روسيا ، فالصين باسرها تنقلب شيوعية ، وقد تقتصر شيوعيتها على شكل الحكم ، دون

فلسفته ، ولكنها تنقلب شيوعية على كل حال ، وتنضوي تحت ظل الشيوعية الروسية . وعند ذلك ينبثق الضباط الروس والممثلون المدنيون الروس في ولايات الصين يحكمون البلاد جنباً الى جنب مع الحكام الصينيين . ولما كانت خطة روسيا واضحة جلية ، والصين تتلمس طريقها تلمساً ، فالراجح في حالة من هذا القبيل ، ان كل القرارات الخطيرة الخاصة بالصين ، توضع لها حينئذ في موسكو قد يسهل ان نتصور النتائج ، ويعسر ان نغالي فيها . اذا انضوت الصين تحت لواء روسيا ، غنى ذلك ان الجانب الاعظم من آسيا قد اصبح شيوعياً . وكذلك يصبح ثلث البشر منضوياً تحت العلم الاحمر ، وتكون الثورة الاجتماعية ، قد بلغت حدود الهند من ناحية والهند الصينية من ناحية اخرى ، وجزائر الفلبين وجزائر الهند الشرقية الهولندية . وفي معظم هذه البلدان نتيين الآن حركات قوية تطالب بالاستقلال عن حكم الدول الغربية . عند ذلك تعود المنافسة القديمة بين روسيا وبريطانيا للسيطرة على آسيا ، كما كانت في العقد الاخير من القرن الماضي . ولكن الدب الذي يسير كرجل — كما وصف كبلنج روسيا — يكون الآن على جبال حملايا يطل من اعاليها على سهول الهند واننا لا نستطيع ان نتصور ان الحكومة البريطانية تقف ازاء تطور الحوادث على هذا المنوال مكتوفة اليدين . ولما كان الجانب الاكبر من سياسة بريطانيا لا يرتجل ارتجالاً ، فالراجح انها لا تنتظر حتى تواجه بالحالة الراهنة ، قبل ان تعين النهج الذي تسير عليه . فهي لن تقف وقفة المتفرج على اليابان وقد ادركها الخذلان . فلا بد لها من ان تبتدع طريقة للتدخل . كيف تتدخل ؟ وهل تتدخل وحدها او بالاشتراك مع الدول الاخرى ؟ هذه هي المسائل التي تفرض اجابتها على حكومة بريطانيا في حالة انتصار روسيا . ولا هي تستطيع ان تتجاهل هذه الاسئلة . فانها اذا مرت بها مرة الكرام ، كان عملها اول خطوة في التسليم بحل الامبراطورية . فبريطانيا لا تستطيع ان تسمح لروسيا باحراز نصر تام ، اذا شاءت ان تبقى لها المكانة العالمية التي لها الآن

ولا فرنسا ، تستطيع ان تقف من ظفر روسيا وقفة المتفرج . لان روسيا عندئذ تستطيع ان تواجه قارة اوربا المنقسمة على نفسها ، علاوة على تهديدها امبراطورية فرنسا الاستعمارية في الهند الصينية . فهي كبريطانيا محتوم عليها ان تقرّر خطتها ازاء بطش روسيا باليابان . والواقع ان الدول الأوروبية التي بنت امبراطوريات استعمارية — كبريطانيا وفرنسا وهولندا — لا تستطيع ان تتخذ خطة سلبية ازاء ظفر روسيا ، لان في ذلك قضاء على امبراطورياتها

ولكن ما يكون موقف بريطانيا وفرنسا ازاء بطش اليابان بروسيا او احرازها نصراً تاماً عليها ؟ فمن المرجح الذي في حكم اليقين ، ان ظفر اليابان يتلوه ابتلاعها لشمال الصين وتحويلها جنوب الصين الى « حماية يابانية » . ذلك ان الصينيين يكونون بتصرفهم ضد اليابان — كما قدّمنا — قد منحوا اليابانيين الاعذار الكافية لاتباع خطتي « الابتلاع » و « الحماية » . حتى اذا وقف الصينيون بمعزل عن الحرب الدائرة ، وفاز اليابانيون ، فانهم لا تعوزهم البراعة في اختلاق الاعذار ، لا ابتلاع الشمال واخضاع

الجنوب لنظام الحماية . واليابانيون لا يعرفون ضبط النفس في ساعة الظفر . خذ مثلاً على ذلك موقفهم سنة ١٩٣١ اذ تحدّوا العالم ، وحملوه على مواجهة احتلالهم لمنشوريا كحقيقة واقعة . فهم لذلك يشعرون بأنهم لا يقهرون . ومثل هذا الاعتقاد ليس غريباً عن العسكريين اليابانيين . بل ان جميع الطبقات العسكرية في التاريخ ، كانت تحسّ بأن لها رسالة سماوية يجب تأديتها بالفتح ، واليابان الحديثة خليط من النظام الحديث والعقائد الصوفية . فقد قال احد خبراءهم الحربيين ان الاوربيين عند ما يقدرّون قوة اسطولنا الجوي يقصرون في التقدير . ذلك لان الاوربي عند ما يعمل حساباً للمسافة التي تستطيع الطائرة ان تقطعها يحسب حساباً للذهاب وللإياب . اما طيارونا اليابانيون فلا يحسبون حساباً للإياب . ولذلك فالمسافات التي تقطعها طياراننا الحربية هي ضعف المسافة التي تقطعها الطائرات الحربية الاوربية . فسياسة اليابان الخارجية قائمة على مزيج من العوامل منها الحاجة الاقتصادية واضطراب الحالة الداخلية وحبّ العظمة والبسطة الاستعمارية والشعور بأن لليابان رسالة السّهيّة تؤديها . وجميع هذه العوامل تتألب في حالة النصر الياباني على تنبيه شهوة الفتح . عند ذلك تتحوّل دعوى اليابان بأنها القسيمة على شؤون الشرق الاقصى ، الى رغبة في الامتلاك . وعند ذلك تصبح سيدة آسيا من بحيرة يقال الى نجد التبت . فاذا تمّ ذلك كان النصر الياباني ، موازياً في خطره لخطر النصر الروسي ، في عيون دول اوربا . قد يكون نصر اليابان اقلّ من خطر النصر الروسي في نظر الامبراطورية البريطانية . ووجه ذلك ان خطر بسطة اليابان الظافرة ، لا يقترن بدعاية ثورية اجتماعية كالدعاية الشيوعية . فاليابان اذا فتحت يجب ان تفتح بالسلاح . واما روسيا فتضيف الى السلاح فكرة واملاً برّاقاً ودعاية منظمة تغوي بها الشعوب الاسيوية لكي تهرع الى لوائها ولكنه خطر عظيم على كل حال . لان بسط ظلها فوق جنوب الصين يجعلها على أبواب هنكغ وسنغافورة والهند الصينية والفلبين . وها هي ذي من دون جلاله الفتح تنافس المصانع البريطانية في الامبراطورية البريطانية بل في قلب بريطانيا نفسها . وقد ذاق البريطانيون الامرّين من منافستها هذه في السنتين الماضيتين . فكيف بها وقد فازت في الحرب مع روسيا ، وابتلعت شمال الصين وبسطت حمايتها على جنوبها ، وبدأت تتغلغل بأساليبها التجارية في سومطره وجاوى والهند الصينية والفلبين ؟ ان أمّ الغرب حينئذٍ يجب ان تستسلم لفقد كل املٍ بالاتجار مع هذه البلدان ونحن لانعرف امّة غربية واحدة ترضى ان تسلم بهذه الخسارة ، تسليماً هيّئناً بل لسنا نعرف امّة صناعية واحدة في الغرب ، تستطيع ان تحتفظ بمكانتها اذا هي سلّمت هذا التسليم . فالحالة الاقتصادية العالمية تقتضي من الامم الصناعية ، الاحتفاظ بأسواقها المالية ، بل والسعي الى إضافة اسواق جديدة اليها . وهذه ضرورة لا مناص منها وفوز اليابان على روسيا فوزاً حاسماً يجعل هذا التسليم امراً لا ندحه عنه السياسة الاميركية الخارجية تقوم على ركنين الاول قاعدة موزو وليس هذا مجال البحث فيها والثاني يتعلق بالشرق الاقصى ، وهو انها لا تسمح لدولة من الدول بان تحول دون حق الدول

الآخري في استغلال الصين كسوق عالمية للتجارة ، سواء أتم ذلك بالضم الصريح ، او ببسط السيطرة الفعلية دون الاسمية . وقد دعي هذا الركن ، في سياسة اميركا الخارجية باسماء مختلفة واشهر اسمائه « سياسة الباب المفتوح » وقد حاولت اميركا ان تضمنه جميع المعاهدات والاتفاقات الدولية التي دخلتها ، أنا يذكر صراحة وأنا لا يذكر . ولكن اميركا كانت تعني في كل حال مبدأ « الباب المفتوح » . والباعث لها على نهج هذا النهج هو باعث المصلحة الاقتصادية . فقد فكر الاميركيون في البلدان التي تصح ان تكون سوقاً لتوسعهم التجاري . فلم يجدوا من البلدان الكبيرة ، التي لم تبسط عليها راية الاستعمار الا الصين . ولذلك وضعوا هذه الخطة ، ورفضوا ان يسموا الاي كان بأن يوصد بابها في وجوههم . وكذلك تراهم وهم ينشئون خطة للابتعاد عن الاشتباك في شؤون البر الاوربي ، قد انشأوا خطة تزيد من اشتباكهم في شؤون البر الاسيوي

ففي سنة ١٩٠٤ كانت روسيا على وشك ان تصبح الحائل الذي يحول دون هذه الخطة او بالحري كانت روسيا على وشك ان توصد باب الصين في وجه اميركا ، بما اتسع لها من نفوذ ، وانبسط لها من سلطان في تلك الارزاء ، فقاومت الولايات المتحدة روسيا . ولما نشبت الحرب الروسية اليابانية (١٩٠٤ — ١٩٠٥) وقفت اميركا في جانب اليابان قلباً وقالباً

ولما اصبحت اليابان اليوم وموقفها كموقف روسيا سنة ١٩٠٤ بدأت اميركا تقاوم اليابان . وما زالت تقاومها . بل ان مقاومة الولايات المتحدة لليابان ، اخذت تزداد بازدياد الخطر الذي يهدد اميركا في هذه القاعدة الاساسية من قواعد سياستها الخارجية . بل ان الولايات المتحدة وقفت في سبيل اندفاع السيل الياباني العسكري فوق سهول الصين . وقد زاد احتجاج الولايات المتحدة على اليابان في هذا الصدد عنفاً وقوة لهجة من سنة ١٩٠٧ الى سنة ١٩٣١ لما احتلت اليابان مقاطعة منشوريا . وما زال الولايات المتحدة ، ترفض ان تعترف بانفصال منشوريا عن الصين مع ان منشوكو (الاسم الجديد لمنشوريا) اصبحت امبراطورية ولها امبراطور متوج . وما زال نذكر السعي الذي سعه الكولونل ستمسن وزير خارجية اميركا في عهد الرئيس هوفر ، وكيف ألّب مندوبي الدول في جنيف على المعارضة في احتلال منشوريا او الاعتراف به

فاذا تذكرنا كل هذا فمن المتعذر ان نصدق ان الولايات المتحدة الاميركية تقف مكتوفة اليدين امام انتصار اليابان على روسيا . وقد رأينا ان بريطانيا لا تستطيع ان تسلم بنصر روسي كامل في الشرق الاقصى . وكذلك الولايات المتحدة الاميركية لا تستطيع تسلم بنصر ياباني تام . قد تسلم بنصر روسي في الشرق الاقصى ، مع ان مصالحها الاقتصادية تتعرض — بعد زمن — للخطر نفسه . ولكنها لا بد ان تحاول منع اليابان من الظفر . فاما تفعل انتدخل ام لا تتدخل ؟ واذا شئت التدخل فما وسائله ؟ وهل تعقد له المحالقات ؟ ومع من ؟ وما تفقاته ؟ لا ريب في ان الجواب عن هذه الاسئلة ، يقرر مقام اميركا في السياسة العالمية خلال قرن او اكثر من الزمان

دولة اليمن ودولة آل السعود

بحث تاريخي في نشأتها وتطورهما

للمؤلف

جلا الترك عن بلاد العرب في ختام الحرب العظمى عملاً باتفاق مُستدروس المعقود بينهم وبين الحلفاء يوم ٣٠ أكتوبر سنة ١٩١٨ ثم تنازلوا في مؤتمر لوزان (ديسمبر - يوليو سنة ١٩٢٣) عن سيادتهم عليها الى اهلها انفسهم لا الى دول الحلفاء وكانت تحتل الجزء العامر منها وكان في جزيرة العرب يومئذ خمس امارات او حكومات تتنازع السيادة والفوز : امارتا الرياض وحائل في الشمال ودولة الحجاز في الوسط وصبيا وصنعاء في الجنوب . وكان العداء مستحكماً بين امرأها فابن السعود صاحب الرياض يناصب ابن الرشيد صاحب حائل العداء ويشن عليه الغارات وكان الحسين صاحب الحجاز ينفر من وجود الامارة الادريسية على حدوده الجنوبية ويعد صاحبها مغتصباً ويرى ان تهامة عسير جزء لا يتجزأ من الحجاز فيجب ان تعاد اليه وان يطرد ابن ادريس لانه دخیل مغتصب . وكان في نفس الامام يحيى بن حميد الدين من ناحية الامارة الادريسية ما كان في نفس الحسين فقد ساءه نجاح السيد محمد علي الادريسي في توطيد دطائم امارته وكان طامعاً فيها راغباً في الاستيلاء عليها لانه يعدها جزءاً من اجزاء اليمن . وزاد في نغمته عليه تسليم الانكليز للحديدة بعد الحرب الى السيد الادريسي وهي ميناء صنعاء الكبير وباب العربية السعيدة . ومعنى ذلك ان ابن ادريس كان بين عدوين قويين في الشمال وفي الجنوب يتربصان بامارته دوائر السوء ويكيدان لها المكائد ويترقبان الفرص للانقضاض عليها

ولم تكن العلاقات بين الحسين صاحب الحجاز وابن السعود صاحب الرياض على ما يرام مع ما كان الانكليز يبذلونه من مساعي للتوفيق والاصلاح بين حليفهم الحسين وصديقهم ابن السعود وقد كان الاول يعمل لاختضاع اماره الرياض لاشراف مكة كما كانت في عهد جده محمد بن عبد المعين اي بعد الغارة المصرية على الحجاز سنة ١٨١١ - ١٨٣٠ فقد خضعت لهم فترة غير قليلة

الانكليز والامارات العربية

وكان بين الانكليز وبين ثلاث من هذه الامارات اتفاقات تنظم علاقاتها بهم وربما كان السيد الادريسي صاحب عسير هو اول امير في جنوبي الجزيرة تعاقد مع الانكليز فقد اغتم فرصة الحرب العظمى ف عقد معهم في سنة ١٩١٥ اتفاقاً اعترفوا فيه باستقلال امارته وأمدوه بالمال والسلاح وأوفدوا في سنة ١٩١٥ بعثة الى ابن السعود لاستمالته واقناعه بدخول الحرب في جانبهم ف عقدت

معها معاهدة العقير يوم ٢٦ ديسمبر سنة ١٩١٥ وقد اعترفت فيها انكترا بأن نجداً والحسا والقطيف وجبيلات وتوابعها هي بلاد ابن السعود كما اعترفت به حاكماً عليها وتعهد (ابن سعود) بأن لا يسلم ولا يبيع ولا يرهن ولا يؤجر الاقطار المذكورة ولا قسماً منها ولا يتنازل عنها بطريقة ما ولا يمنح امتيازاً ضمنها لدولة اجنبية او لرعايا دول اجنبية من دون موافقة الحكومة البريطانية وبأن يتبع مشورتها دائماً بلا استثناء على شرط ان لا يكون ذلك مجحفاً بمصالحه (مادة ٤) وتعهدت الحكومة البريطانية في المادة الثانية بمساعدة ابن السعود - بعد استشارته - اذا اعتدت دولة اجنبية على اراضيه ونظمت العلاقات بين الانكليز والحسين على قاعدة غير هذه القاعدة فقد اعترفوا بالاستقلال التام للحجاز بدون قيد ولا شرط واعترفوا بدولته كما اعترفوا بالحسين ملكاً عليه . وعاملوه معاملة الندلند . نعم انهم لم يعقدوا معه اتفاقاً رسمياً كالاتفاق الذي عقده مع ابن السعود بيد ان العهود التي قطعوها له في ابان الحرب العظمى لا تدع شكاً في صحة ما ذهبنا اليه وقد ايدها الواقع فقد مثل الملك فيصل الدولة الحجازية في مؤتمر الصلح حين افتتاحه واعتبرت الدولة الحجازية من الدول المؤسسة للجمعية الامم ودعيت الى الاشتراك في اعمالها والجلوس بين اعضائها خال دون ذلك رفض الحسين للتوقيع على معاهدة فرساي فقد ابى ان يوقعها لاعتبارين جوهرين : ١ - لانها نصت على مبدأ الانتداب وهو لا يقره ٢ - لانها لم تعترف للعرب بالاستقلال التام وفقاً للعهود المقطوعة له ^(١)

فأخلاف بين الانكليز والحسين لم يكن على استقلال الحجاز وقد كان هذا مفروغاً منه
وأما كان على مصير الاقطار العربية المحررة وهي العراق وسورية وفلسطين فقد كان يطالب بمنحها
الاستقلال التام وفقاً للعهود المقطوعة له . على اننا نذكر ان الانكليز سعوا بعد الحرب لتصفية
هذه العهود بمشروعات عرضوها عليه وقد حمل الاول الكولونيل لورانس الى جدة في سنة ١٩٢٠
وحمل الثاني الدكتور ناجي الاصيل سنة ١٩٢٣ فلم يقبلهما الحسين ولم يقرهما^(٢)

ولم تكن العلاقات بين الانكليز وابن حميد الدين في ذاك العهد على ما يرام فقد سعوا في ابتداء الحرب الى استمالته والتعاقد معه ، كما فعلوا مع الامراء الآخرين واستعانوا على ذلك بسلطان لحج حليفهم وصديقهم فأبى وأقام على ولائه للدولة العثمانية يرعى جنودها المحصورين في اليمن وقد جلا بعد الهدنة فتسلمها وأنشأ هذه الحكومة في ربوعها

وكان الى جانب هذه الامارة والحكومات الخمس المتنافسة المتناخرة المتعادية امارتان صغيرتان الاولى في الجوف شرقي الشام يسيطر عليها آل الشعلان وكانت في الاصل خاضعة لآل الرشيد في حائل فلما ضعف شأنهم جاهرت بالانفصال عنهم وامارة آل عايض في ابها (شرقي نجد) وغرب امارة صديا فقد استقل هؤلاء في ابها (عسير السراة) وتسلموها من الترك حين جلاهم في سنة ١٩١٨

(١) طبعنا هذا الموضوع وتوسعنا في بحثه ونشرنا النص الكامل لهذه العهود وتبلغ نحو ١٥٠ عهداً في كتابنا الثورة العربية الكبرى وهو يطبع الآن في مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر ويقع في ثلاث مجلدات ويصدر في شهر يوليو المقبل
(٢) نشرناهما بتصهما الكامل في الكتاب أيضاً

انتصار ابن السعود في نجد والحجاز

تلك كانت حالة جزيرة العرب من سنة ١٩١٨ حتى سنة ١٩٢١ : ثلاث امارات في الشمال : آل الشعلان وآل الرشيد وآل السعود ، وثلاث في الجنوب : ابن حميد الدين وابن عايض وابن ادريس وفي الوسط الحجاز صاحب الدولة المستقلة وحليف الحلفاء وصاحب الجيش المنظم والمطالب بالسيادة على هذه الاقطار كلها والساعي ليحل محل الدولة العثمانية في السيطرة عليها

والواقع ان مطامع الحسين ما كانت تقف عند اخضاع الامارات العربية لسلطانه بل كان يسعى لانشاء دولة عربية كبيرة تضم الاقطار العربية المحررة ونعني بها العراق والشام وفلسطين وقد خاض الحرب لاجلها ، وكانت مسألة الامارات العربية في داخل الجزيرة ثانوية في نظره ولا نشك في انه لو فاز في تنفيذ هذه الخطة وانشأ الامبراطورية العربية الكبرى — وقد رسم حدودها في مكاتباته مع الانكليز وهي تمتد حتى خليج فارس وحدود ايران شرقاً وسلسلة جبال طوروس شمالاً والبحر الأحمر غرباً وعدن جنوباً — لساد العرب كلهم في داخل الجزيرة وفي خارجها ولساد هذه الامارات وسيطر عليها واصبح سيد العرب غير مدافع

و اول اخفاق سياسي اصيب به الحسين هو تملص الحلفاء من عهودهم الصريحة ومنعهم اياه من التدخل في شؤون العراق وانشاءهم ادارة بريطانية في فلسطين واصدارهم وعد بلفور لليهود ونزول الفرنسيين في الساحل الشامي ثم تقويضهم الدولة الفيصلية في دمشق . اما خيبته العسكرية فقد تمت يوم تربه فقد مزق السعوديون الجيش الكبير الذي اعدّه وسيروه الى الرياض في ربيع سنة ١٩١٩ لفتحها والقضاء على الامارة السعودية فكان ذلك اليوم مبدأ تألق كوكب ابن السعود كما كان مبدأ افول نجم الدولة الهاشمية الجديدة ولم تلبث ان هوت في سنة ١٩٢٤ تحت اقدام الغزاة السعوديين

وشجع ابن السعود ما لقيته انتصاره من نصر في تربه (١) وما غنموه من معدات وذخائر واموال — وكان يرقب سير المعركة عن بعد ولم يشترك فيها بالذات — فزحف على حاييل عاصمة آل الرشيد ولم يزل يطاوها وينازلها حتى استسلمت اليه يوم ٢ نوفمبر سنة ١٩٢١ وقاد أميرها محمد بن متعب ابن الرشيد أسيراً الى الرياض ولا يزال فيها حتى الآن . ثم اتبع اماره آل الشعلان في الجوف بامارة آل الرشيد فاستولى عليها وضمها الى املاكه واتجه في سنة ١٩٢٢ نحو عسير فذلك اماره آل عايض ثم زحف على الحجاز في سنة ١٩٢٤ فاستولى عليه ايضاً وفي سنة ١٩٢٦ دخلت اماره الادارسة في تهامة عسير تحت حمايته وأشرقت شمس سنة ١٩٢٧ على بلاد العرب وابن السعود يسيطر على شمالها وشرقها وجنوبها وغربها ووقفت جيوشه في الجنوب عند حدود ابن حميد الدين صاحب اليمن الذي اصبح وجهاً الى وجه امام ابن السعود مكتسح الامارات ومبيدها

(١) وقعت معركة تربه ليلة ١٧ مايو سنة ١٩١٩ فقد بيت النجديون الجيش الهاشمي عند الفجر فأفئوه ومنزفوه . ولم تدر غير هذه المعركة بينهم وبينه

اول صدام بين اليمانيين والسعوديين

واول مرة وقف فيها زعيما الجزيرة وجهاً الى وجه كانت في سنة ١٩٢٦ فقد حمل ابن حميد الدين في سنة ١٩٢٤ على الادارسة في تهامة فاستولى على مدنهم الشمالية وتقدم حتى ميدي . خاف هؤلاء العاقبة فلجأوا الى ابن السعود وعقدوا معه معاهدة مكة يوم ١٩ اكتوبر سنة ١٩٢٦ ودخلوا بمقتضاها في حمايته فارسها على الفور بنصها الكامل مع كتاب الى ابن حميد الدين يرجوه ان يصدر الامر الى قواده بالكف عن مهاجمة امارة الادارسة لانها في حماه . وقد كانت مفاجأة عنيفة فوجيء بها الامام فاما ان يقر المعاهدة ويعترف بها وبذلك تفلت الامارة من يده وقد كان طامعاً باستصفائها والقضاء عليها . واما ان يرفضها ويأمر عبد الله بن الوزير قائد جنده في تهامة بمواصلة الزحف فيصطدم بابن السعود ويدور القتال بين سيد الشمال وسيد الجنوب وتقع الوقعة الكبرى

وجنح الامام الى السلام واقر الامر الواقع وبلغ قائده بأن يوقف رضى الحرب ولبي دعوة ابن السعود الى المؤتمر الاسلامي في مكة سنة ١٩٢٦ واشترك فيه فأرسل اليه هذا الرسل مع الهدايا في سنة ١٩٢٧ فقابلته بالمثل وارسل اليه في شهر ابريل سنة ١٩٢٨ وفداً من السيد قاسم بن حسين والسيد محمد بن زبارة والسيد عباس بن احمد ومعهم حاشية فشهدوا الحج سنة ١٣٤٦ وكانت مهمة الوفد مفاوضة ابن السعود في تحديد الحدود بين البلدين وفي عقد معاهدة تنظم علاقاتهما . وعاد يحمل الى الامام مقترحات للاتفاق لم تنل من جانبه قبولا

معاهدة العرو

وتعددت الرسل والوفود في خلال الفترة المنقضية بين سنة ١٩٢٨ - ١٩٣١ بين صنعاء والرياض للاتفاق على تحديد الحدود وسافر مندوبو الفريقين الى عسير ليبدأوا بالعمل «فاجتمعوا يوم ٢٥ جمادي الثانية سنة ١٣٥٠ (سبتمبر سنة ١٩٣١) في مكان يسمى النظير واقترح السعوديون ان يجلبوا اليمانيون عن جبل العرو الذي احتلوه ، الى خط الحدود الاصلي فأبى مندوبو هؤلاء واصروا على الاحتفاظ بالجبل ورفع كل مندوب الى حكومته الامر طالباً تعليماتها فاتصل الملك بالامام اتصالاً برقياً فاجابه انه يحكمه في الخلاف فأرق اليه قائلاً بأنه يتنازل عن الجبل لليمن حلاً للاشكال

وعقد المندوبون على الاثر معاهدة وقع عليها يوم ١٥ شعبان ١٣٥٠ جاء في المادة الاولى منها ما نصه « يكون على الدولتين المحافظة على الصداقة وحسن الجوار وتوثيق عرى المحبة وعدم ادخال الضرر ببلاد كل منهما على الآخر وجاء في المادة الثانية يكون على كل من الدولتين تسليم المجرمين السياسيين وغير السياسيين المحدثين بعد هذه الاتفاقية كل لحكومته عند طلب حكومة له وجاء في المادة الثالثة يكون على كل من الدولتين معاملة رعايا الدولة الاخرى في بلادها في جميع الحقوق طبق الاحكام الشرعية

ثورة الادارسة

ولقد كنا نظن ان العلاقات السياسية استقرت بينهما على اثر عقد هذه المعاهدة . بيد ان ثورة

الادارسة على ابن السعود في سنتي ١٩٣١ - ١٩٣٢ اثبتت ان الامر على الضد من ذلك فقد لجأ امراء العائلة الادريسية وانصارهم الى اراضي الامام في تهامة حينما تغلب عليهم السعوديون فاوامم اليمنيون عملاً بسنن العرب واجزلوا قراهم . ولما كانت معاهدة العرو تقضي على الامام بتسليم هؤلاء وكان تسليمهم بلبس اليمن لباس الخزي والعار فقد عجل الامام يحيى فارس في اواخر شهر فبراير سنة ١٩٣٣ برقية الى ابن السعود يعلنه بوصول السيد الحسن الادريسي ومعه جملة من اصحابه وحاشيته الى ميدي ويرجوه منحهم الامان الكامل المطلق والعفو عن كل ما حدث فاجابه برقية قال فيها ان جميع من التجأ اليكم له امان الله على ماله ودمه وانه عفو تام شامل عن جميع ما مضى وحدث في هذه الفتنة الشيطانية سواء حقوق الحكومة او حقوق الاهلين وان جميع من اعطيتموه الامان والمكان فهو تام على وجهه ما يحذرون شيئاً سواء في ذلك الحسن (السيد الحسن) وآله وغيره من الرعية

فاجاب الامام برقية قال فيها انه كتب الى جميع العمال بارجاع كل من لديهم على وجه السرعة وطرد من تأخر وطلب منه بان يحرر للسيد الحسن ومن اليه « بتحرير عفو وامان له خاص » فرد عليه شاكرآ له سعيه للاصلاح وقال انه يعطي امان الله وعهده للحسن ومن تبعه على دمه وشرفه وان جميع ما فات منه لا يعاقب عليه وانه سيكون اخاً عزيزاً له . ومع كل ما جرى فقد ظل الادارسة ومن معهم في ميدي ولم يعودوا الى عسير كما وعدوا وتوسط الامام ثانية فتقرر عقد مؤتمر في ميدي بحضرة السيد الحسن ورجاله ومندوب لابن السعود ومندوب للامام . وقد عقد هذا المؤتمر في اواخر شهر شوال سنة ١٣٥١ واستمر شهرين وانقض من دون نتيجة فقد طالب الادارسة اعادة الحالة في عسير الى ما كانت عليه قبل الثورة واصر مندوب ابن السعود على تقديم الخضوع بلا قيد ولا شرط

مفاوضات صنعاء

وقبل ان تحمل مشكلة الادارسة ارسل الملك عبد العزيز رسولا الى الامام يحيى محمد بن ضاوي يحمل اليه اقتراحات لعقد معاهدة دفاعية بين البلدين لمدة عشرين سنة وانشاء اتحاد جهري وبريدي وقبول مبدأ التحكيم في ما يحدث من خلاف على ان يكون الحكم طبق احكام الشريعة الاسلامية فاجاب الامام بالموافقة مبدئياً وطلب تعديل الحدود من جهة عسير ومعنى ذلك ان يتنازل له عنها وفي شهر ابريل سنة ١٩٣٣ ارسلت حكومة مكة وفداً تألف من خالد بك القرني وحمد السليمان الى صنعاء لمفاوضة الامام في دائرة تلك المقترحات ، ولم يكده يحيط رحاله فيها حتى مرض الامام فانظره نحو شهرين تقريباً لم يعمل في خلالها عملاً يستحق الذكر

وبينما كان العالم العربي ينتظر ورود الاخبار من صنعاء حاملة بشرى الاتفاق فوجيء يوم ١٠ اغسطس نبأ اذاعته المصادر السعودية في مصر وخلاصته ان الامام طلب في اثناء المفاوضات تخلي ابن السعود له عن مقاطعة الادارسة في تهامة او عن قسم منها وادخال منطقة نجران في داخل الحدود البانية وانه ارسل القوات فاحتلت نجران كما منع الوفد السعودي عن السفر

ولما وصلت هذه الاخبار الى صنعاء كذبها الامام تكذيباً قاطعاً وقال انها من صنع دعاة السوء وكذبتها حكومة مكة ايضاً واستؤنفت المفاوضات البرقية بين الملك والامام واذيع في اواخر شهر يناير الماضي ان الاخير قبل مبدئياً مقترحات الحكومة السعودية لتنظيم العلاقات بينهما وهي :

١ - الاعتراف بالحالة الحاضرة في عسير ٢ - عقد معاهدة دفاعية ترمي الى المحافظة على سلامة الجزيرة وتعزيز القضية العربية ٣ - تنظيم العلاقات التجارية والاقتصادية وعلاقات القبائل وطرق معاملاتها في اثناء تنقلاتها ٤ - تأجيل البت في مصير مقاطعة نجران الى فرصة اخرى ووافق الامام ايضاً على عقد مؤتمر في ابها يشترك فيه مندوبو الحكومتين للبت في هذه الشؤون والتوقيع على الاتفاقات الخاصة بها

مؤتمر ابها

عقد هذا المؤتمر في اواخر شهر فبراير الماضي ومثل الحكومة اليمنية فيه السيد عبد الله بن الوزير ومثل الحكومة السعودية وكيل خارجيتها وبدأ عمله في جو صافٍ اعتقدنا معه ان التوقيع على المعاهدة لا يلبث ان يتم ولكننا فوجئنا يوم ٢٢ مارس ١٩٣٤ ببلاغ رسمي اذاعته الحكومة السعودية بانقطاع العلاقات بينها وبين اليمن وهذا نصه : « بالرغم من استنفاد جميع الوسائل السلمية بقي الامام يحيى ماضياً في خطته العدائية نحونا كاحتلاله جبالنا في تهامة واستعماله القسوة مع اهله ، فضاعت بذلك الجهود التي بذلت في خلال سبعة اشهر وقد اصدر جلالة الملك امرآ الى سمو ولي العهد بالزحف الى الحدود واسترداد المناطق التي احتلها جنود الامام يحيى منتظرين فرصة المفاوضات »

بهذا البلاغ وبما تلاه اعلنت حكومة مكة وجود حالة الحرب بينها وبين حكومة الامام يحيى فاضطرب العالم العربي ووجل خوفاً مما قد تُسفر عنه من نتائج سيئة وارسل البرقيات والرسائل الى المملكين يرجوهما الكف عن القتال فرد الامام يحيى يوم ٧ ابريل على برقية لسمو الامير عمر طوسن ببرقية هذا نصها « بعد انتهاء المراجعات بيننا وبين حضرة الملك عبد العزيز والوفاق على امهات مواد المعاهدة كان منا ارسال المندوبين لعقد المعاهدة مضمين كل صداقة واخوة للمشار اليه مستبشرين بصلاح الشأن وحقن الدماء حريصين على جمع كلمة المسلمين غير مجوزين شقاقاً . وفي خلال هذا وحضرة المشار اليه يحشد الجيوش في كل جهة حتى اذا اتم استعداداه أفاد الينا انه موجه جيوشه علينا فاجبناه بكل لطف وصداقة وكنا افدنا الى حضرتكم في جوابنا انه سيكون اعتماد ارشادكم وثباتنا عند حد الدفاع فلم نشعر الا بالتجمع الفعلي بالجنود المجندة للعدوان على اطراف بلادنا ومع هذا فلا ندرى حتى الآن ما عليه مندوبنا في ابها . وقد رأينا من واجب الاخوة الدينية اعلامكم بالحقيقة »

واذيع في ١١ منه ان الامام يحيى طلب من ابن السعود وقف القتال وان هذا اجابه مشروط ببعض شروط ومع انه مضى على ارسال الجواب اكثر من عشرة ايام فلم يرد ما يشعر بقبوله الشروط كالم يرد ما يدل على ان الحرب اوقفت ولا يزال كل شيء من هذه الناحية مجهولاً حتى كتابة هذه السطور

الملك لير : شكسبير

ترجمة الاستاذ سامي الجريديني المحامي

المشهد الرابع من الفصل الثاني

امام قصر جلستر والدوق كنت امين الملك مطروحاً ارضاً ورجلاه في مقطرة

يدخل الملك والمجنون وأمين من الامناء

الملك لير — غريب امرهم . يرحلون عن ديارهم سراعاً ولا يردّون اليّ رسولي
الامين — لم يكن الرحيل في نيتهم حتى ليل البارحة
كنت — السلام عليك ايها السيد النبيل
الملك لير — ما هذا ؟ أتعبت بنفسك فتلبس هذا العار ماجناً
كنت — لا يا مولاي

المجنون — ها . ها . انه متمنطق بجوارب قاسية . ان الخيل تربط من رؤوسها
والكلاب والديبة من اعناقها والقردة من احقابها اما الرجال فمن ارجلهم .
فاذا ما اصاب رجل باسم في رجله البسوه جوارب خشبية
الملك لير — ومن الذي تجاهل مقامك فوضعك هذا الموضع
كنت — هو وهي — ابنك وابنتك

لير — لا: كنت — نعم . لير — قلت لك . لا . كنت — وأنا اقول نعم .
لير — لا . لا . ما فعلوها . كنت — فعلوها . لير — والله لا . كنت — والله نعم .
لير — انهم لا يحسرون على هذه الفعلة . لا يقدرّون . بل ولن يقدموا عليها —
انها افظع من القتل اذ يتعمدون اهانتني . اخبرني واتشد فيما تقول .
كيف استأهلت هذا القصاص وكيف اقدموا هم عليه وانت رسولي اليهم
كنت — عند ما جيئت اليهم يا مولاي برسالتك اذا برسولٍ مسرع يلهث نصباً
جاء وأنا بعد لم انهض من تأدية السلام والاحترام بكتب من مولاته
ابنتك جوزيل فقرأوها بالخال ولم يعبأوا برسالتي ثم امروا اتباعهم
وشدوا الخيل وقالوا الحق بنا نمطك الجواب وتنقلوا بي فنظرت فاذا
الرسول الذي افسد عليّ رسالتي هو ذلك الذي تناول بقحته عليكم
فغلبت اذ ذاك شجاعتي حسن رأيي . فهممت به بسيقي فلأ الفضاء
بصراخ الجن فجاء ابنك وابنتك وواقباني بالعار الذي ترى

المجنون — اذا رأيت القطا يطير من هذه الناحية فاعلم ان الشتاء لم ينته بعد .
اذا تدثر الآباء برث الثياب عميت عيون الابناء عنهم اما اذا حملوا
الاكياس مثقلة بالذهب فقلوب الابناء تلين وتشفق . وسوف ترى من
آيات بناتك الرنانة ما لا تستطيع له عدًّا

لير — ما لهذا الداء العياء يصعد الى قلبي . انزل . خفف عني . فليس مكانك
ههنا — اين هذه البنيّة

كنت — مع الدوق في الداخل

لير — ابقوا ههنا لا يتبعني احد . (يخرج)

الامين — اما تعدنّ أسأتك ما رويته لنا ؟

كنت — لا . وما الداعي ان يأتي الملك يحرسه هذا العدد القليل من الحراس ؟

المجنون — ان سؤالك هذا جدير بما انت فيه من العقاب

كنت — لماذا يا مجنون

المجنون — سأبعث بك الى النملة تعلمك ان لا عمل في الشتاء . الناس منهم من

تقوده عينا فيبصر ومنهم من يعمي فيقوده انقه فيشم الرائحة . وكلا

الفريقين يهجر الملك . اذا رأيت عجلة تنحدر مسرعة من قمة الالكة

فابعدها لا تمسها يدك لئلا تقع وتندق عنقك اما اذا كانت تتسلق

صاعدة فاردف نفسك وراءها

ان رأيت حكيماً ينصحك بأحسن مني فارجع لي نصيحتي فليس للمجنون

ان ينصح غير الادنياء . ان الرجل الذي يلحق بك للسكسب ويتظاهر بالود

لا يلبث اذا امطرت السماء ان يفرّ ويتركك فريسة للعاصفة ، اما انا فلن

ابرح الارض . دع العاقل يهرب اما المجنون فيبقى

كنت — اين تعلمت هذا يا مجنون

المجنون — ليس في المقطرة يا مجنون (يعود الملك مع جلوستر)

لير — ايمتنعون عني ويحتجون بالمرض والتعب وانهم لبثوا ليلهم كله سارين .

انها لا عذار فارغة ودليل المعصية والتبرم . هات جواباً خيراً من هذا

جلوستر — انك تعلم يا مولاي حدة الدوق وتصلبه في ما اعتزم

لير — يا للنقمة . يا لعون الموت . يا للارتباك . ماذا تقول ؟ تصلبه وحده مزاجه ؟

اي جلوستر اي جلوستر اني اريد ان اكلم دوق كورنوال وامرأته

جلوستر — هذا ما نقلته اليهما يا مولاي

لير — نقلت اليهما ؟ الا تفهم ايها الرجل . جلوستر — نعم يا مولاي

لير — ان الملك يرغب في ان يرى كورنوال . ان الاب العزيز يريد ان يكلم ابنته

ويأمرها ان تجيء . هل نقلت اليهما هذا ؟ قسماً بحياتي اني لا افهم .

الدوق صعب المراس ! يالك من دوق صعب المراس . قل لهذا الدوق

الحامي لا . لا . مهلاً فقد يكون مريضاً والمرض خادم لا يكرم

العافية . وقد تضغط الطبيعة علينا فنذهل عن انفسنا ويمرض العقل

بمرض الجسد . ساصبر واكبح جماح غضبي

المشهد الثاني : الفصل الثالث

يدخل الملك لير والمجنون

الملك لير — اخفي ايها الارواح . مزقي خدودك واغضي وانفخي

وانت ايها الاعاصير اقذفي بمائك حتى يطغى فيغرق المناور المرتفعة

وانت ايها النيران المحرقة المارة مرّ الفكر المنذرة بصواعق تقد السنديان

قد اشعلي بياض رأسي

وانت ايها الرعد القاصف اصعق هذا العالم في دورانه واهدم بنيانه

وامحق نطفة جاءت بآدم العقوق

المجنون — يا عماء ان مياهاً مقدسة ملكية في دار جافة خير من ماء المطر في

خارجها . ادخل ادخل يا عماء واطلب بركة بناتك فهذا ليل لا يرحم

العاقل ولا المجنون

لير — اهدر حتى تشبع . ابصقي ايها النيران واقذفي بمائك ايها الامطار فليس

المطر والريح والرعد والنار بنات لي

اني لا اهتمك ايها العناصر بالعقوق فلم اهب لكم ملكاً قط ولم انادكم

يا بني ولم تفرض لي عليكم الطاعة

اسكبوا عليّ جام غضبكم فها انذا عبدكم . رجل فقير ضعيف كسيح وشيخ حقير .

ولكنني لا اتمالك عن ان ادعوك عبيداً مملقين تواطأتم مع ابنتين شريرتين .

واثرتم في السماء حرباً عواناً على رأس شاخ واشتعل شيباً . يا للعار يا للعار

المجنون — من له بيت يأوي اليه يضمن لرأسه غطاءً وافياً . الرجل الذي يؤثر
كعبه على رأسه يتألم من العقر ويأرق ليله . ابغنى امرأة حسناء لا تقلب
وجهها امام المرأة

لير — ساكون قدوة للصابرين واسكت

دع الآلهة التي صبت هذه الكارثة على رؤوسنا تبحث عساها ان تجد غريمها
ارجف جزعاً ايها الشقي الذي خبأ جريمته فلم ينله سوط العدل . اختبئي
ايتها اليد الدامية وايها الخائن يمينه وايها المرأى المدعي العفة وهو
فاسق : لترجف عظامك جزعاً ايها البأس المتظاهر بالود والمتآمر على
حياة الناس

وانت ايتها الذنوب المطوية في الصدور اسلمي نفسك واستغفري لذنبك
من حكم هذه الصواعق

المجنون — (يغني) ان الجوَّ يمطرنا كل يوم فمن كان يملك مسكةً من العقل استطاع
ان يجمع بين حاجته ودهره في السراء والضراء والريح والمطر
لير — صحيح هذا يا غلام — تعالى نذهب الى الكوخ
المجنون — سأتنبأ قبل ان اذهب

اذا اهتم الكهنة بالعرض دون الجوهر

واذا خلط الحارون النبيذ بالماء

واذا اخذ النبلاء يعلمون خياطيهم اتقان الزي

واذا عدل عن حرق الكفار الى حرق الفسقة

واذا كانت كل دعوى صواباً في نظر القضاء

واذا لم يبق الشريف مديناً والكريم مفلساً

واذا هجرت النخمة السنة الناس

واذا ابتعد النشالون عن الجماهير

واذا بنى القوادون والعواهر الكنائس

في ذلك الزمن تسوء حال انكلترا ويكون وقت تمشي فيه الناس على اقدامها .
ومن يعيش ير . هذه نبوءة سيتنبأ بها مارلن ني بريطانيا الذي سوف يجيء بعندي

فتاة الجبل الاسود

استخرجنا هذه الايات الروائع من قصيدته للشاعر الكبير خليل مطران

وكان من الترك جمع قليل
كثير العلوم كأنت الفتى
وقد نصبوا فوقه مدفعاً
وحفوا كاشبال ليث به
ففاجأهم هابط كالقضاء
فتى كالصباح باسرافه
يدل سناه وسجاؤه
رد سواطع أنواره
أقب الترائب غض الروادف
لهيب الحروب على وجنتيه
وفي عينه مثل برق السيوف
فأكبر كلهم أنه
وظنوه مستنفراً هارباً
ولم يحسبوا ان ذا جرأة
ولكن كثرتهم لم ترعه

وما لبثوا ان أحاطوا به
ولولا اتقاء الخيانة فيه
فسيق الى حيث كان الامير
فأوقع امراً بأن يقتلوه
فاقصى الفتى عنه حرأسه
وابرز نهدي فتاة كعاب
كحقي لجين بقفلي عقيق
فكبر مما رآه الامير
وراعهم ذانك التوأمين
ووثبهما عند ما اطلقا
كوثب صغار المها الظامئات

فدان لهم صاغراً عن يد
لكان اللد له يفندي
* * *
في نفر منهم مؤفد
بمراي الجنود غداة الغد
وشق عن الصدر ما يرتدي
بطرف حي وجه ندي
وكزين في رصد مرصد
وهلل كل من الشهد
وطوقها من دم الأكد
الى ظاهر الدرع والمجسد
نفرن خفافاً الى مورد

صورة

للشاعر الاميركي ادوين ماركهام

علمني ايها الأب ان اسير متبذراً كما تنمو الاعشاب
انزل السكينة على قلبي حتى يصمد ، لصدمات العالم المفتون ، كالصخر الاصم
وليكن له في احتدام قوته ، رقة الزهرة .
ودع هذا القلب الظالم يتزع كأسه
ليستقبل السماء في بشر الشقيق الريان .
واذا ما افعم القلب رياء ، ودبت الحياة الجديدة فيه
فليحمل تاجه في وداعة الشقيقة الموقرة بالندی

علمني ايها الأب ان امنح عطفي دون ملل
كما تمنح الشجرة ظلها للعابرين
هذا الظل الذي يشيع روح الطرب في الجنادب الغردة تحته عند الظهيرة
وتستروح بنسماته العليقة هذه الحشرات الدؤوبة في رحلة الحياة .
فدعني اذا انشر البهجة والهناء على ما حولي
من مراعي سحيقة وشعاب نائمة كظلال تلك الشجرة الحانية .
فتنيء اليها الارواح العابرة المتعبة لحظات افرغت فيها الحياة كل صفوها وجمالها

| | |
|-------------------------|-------------------------|
| وقانا لفحة الرمضاء واد | سقاء مضاعف الغيث العميم |
| زلنا دوحة فحنا علينا | حنو المرضعات على الفطيم |
| وارشفنا على ظلي زلالاً | الذ من المدامة للنديم |
| يرد الشمس اننى واجهتنا | فيحجبها وبأذن للنسيم |
| تروع حصاه حالية العذارى | فتلمس جانب العقد النظيم |

مصير المرأة العصرية

الى البيت والمطبخ في المانيا

حريّات جديدة في البلدان المحافظة

ما كادت المرأة الالمانية تفوز بمساواتها للرجل في المانيا بحسب دستور فيمار ، حتى جاء هتلر وأعادها ثانية الى البيت والمطبخ . فردّت على ذلك جمهوريات اميركا الجنوبية بمنحها النساء حقوق الرعوية جميعاً أسوة بالرجال . اما في اسبانيا فقد اشترك النساء في الانتخاب الاخير ، وكان لاشتراكن أثر في فوز أحزاب اليمين . واما في روسيا السوفيتية ، فللمرأة من الحرية ، وعلى عاتقها من التبعة ، ما لم يؤثر عن عصر سابق ، حتى في عهد النساء المترجلات (امازون)

وهذا كله يشوِّش على الناس افكارهم في مصيرها ، من أنصار حرية المرأة كانوا او من غير انصارها . فاننا لم نعهد في العصر الحديث عهداً ، انقسمت فيه الآراء في مصير المرأة ، كما انقسمت في عهدنا هذا . وليس الغرض من هذا المقال البحث في الادلة التي تسرد لتؤيد حرية المرأة او تنقضها . فهذا في رأينا قد فرغ منه ، في ناحية تأييد حريتها . وانما غرضنا ان نجول خلال بلدان العالم مستطلعين مكانة المرأة فيها ومدى ما حققته من الاغراض التي بدأت تطالب بها من نحو قرن من الزمان ، وما رأي العالم فيها الآن

فلست تجد مثلاً قارّة من القارات ، ليس للنساء فيها حقّ الاعراب عن آرائهنّ في الشؤون العامة بطريقة من الطرق . حتى اميركا الجنوبية ، التي كانت حتى عهد قريب ممتنعة عن منح النساء حق الانتخاب ، منحتهنّ اياه كاملاً غير منقوص في مؤتمر الجامعة الاميركية الذي عقد في منتيفيدو هذه السنة . ففي سنة ١٩٠٢ لما انشئ الاتحاد الدولي للانتخاب النسائي ، لم يكن للمرأة حق الانتخاب الا في الولايات المتحدة الاميركية . حتى في تلك البلاد ، كان حق النساء الانتخابي محصوراً في بعض الولايات الغربية فقط . اما الآن فالنساء يملكن حق الانتخاب في ما لا يقل عن اربعين بلداً من بلدان الله

ويجب ان نسلّم في هذا المقام ، بأن حق الانتخاب ، انما هو ناحية واحدة من المسألة . وان هذا الحق منح للنساء في بعض البلدان منجاً نظرياً فقط . ففي بلاد اكوادور منح نساؤها حق الانتخاب سنة ١٩٠٩ ولكنهنّ لم يستعملنه الا في بضع السنوات الاخيرة في اطلاق ضيق وفي كثير

من التردد والاحجام ، واما في ايطاليا فللنساء حق الاقتراع في الانتخابات البلدية ملء بعض المناصب . ولكن الانتخاب لهذه المناصب ، قد انفي لانّ موسوليني يعيّن فيها من يشاء ، من دون ان يقرع له رجل او امرأة

ويصحب حق الاقتراع عادة حق الانتخاب ملء المناصب العامة . فانت تجمد نساء قد انتخبن اعضاء في المجالس النيابية في انكلترا والدنمارك والنرويج والسويد واسبانيا والولايات المتحدة الاميركية . وقد سبق ان اختيرت سيدة لتكون عضواً في وزارة بريطانية سابقة ، واخرى في وزارة دنماركية سابقة . ووزارة العمل في حكومة الرئيس روزفلت تشغلها سيدة الآن . ثم ان نساءً مثلن امهن في جمعية الامم غير مرة . وقد بعثت البرازيل من قبلها بسيدة لتمثلها في مؤتمر دولي للطرق . وسفير الولايات المتحدة الاميركية في الدنمارك سيدة .. اما في تركيا فقد ابيحت لهنّ المناصب العامة . وقد رأى كاتب هذه السطور ، سيدة تركية في ازمير تشغل منصب مستشار بلدي ، واخرى جالسة في محكمة الجنائيات . ويقال ان منصب المحافظ في احدى مدن الاناضول تشغله سيدة ولا يقل النجاح الذي اصابته النساء في ميادين الاحكام الشخصية عن النجاح الذي اصبته في ميدان السياسة . فالانجاء في كل الشؤون الخاصة بالملك والزواج والطلاق وحفظ الاولاد ، نحو مساواة المرأة بالرجل

اما في ناحية التعليم فقد تفتحت الابواب في وجوههنّ في خلال الثمانين السنة الاخيرة . ثم تمهدت لهنّ سبل الصناعات والحرف المختلفة وقد اصبحت فيها نجاحاً يشجعهنّ على الماضي . نعم انهن لا يدعين ان اربع المحاميات بلغن مرتبة اعظم المحامين . ولا ان المهندسات المعماريات يستطعن ان يبارين المهندسين المعماريين في تشييد نواطح السحاب ، او المباني الفخمة . ولكن الزمن الذي انقضى عليهنّ وهنّ يمارسن هذه الحرف اقصر من ان يتيح لهنّ ازدهار الملكات الكامنة في نفوسهنّ

واعجب ما تمّ من وجوه الانقلاب ، تمّ في اشدّ البلدان محافظة . فقد كانت اسبانيا في مسألة النساء محافظة اشدّ المحافظة . ولكن الدستور الجمهوري الجديد يمنحهنّ جميع الحقوق اسوة بالرجال الا حق الخدمة في الجيش . اما في تركيا ، فقد انفي مصطفى كمال تعدد الزوجات ، وشجّع النساء على طرح الحجاب ، وبعث بالبنات الى المدارس والكليات ومنحهنّ نفس الحقوق التي تمنح للرجل في شؤون الزواج والطلاق . بل تجمد من النساء التركيات ، ضباطاً في البوليس ، وقد قيل انهنّ الآن يطالبن بحق الخدمة في الجيش

اما المرأة الاميركية فكانت اكثر بطئاً في تطوّرها من اختها الاسبانية او التركية . فانت اذا نظرت في شؤون المرأة الاميركية الآن ، رأيت ما يدهش جدّها لو رآه . فهي تعني بيتها واولادها ،

ولكنها مع ذلك تشغل في المكاتب او المعامل او المدارس ، وتلعب الالعب وتحضر المسارح وتنتخب وتنتخب . والمرأة الاميركية ، تجاري الشاب الاميركي في حسن التعليم وهي ولا شك الحاكمة بامرها في الاجتماع الاميركي . اما في ميدان الحرف ، فلا تزال ماضية بصبرها المعهود تشق طريقها فيه الى المقدمة

وما يصحح على النساء الامريكيات الآن ، يصحح بوجه عام على النساء الانكليزيات . فقد فازت النساء الانكليزيات سنة ١٩١٨ بحق الانتخاب — ضمن حدود معينة — ثم منح حق الانتخاب المطلق سنة ١٩٢٨ اسوة بالرجال ، فدخلن ميدان السياسة واصبن فيه نجاحاً لا بأس به . وفي البرلمان الحالي خمس عشر سيدة بين اعضائه

ولكن ولكن النساء الانكليزيات لم يتقدمن كثيراً في تحقيق مطالبهن بعد سنة ١٩٢٨ نعم ان عددهن في المدارس والصناعات قد زاد ، ولكن هيئة موظفي الحكومة متشددة معهن . فلا يملن نفس الاجر الذي يناله الرجل ولو كان العمل واحداً . والاتجاه الآن الى اخراج النساء المزوجات من اعمالهن لاحتلال الرجال محلهن

بدأت الحركة النسوية العصرية في اميركا وبريطانيا في القرن الماضي فازدادت قوة لما انضمت اليها نساء البلدان السكنديناوية بزعامة الن كاي Ellen Key ونساء الالمان والهولنديين وغيرهم من الامم . فلما نشبت الحرب ، وخرجت النساء من بيوتهن ، الى ميادين العمل في البلدان المحاربة ، اصبحت الحركة النسوية وكأنها موجة تكوَّنت في عرض البحر ، وسارت تجمع قوة وعزماً في سيرها ، حتى وضعت الحرب اوزارها ، ونال النساء في كثير من البلدان حق الانتخاب ، مع انهن لم يكن لهن في بعضها اي حق من الحقوق من قبل

ومضت الحركة من ظفر الى ظفر حتى بلغت مداها في روسيا . ثم بدأ موسوليني حياته الدكتاتورية ، فمنح حق الانتخاب لطوائف معينة من النساء أولاً ، ولكن ذلك لم يكن الا اشارة وقتية من ناحيته ، لانه ما لبث حتى صرَّح برأيه في المرأة ، اذ قال ان مكانها انما هو حيث تنجب جنوداً ووطنيين لاييطاليا الفاشستية . وبعد ذلك جاء هتلر . فأزال بجمرة قلم ما كان النساء الالمانيات قد غنمنه في دستور فيمار (راجع مقتطف مارس ١٩٣٢ ص ٣٤٧) ووضعهن في مكان دون مكان الرجل ، وجعل ميادينهن الخاصة بهن المطبخ والمدرسة والكنيسة . وكذلك بدأت حركة الرجعة فمن بضعة اسابيع وقفت السيدة « كاري تشجان كات » — وهي سيدة بلغت الخامسة والسبعين فضت معظمها في خدمة نهضة المرأة — فخذرت النساء من موجة الرجعة هذه التي اخذت تكتسح العالم . نعم ان ما فعله هتلر ، هو تمادٍ في التطرُّف من ناحية الرجعية . ولكن يظهر ان الاتجاهات

السائدة الآن في البلدان الاخرى هي في ناحية الرجعية في الغالب وان كانت اقل تطرفاً من عمل هتلر فاهمة فارة في معظم الجمعيات النسائية في اميركا والسويد . واما المرأة الفرنسية ، وهي المرأة الوحيدة التي لم تتسع دائرة حقوقها بعد الحرب فيظهر انها قد اخذت تفقد كل عناية بالمطالبة بحق الانتخاب

والظاهر مما تقوله الكاتبة الاميركية ملدرز ادمن ان القضية النسوية لم تتقدم في العهد الاخير الا في جمهوريات اميركا الجنوبية (كما نتبين من قرارات مؤتمر منتيقيديو) واسبانيا وروسيا . والتقدم في اسبانيا ، كان في نواحي التعليم والعمل والاعمال الاجتماعية اولا ثم في ناحية السياسة . ولكن النساء الاسبانيات — راهبات كنّ او نبيلات — اشتركن في الانتخاب الاسباني الاخير ، فافترعن ضد الاحزاب التي منحنهن هذا الحق ، وفي هذا دليل على ان الافكار في اسبانيا ليست مجمعة على ما هي حقيقة التقدم

اما روسيا السوفيتية فهي البلاد الوحيدة التي منحت النساء ، جميع ما تطالب به زعيمات الحركة النسوية ، فهي مساوية للرجل في الحقوق والتبعات . لها الحق ان تنتخب وان تتوظف وان تشغل بأية صناعة ، وان تنتظم في الجيش . بل ان الدعاية الى وجوب استقلال المرأة من الناحية الاقتصادية ، قد تغلغت في نفوس الروسيات ، حتى لا تستطيع ان تجد امرأة روسية تسلم بان ليس امامها الا السبب في البيت . فيجب عليها ان تقوم بنصيحتها لتسديد نفقات زوجها اذا مرض . ونفقات اولادها اذا انفصلت هي عن ابيهم . ثم لها الحق ان تملك ما تكسب ، وان تتعاقد ، وان تطلب الطلاق

هذان هما الاتجاهان . المانيا تطلب عودة المرأة الى البيت ، لانها كنبوليون تعتقد ان الواجب الاول على المرأة هو انجاب الجنود . اما الفلسفة التي من وراء النظام الروسي فتتميل الى السلم دون الحرب ، ولكن مع ذلك يجب على نساء البلاد ان يستطعن السير بصناعة البلاد اذا نشبت حرب . ثم هناك عامل آخر وهو عامل الرياضة . ففرنسا حيث المرأة لم تنل شيئاً من الحقوق التي تتمتع بها نساء البلدان الاخرى ، وفي اسبانيا حيث كانت الفتاة تحجب عن خطيبها ويفصل بينهما بحاجز من القضبان الحديدية المشبكة — في هاتين الامتين خرجت الفتيات الى ملاعب التنس واحواض السباحة ومباريات الدراجات . وفي تركيا تجد الفتيات التركيات يسقن طياراتهن وينتظمن في مباريات الجمال العالمية . ثم ان النساء في كل البلدان ، تعين الآن بكل ما من شأنه ان يساويهن بالرجال في الشؤون الجنسية فضبط النسل موضوع تهتم به نساء الجمهوريات في اميركا الجنوبية ، وتحليل الاجهاض تهتم به نساء البلدان السكنديناوية كالندمارك وغيرها . وتعليم الصحة الجنسية في مدارس انكلترا ، كان من المطالب التي تقدمت بها النساء الانكليزيات الى اولي الامر . ولا ريب بعد هذا ان دائرة المرأة قد اتسعت اتساعاً عظيماً في العمران الحديث سواء ارضي بذلك هتلر وموسوليني ام لم يرضيا

عَقْلُ الطِّفْلِ

فِي تَطَوُّرِهِ

لأحمد عطية الله

— ٤ —

﴿النمو الجسمي للطفل﴾ لدراسة نمو الطفل من الناحية الجسمية شأن كبير في التربية للعلاقة الوثيقة بين « التغيرات الفسيولوجية » التي تحدث في الجسم وبين تطوره العقلي مع ان الخطين البيانيين اللذين يوضحان التغير الفسيولوجي والتطور العقلي لا ينطبقان تماماً . ومع ذلك ترى ان النمو الجسمي في الطفل يلزم تطور النمو العقلي اذ ان كثيراً من استعدادات الطفل العقلية تعتمد على نمو الاجهزة التي تؤدي هذه المهمة

ان جميع أجهزة الجسم واعضائه لا تفتأ في تغير وتطور اثناء الحياة وهذا التغير يشمل تكوينها ووظائفها فالطفل بعد ولادته لا تكون جميع اعضائه كاملة النمو بل هي تختلف في نموها من حيث السرعة او ميعاد الاكمال . فبعض الاعضاء كالرأس ينكاد يكون كاملاً بينما أجهزة اخرى كالاسنان لا تظهر الا في اواخر السنة الاولى عادة : ولا يتم هذا التغير الفسيولوجي الذي يطرأ على الجسم بنسبة واحدة عند جميع الاشخاص بل ان نسبة هذا النمو تختلف باختلاف الاشخاص . لذلك ترى أنهم لا يصلون الى درجة واحدة من النمو الجسمي اذا ما بلغوا سنّاً معينة

فاذا قابلنا بين اطفال في سن واحدة نجد فروقاً من حيث درجة نموهم الجسمي . ولو ان هذه الفروق تزداد وضوحاً بالتدرج كلما تقدم الطفل في السن

والقياسات التي اخذت عن النمو الجسمي تبين ان النمو في سني الطفل الاولى يكون في بادىء الامر سريعاً . ثم يبطل في هذا النمو فجأة قبل التاسعة عند الفتيات والحادية عشرة عند الصبية ثم يسرع مرة اخرى في دور المراهقة ويصل الى اقصاه في الثانية عشرة عند الفتيات وفي الرابعة عشرة عند الصبيان ، ويأخذ في الهبوط بعد المراهقة حتى يكاد الجسم ان يكون في حكم الوقوف اذا ما وصلت الفتاة الى السابعة عشر والصبي الى العشرين . الا ان العضلات تستمر في النمو وكذلك المجموع العصبي لا يفتأ نامياً بعد ذلك بسنين عدة وبعض الأعضاء كما سلف ذكره أكثر نمواً من الاعضاء الاخرى : فالاطراف مثلاً اثناء الطفولة تكون اسرع نمواً من الجذع حالة ان نمو الرأس لا يكاد يذكر لانه يكاد يتم قبل الولادة

الحال مع الاحساس الشمي ، فالمولود يبدي رضا او اشمئزازاً من وضع أشياء حلوة او حامضة على لسانه او بتقريب رائحة قوية من أنفه والشم يقرن دائماً بالذوق لذلك كثيراً ما نجد المولود يخلط بين ما يشم وما يذاق فيضع الورد ذات الرائحة العطرة في فمه اذا قربت اليه ولكن رائحة الطعام أسهل تمييزاً

على الطفل من غيرها ولسرعة تقدم هاتين الحاستين عند الطفل كان من العسير ان نجبر حتى المولود على تناول طعام لا يستسيغه او يأنف من رائحته

(٢) اللمس : للوليد قدرة على الشعور بالاشياء التي تلامسه غير أنه يكون عاجزاً في بادئ الامر عن تحديد موضع اللمس ومع ذلك فبعض أجزاء الجسم تكون بطبيعتها

أشد احساساً من الاجزاء الاخرى كراحة الكف وحاسة اللمس تكون على اشدها عند الطفل الذي لا تريد منه عن بضعة اسابيع في الشفاء وفي اللسان لذلك تراه يستحلب كل ما يقع تحت يده وهو يستطيع ان يفرق بين الحرارة والبرودة ففي الحالة الاولى تراه يظهر شيئاً من الحركات التي تدل على التراخي. وفي الحالة الثانية تراه يقوم

﴿ التطور الحسي ﴾ لا يمكننا ان نستخلص نوع الحياة العقلية التي يعيشها الطفل بعد الولادة مباشرة ولكن كل ما يمكن ان نصل اليه نستخلصه من شعور المولود بالراحة او الألم . ومن هذا يمكننا ان نقول ان المولود يشعر شعوراً غامضاً بالضوء وعند اقترابه من الماء والهواء والملابس

اما الحركات التي يقوم بها فحركات انعكاسية بسيطة لا يستطيع ضبطها . واذا لم يوجد ما يستثير هذه الحركات فالوليد يكون في حالة نوم ، والدور الاول من حياته هو دور حسي محض ومعنى ذلك ان الطفل لا يدرك ما يراه وما يسمعه ولكنه يحس بشيء مما هنالك لان ادراك الطفل للاشياء يعتمد على نمو اعضاء الحس وعلى كمال نمو المجموع العصبي

كان في قديم الزمان تاجر غني ، وكان يملك في ردهته العظيمة علاوة على كنوزه ، ثلاثة كرامبي كرمي من فضة ، وآخر من ذهب ، وثالث من الماس . ولكن كنزه الاعظم ، كان ابنته الوحيدة ليلي وكانت ليلي ، جالسة ذات يوم في غرفتها ، فاذا باب الغرفة يفتح فجأة فتدخل منه سيدة رائعة الجمال تحمل في يدها دولاراً وقالت : يا ليلي ، ماذا تفضلين أشباباً هنيئاً ، ام شيخوخة هنية ؟

فدهشت ليلي ولم تدر بما تحبب . فأدات السيدة سؤالها قائلة « ماذا تؤثرين . أشباباً هنيئاً ام شيخوخة هنية » وتأملت ليلي في السؤال فناجت نفسها : اذا فضلت الشباب الهني تعين علي ان اشقي طوال ما يتبقى لي من حياتي لا . اني أفضل ان تحمل الشقاء الآن ، وان اتطلع الى شيخوختي الهنية . ثم نظرت الى السيدة وقالت : هيبني شيخوخة هنية فقالت السيدة : فليكن ما تريدن . وأدارت دولارها ، فاخفتت فجأة كما ظهرت . وكانت تلك السيدة الرائعة الجمال مثالا لما صارت اليه ليلي في شيخوختها

وأعضاء الحس بعد الولادة مباشرة لا تقوم بعملها على الوجه الاكمل ولا شك ان في ذلك شأنًا كبيراً من حيث ان المولود لا يصطدم دفعة واحدة بفعل المؤثرات الحسية من اصوات اواضواء (١) الذوق الشمي : اثبت بعض العلماء ان الاحساس الذوقي كالتمييز بين الحلو والمر والحامض في استطاعة الطفل بعد الولادة مباشرة وكذلك

ببعض حركات انعكاسية كالعطاس ولكن هذه الحاسة كالتى سبقتها تكون غامضة غير محدودة عند الوليد وتأخذ في الدقة بالمرانة

(٣) البصر : بعد الولادة مباشرة يكون الطفل في حكم الاعمى ولما كان غير قادر على الاحساس بالالوان او بالاشكال فهو لا يميز المرئيات اطلاقاً ففي اليوم الثاني من حياته لا يفتح عينيه الا في الظلام ويفضله على الضوء

وفي خلال الاسبوعين الاولين يبدي لامه عدم راحة لمقابلة الضوء فلذلك نراه يغمض عينيه اذا عرض امامه جسم شديد اللعان او ضوء قوي

ولكن بعد الاسبوع الثالث يبدأ يعود نفسه مواجهة الضوء بل ويظهر سروراً عند وجوده في مكان مضيء . وفي بادىء الامر لا يوجه الطفل بصره الى شيء خاص . حتى اذا بلغ الاسبوع الثامن بدأ يوجه انتباهه الى الاشياء الجذابة القوية . ومن الصعب ان نعين قدرة الطفل على تمييز الالوان في الاسباع الثلاثة الاولى من حياته ولكنه بعد الاسبوع الثامن يظهر سروراً عند رؤية الالوان الزاهية مثل اللون الاحمر ثم الاصفر

والمولود لا يوجه نظره الى الاشياء التي تقع امامه مباشرة اذ ان من الصعب عليه ان يحول رأسه يمنة او يسرة . ومدى إبصار المولود الذي لا يزيد عمره على ثلاثة اسابيع لا يتعدى ثلاث ياردات الا ان مدى ابصاره يتسع اتساعاً كبيراً لا سيما بين العام الاول والخامس من حياته لذلك كان من الضرر ان نجبر الطفل في هذا الدور على ملاحظة الاشياء الدقيقة القريبة منه . حتى اذا بلغ الطفل بضعة اسابيع من العمر ابتداء يدرك هيكل المرئيات اذا كانت واضحة قوية : كما ان عينيه في بادىء الامر لا تستطيعان الحركات التوافقية الا ان اهتمامه بملاحظة الاشياء ذات الشأن عنده كالام او التي تسترعي انتباهه استرطاً كالالوان الزاهية تساعد على التغلب على هذا النقص فتتقدم قدرته على الملاحظة البصرية عند ما يمكنه تحريك جسمه لمساعدة عينيه في عملهما

(٤) السمع : عند الولادة يكون الطفل اصمّ وذلك لخلو طبلة الاذن من الهواء ولكن بعد بضع ساعات يستطيع المولود ان يتأثر بالاصوات العالية باظهار شيء من الجزع . وفي خلال الاسباع الاولى لا يستطيع الطفل تمييز الاصوات اذ انها تصل اليه مشوشة متداخلة ولكن بعد الشهر الاول او بعد الاسباع الستة الاولى يبدأ الطفل في التفريق بين الاصوات (بسماع النغمات الموسيقية) فيبدي فزعاً من الاصوات المتنافرة كما يبدي غبطة وسروراً بسماع الاصوات الموسيقية المؤتلفة . ولعل اول ما يميزه الطفل هو صوت والدته . وميل المولود للموسيقى نشأه في ميل الاطفال الذين يتراوح عمرهم بين شهرين او ثلاثة لسماع الاغاني . الا ان قدرة الطفل على تمييز الاصوات لا تأتي الا متأخرة بل انها تبقى كذلك اذا لم نعمل على تنميتها فيه

الجمال والعمل البيتي

كتبت سيدة انكليزية في احدى المجلات النسائية مقالاً عن عناية المرأة بجمالها كائنة اشغاله ما كانت قالت :

زرت امس صديقة لي متزوجة وعندها ولدان . ولكنها ليست غنية . اي انها مضطرة ان تقوم بمعظم اعمال بيتها بنفسها . وكانت ، لما وصلت قد انتهت من اعمال البيت ، وبدت عليها امارات الاعياء فنظرت اليّ وقالت : الفرق كبير بيننا . انت تظهرين كأنك صورة من احدى مجلات الازياء أما انا ولكن ما العمل لست اجد متسعاً من الوقت للعناية بنفسني . ان ذلك لا يهمني . فقلت : ولكن يجب ان يهتمك . فدهشت لجوابي وقالت اتلقين علي عظة ؟ اذاً افضل ان اسمعها جالسة لفرط تعبي . فقلت : عظة وأية عظة . تقولين ان العناية بمظهرك لا تهمك لكثرة عملك . اتظنين اني البت في البيت طول النهار لا ادري ما اعمل ، فوجه كل عنايتي الى وجهي وعيني ويدي . انا اعمل مثلك طول النهار ، ولكن في مكتب ، يقتضي مني كل دقيقة من ساعات العمل . ومع ذلك اجد من الوقت متسعاً للعناية بنفسني . المسألة مسألة نظام . واذا كنت انا احتاج الى ان اظهر بمظهر لائق امام الرجال الذين اشتغل معهم ، افلا تظنين ان زوجك جدير بمثل هذا ؟ انا ادرك انك متعبة . ولكن لو كان منظرُك ابهج مما هو لكان شعورك بالتعب اقلّ

قلت لي من اسبوع مثلاً ان بشرتك جافة . فانت تستطيعين ان تتغلي على هذا الجفاف بدل كم بقليل من « الكولدريم » كل ليلة قبلما تبدأين حمام الولدين . وعندئذ يفتح بخار الماء الساخن مسام جلدك فيتخللها « الكولدريم » فاذا حان ميعاد نومك ترين الجلد وقد اصبح طرياً ناعماً . عندئذ ازيل « الكولدريم » وامسحي وجهك بقليل من الماء البارد ، فتحسّين بنشاطه بعد عمل النهار المضني ، ثم امسحيه بقليل من القطن المغموس باحد المستحلبات الخاصة بذلك او خذي مسألة الشعر . فاذا كان جافاً افركي جذوره بقليل من زيت الزيتون ثم اعصبيه في خلال العمل فترينه لماعاً متى انتهيت من عملك واردت ان تستقبلي زوجك او زوارك . اما اذا كان شعرك كثير الدهن فذري قليلاً من الشامبو المسحوق حتى يتغلغل الى جلدة الرأس واعصبيه فاذا انتهيت من عملك ازيل المسحوق بالفرشة فترين ان كثيراً من الدهن قد زال

او خذي يديك . امسحيهما بعد العمل ، بعصير ليمونة حامضة . ثم ادلكيهما بمعجون مطر ، فتحتفظين ببشرتهما غضة وتمنعين القشب . وما زلنا نتكلم عن اليدين يجب ان تستعملي قفازين في اثناء قيامك بعمل البيت . تعوّدي استعمالهما ، ولا تنسي ان في شؤون الجمال يصدق القول المأثور « درهم وقاية خير من قنطار علاج » . والقفازان في هذه الحالة يقيان يديك من كثير من الآفات هذا بعض ما اقترحه عليك واذا شئت المزيد فاني رهن امرك

المرأة في البادية

خلاصة المحاضرة التي القاها في النادي الكاثوليكي للشبيبة السورية
حضرة الارشمندريت ميشل عساف رئيس المدرسة البطريركية للروم
الكاثوليك في القاهرة

المقدمة

لقد حار الكتّاب في أمر المرأة وذهبوا في وصفها وتحليل نفسياتها وادراك كنه قلبها وتصوير عواطفها مذاهب عديدة متباينة متناقضة . فمنهم من صوّب اليها سهام سخطة وصبّ على رأسها جام غضبه ونسب الى عينيها والى لسانها والى خبث طبيعتها شرور هذا الكون ومنهم من تغنى بطيب عنصرها وجمال فضائلها فقال : هي ملاك أرضي ، وهي شمس تبعث النور والحياة ، وقال أحدهم « ان للمرأة سلطة في نظراتها اكثر نفوذاً من القوانين ودموعها اقوى حجة من الشرع » وقال آخر « تبدأ الاعمال العظيمة اولاً بالمرأة »

ولا تزال الآراء متضاربة في تحليل تلك النفسية العميقة كالبحر ، الصافية كالسما ، القائمة كالغيوم ، المنفجرة كالرعود القواصف ، المشرقة كالصباح الوضاح

لكن المرأة هي مرآة الرجل اذا صلح صلحت واذا فسد فسدت . والرجل هو كل فرد وهو المجتمع وهو كل الشعوب . ولما كانت هي في هذه الحياة أمّاً لذلك الرجل ومربيته ورفيقته ومتعته ومحط آماله وقبلة حياته فهي لذلك وان كانت الثانية طبيعة وشرعاً فهي الاولى في المجتمع البشري فعلاً وأثراً واقتداراً . فاذا ساواها الرجل بنفسه واحترم ضعفها وهذب اخلاقها وكان لها معيناً ولشدائدّها نصيراً أضحت هي بدورها لعقله نوراً ولارادته قوة ولقلبه سعادة

اما اذا عمل الرجل على امتنان كرامتها وافسادها كان انتقامها ذريعاً فأفسدته ضعف ما هي عليه فهي شيطان اذا أفسدتها واذا اصلحتها فهي ملك

وربّ معترض يقول : من هي المرأة البدوية حتى نتكلم عنها في هذا النادي الادبي الكبير ليست ذلك الخلق الحقير الجاهل الدفين في بطون الفيافي وغياب الصحاري . هل كانت شيطاناً في قومها او ملاكاً في عشيرتها حتى يكون لها شأن كخواتم ربات الخدود في العواصم والقصور فيجيب المؤرخ والبحاث جرجي زيدان : ان المرأة البدوية كانت مساوية للرجل . ونبع من مضارب البادية نساء اشتهرن بالشجاعة والاقدام والحزم والرأي والتجارة والادب والشعر وغيرها

المرأة البدوية في بيئتها

الابنة عند العرب حين تولد فهي المخلوقة الحقيرة . وحين تبلغ فهي المسكينة الاجيرة . وحين ينضج شبابها فهي اللؤلؤة الكبيرة . وحين تزوج فهي الاميرة الخطيرة — قلنا حين تولد فهي الحقيرة لأن العرب يكرهون ولادة البنات ويؤثرون عليهن البنين .

والسبب في ذلك ان البدوي يعيش في ظلال سيوفه فاذا كثرت رجاله عظم امره وان قلت رجاله صغر شأنه . ويقول المثل البدوي : عد رجالك ورد الماء

ومن العرب من كان يثد البنات خوفاً من ان يخرج منهن من يلحق العار بالعشيرة

— ثم حين تبلغ فهي الاجيرة خادمة البيت للكنس والغسيل والحياكة وحمل الماء وخدمة الضيف

هو الضيف ياليلي هات الرطب وهاتي الشواء وهاتي الحلب

وهاتي من الشهد ما يُشتهى ومن سمنة الحى ما يُطلب

— ثم حين تبلغ سن الزواج فهي اللؤلؤة الكبيرة وسنتكلم عنها في باب الزواج

— وتصبح الاميرة الخطيرة اذ تصير زوجة فلان وام فلان وفلان . فالمرأة كبيرة المنزلة عند

العوب يحترمها الكبير والصغير والصدى والعُدو على السواء . ولقد ترم بين صفوف الرجال فلا

يجرؤ احد ان يكلمها ولا ان يسلم عليها احتراماً ووقاراً حتى ولا زوجها

والعار الا كبر عند العرب ان يعتدي الرجل على امرأة ولا سيما في شرف وقداسة عرضها .

ولذلك فان التاريخ لا يذكر ان الفحشاء او البغي قد تقشياً عند العرب . وبذلك يتباهى عنتر بقوله :

لئن ألكُ أسوداً فالسك لوني وما لسواد جلدي من دواء

ولكن تبعدُ الفحشاء عني كبعد الأرض من جو السماء

والعفاف عند نسائهم هو اظهر زينة لهن واكرم فضيلة . وكان الحب العذري مألوفاً عندهم

أعني ذلك الحب الذي لا تشعر به الريبة . ولقد نقل الينا التاريخ اخبار قيس وليلى ، وجمل وبثينة ،

وتوبة وليلى الاخيلية ، وذهبت حكايتهم مذهب الامثال مدى الاجيال

— ان المرأة البدوية لا تخالط الرجال لا في الاكل ولا في المجالس العامة ولا في الافراح ولا

في المآتم . ولكن ليس في ذلك امتهان لكرامتها بل حرمة لها وصيانة لسمعتها من ان تنالها العين

بسوء . ولا تعتبره المرأة اذلالاً لها بل رفعة لشأنها

فما البيد الاً ديار الكرام ومنزلة الدم الوافية

والمرأة البدوية تحب بيتها وباديتها وحالها رغم ما هي عليه من شظف العيش . وترى ان الحياة

لذيذة في بيوت الشعر

وبيت تحفق الارياح فيه احب الي من قصر منيف

فبيتها هو لها معقل الشرف والامانة والانفة ، معقل الحرية اللذيذة المقيدة بقيود العز والاجلال ،

معقل الفضائل الشرقية العالية من قرى الضيف وخدمة الزوج وتربية البنين والانتصار لقومها

والصبر على الشدائد والتعقل والرصانة . وهي الفضائل الاجتماعية الحقبة

— اما الرقص فلقد اعتاده العرب لاسيما في الافراح . ولكن لا ترقص نسائهم ورجالهم معاً .

بل يجتمع الرجال حلقه وينشدون الرجز ويرقصون ويصفقون . وتقوم احدى الشابات في وسطهم

زفص بالسيف . الا ان رقصهم بعيد عن جمال الكياسة ولو كان حليف الحشمة واللياقة

وتلبس المرأة البدوية ثوباً بسيطاً عريض الاردان ، طويل الاذيال

هل رأيتم كغادتي اذ انت تسحب الردا

تدخل اليوم واذا يالها تدخل غدا

والمرأة البدوية تمشي سافرة وتستعمل الحناء والكحل والعطور وانواع الطيب

المرأة البهرية والحكم

لقد قام بين نساء العرب من اشتهرن بالحكم ولبس التاج وحمل الصولجان : خلد وشقيقة وجيلة في سلع (وادي موسى) حاصمة الانباط . وبلقيس في سبا — ولا سيما زينوبيا في تدمر فان سيرتها اقرب الى سير الابطال منها الى سير النساء ، فضلاً عن جمالها وهيبتها

المرأة البهرية والنمقل والحزم

المرأة البدوية هي عموماً عاقلة حكيمة لما تمتاز به من عزة النفس وما هي عليه من شطف العيش في البادية . ولقد وصلت الينا اخبار بعضهن في ذلك

اولهن خديجة بنت خويلد التي يرجع الى حزمها وحكمتها الفضل الكبير في نشر الدعوة الاسلامية بين رجال قريش . ثم عائشة بنت ابي بكر زوج محمد . واختها اسماء ام عبد الله بن الزبير الشهيرة في تاريخ حصار مكة . والخنساء وسفانة بنت حاتم طي وسامى بنت عمر

المرأة البهرية والزواج

لقد درج العرب على ان لا ينظروا في الزواج الى رغبات بناتهم . فليس للابنة ان ترغب في فلان وزيده بعلا لها . بل الامر كل الامر بيد الاب او الاخ او العم او اقرب الرجال اليها في عشيرتها وهي تعتبر ذلك سنة بل شرفاً لها

سألت يوماً إحدى البنات البدويات معترضاً — وكانت مسيحية — أليس امرؤك في يدك . فاجابت على الفور : معاذ الله ان يكون امري في يدي . لان امري لا يكون في يدي الا يوم يموت كل رجال عشيرتي والرائي عندي ان ذلك ليس اجحافاً بحق الابنة كما هو الحال في المدن اولا لان الاب لا يغصب ابنته بمن يختاره عريساً لها . ثانياً لانها لما كانت لا تعاشر الشبان فلا يكون قلبها قد علق بفلان دون فلان . ثالثاً لانها شبت على ذلك الاعتقاد فلا تراه قسراً وظلماً . وربما كانت البوادي من هذا القبيل هي البلاد اقل تحظاً لقلوب الفتيات واخف فجيعه في حياة الشابات

— ثم ان صاحب الحق الاول في الزواج من الابنة هو ابن عمها . والمثل البدوي يقول : « ان ابن العم له الحق ان ينزل من على الفرس » حتى في حفلة زفافها وهي راكبة الفرس ولا اذكر زواجا في مدة السنوات الخمسة التي قضيتها في الشرق العربي جرى بلا « دُفٍ » كما يقولون

أعني بلا مشا كل . وكثيراً ما صار الضرب وجرت الدماء . وكلما حميت المعركة بسبب عروس ولعبت العصي بالرؤوس كلما فرحت تلك العروس وترنحت لدلالة ذلك على قيمتها ورغبة الشبان فيها . حتى في البادية فالمرأة هي : تبه وعجب ودلال

وإذا اشتهر الحب بين اثنين منعوا زواجهما لئلا تنثر الاقاويل عليهما كما جرى لقيس وليلى وجميل وبشينة والمرأة عند العرب لا ترث والسبب في ذلك عادات الضيافة عند العرب واعتزاز القبيلة برجلها ورغبة العرب الاولى في الزواج هي ولادة الاولاد والاكثر منهم . ورغبتهم في الذكور دون الاناث لان العشيرة برجلها يذودون عنها ويحمون ذمارها ويأتونها بالغنائم واسلاب الغزو، ويرفعون من شأنها في غمار الحروب . وإذا رغب رجل في عروس ثم اعرض عنها يقول بلهجة المستخف : لا أخذها ولو كانت تلد لي الصبح ولدأ والمساء ولدأ

المرأة البدوية والحرب

للمرأة البدوية شأن عظيم في حروب البادية فهي المثيرة للهمم وهي المداوية للجروح وهي الواقفة صفاً منيعاً وراء الصفوف تحمل الماء وتنشد الاغاني الحماسية وترد الخائف وتحزني المهزوم وإذا ما رأت الابطال وقعوا صرعى كثيراً ما تركب الخيل وتشن الغارة وتبلى البلاء الحسن

المرأة البدوية والشعر

الشعر نعمة سماوية لا تهب الا في ربوع الحرية . فكما ساد الاستبداد في بلاد سكنت بلابل الشعر . وأينما رفرت اعلام الحرية تفتحت القرائح الشعرية . ولقد نبغ في صناعة الشعر غير واحدة من نساء البادية وهي بلاد الحرية . ولكن النساء اللواتي خلدن اسماً مجيداً في رياض الشعر فهن : في القرن الخامس للميلاد ليلي العفيفة ٤٨٣ . وفي القرن السادس الخرنق ٥٧٠ وجليلة بنت مرة ٥٣٨ . وفي القرن السابع الخمساء ٦٤٦ وليلى الاخيلية ٦٤٠

ولم يقم بين شعراء البادية من صاغ شعراً مهتكمًا او وصفاً بذيئاً او كلاماً وحشاً في التحدث عن المرأة او التغني بها ، كما نرى عند بعض كتّاب الغرب . بل كانت البيادي ولا تزال رملاً نظيفة وفيافي شريفة ومياها صافية وهناك طبقة من النساء شغفن بالشعر وحفظنه للمذاكرة فيه في المجالس . ويرجع الفضل ايضاً للمرأة البدوية في تفوق بعض المعلقات

الخاتمة

هذه هي المرأة في البادية رسمتها رسماً موجزاً رسماً مجملًا فبدت كوكباً متلألئاً تكتنفه هالة من الجمال والجلال والوقار والاثر البعيد في حياة تلك البوادي التي يخالها الناظر اليها صامته ساكنة وهي ملأى حياة وعاطفة فياضة تنبعث من نواظر المرأة البدوية ومن لسانها ومن قلبها

بَابُ الْمُرَاسِلَةِ وَالْمُنَاطَاةِ

فِي الْمَصْطَلَحَاتِ الطِّبِيَّةِ

للدكتور داود بك الحلي

بعث الي صاحب المقال الآتي كتاباً قال فيه « اني أود ان تنشروا ما كتبت في
احدى المجلات ليتقدمه من اراد » فعرضته على رئيس تحرير المقتطف وطلبت نشره بنصه
فتفضل بذلك . أما الخواشي فهي لي
امين المعلوف

حضرة الفريق الدكتور امين باشا المعلوف المحترم

وصلني كتابكم وطيه نسخة من مقالكم للجمعية الطبية المصرية حول المصطلحات الطبية
وسألتوني رأيي فيه . اقول اني متفق معكم تمام الاتفاق في لزوم توحيد المصطلحات وفي العلاج
الذي اقترحتموه لهذه الغاية وهو تكليف طبيب واحد من المشتغلين بالمصطلحات الطبية في كل
من مصر والشام والعراق بوضع مصطلح واحد لكل مرض وعرض مثلاً وبعد اتمام عملهم
يجتمعون في احدى العواصم يقابلون الالفاظ التي وضعها كل منهم ويتفقون على مصطلح واحد
منها ، وما لا يتفقون عليه يعرضونه على الاطباء لعناقشة على صفحات المجلات . ثم يكلفون وضع
مصطلحات للتشريح والفسولوجيا مثلاً ثم غيرها وغيرها على النمط المذكور . ولا ارى من الصواب
ترك هذا الامر لغير الاطباء ، للمجمع اللغوي الملاك مثلاً ، فاحك جلدك مثل ظفرك ونحن
ادري بلساننا الفني . ولا بأس باستشارة المجمع وغيره عند الاقتضاء ، او ان يؤلف المجمع لجنة
رسمية من الاطباء كما ذكرنا تقوم بهذا الامر

والاقتصار على مصطلح واحد مهم جداً . ولذا اراكم مصيبين جداً بقولكم : « وانما ينبغي
ان لا يكون تناقض في معجم واحد او ان يكون فيه مترادفات كثيرة لا يدري الواحد ايها
يختار » . وانا استثنى من ذلك اسماء الحيوان والنبات فانه يستحسن بل يجب ذكر جميع مترادفاتهما
بشرط ان يعتمد على الاسم الافصح والاكثر استعمالاً عند المؤلفين القدماء وتكتب المترادفات
بين قوسين مع الاشارة الى البلد الذي يستعمل فيه ذلك الاسم ان امكن
أما مبدئي في انتخاب المصطلحات فانكم تعلمونه من مكالماتنا ومحادثاتنا الكثيرة في العراق .

وهو اني ابدأ بتحري مصطلح لما اريد في كتب الطب العربية القديمة . فان وجدت فيه والاراجعت كتب اللغة . فاذا لم اجد فيها ما اطمأن اليه عمدت الى الترجمة او الاشتقاق . وأنا اتوسع في الاشتقاق فلا اقول ان الاشتقاق ينحصر في ما سمع من العرب كما يقول بعض الجامدين الذين يسدون بقولهم هذا باب التوسع على اللغة . واذا لم يمكن الاشتقاق اضطرت الى التعريب . ولا اغفل ما كتبه الاطباء المحدثون على أمل ان اجد فيه مصطلحات موافقة . غير اني ارجح تعريب الكلمات التي هي واحدة عند جميع الامم المتعددة كما وجدت ان تلك الكلمة غير نافرة عن العربية ولما كان دأبي اخذما في الكتب العربية القديمة اولاً فاني اكره اشد الكره المصطلحات التي يضعها بعضهم حديثاً في حين ان في كتب اسلافنا مصطلحات لعين هذه المسميات . من ذلك كلمة زحار حين ان اسلافنا قالوا دوسنطاريا . وما الزحير وما الزحار الا Ténésme ولو كسروها على صيغ شتى . ولما كانت لفظة الزحير قديمة في الطب فلا حاجة للزحار وقد اعتبرها صاحب المخصص مترادفين فجمعهما بقوله والزحير والزحار داء يصيب المبطون « المخصص ٥ — ٧٨ » وهل يظنون انهم اذا جعلوها على وزن فُعَال ينتقل المعنى من العرض الى المرض ؟ اذا كان هذا ظنهم فهم مخطئون . لان فعال للعرض كما للمرض ، كالسعال والصداع وهما عرضان لا مرضان . او ربما ارادوا تجنب الدوسنطاريا المعربة ووضع كلمة عربية صرف مكانها غير منهم بحسب زعمهم

ان هذه الغيرة المفرطة لا محل لها لانهم لا يستطيعون نبذ جميع العربات . وأي لغة خلت من كلمات غريبة عنها . وهذا القرآن فيه عشرات من الكلمات المعربة . غير ان هذه الغيرة المفرطة مضرة لانها تقطع الصلة بيننا وبين ما كتبه اسلافنا . وكل كلمة عربت ودرجت في لساننا تعد منه لا غريبة . . وأخذ المصطلحات عن اسلافنا يوفر علينا تعب تحري مصطلحات جديدة . واني لا اعدل عن مصطلحاتهم الا نادراً جداً . مثال ذلك لا احب تسمية الهستريا باختناق الرحم^(١) . فلا اقول للرجل انت مصاب باختناق الرحم . بل اسميها « الهَرَء » (انظر تاج العروس) . ولا عبرة بكون كلمة هستريا مشتقة من هستيرا اليونانية وهي الرحم . فانك ان كلت فراسيًّا وقلت له ان مرضه الهستريا لا يذهب فكره الى الرحم بخلاف ما اذا قلت للعربي انه مصاب باختناق الرحم فان كلمة رحم تقرر اذنه وهو يعرف ما الرحم وانه رجل لا رحم له . وكذلك اكره تسمية الديدان الشريطية بالحيات . فلا اقول لمن كان مصاباً بها ان في بطنه حية . بل اعدل الى تسميتها بالـ (صَفَر) وبعد فاني اتفق معكم في اغلب المصطلحات التي اتيت بها في مقالكم المذكور بعد ان محصم ما جاء به غيركم . ويبقى هناك بعضها اورد عليه بعض ملاحظات عليها تعجبكم

لا اقول لـ Interstice الا (خلل) تجنباً للمترادفات ولأن بعض اللغويين قالوا ان خلل جمع خلل كجبال وجبل (تاج) . وكذلك اقول خللي في النسبة ولا اقول خلالي

(١) هذا يذكرني بجندي أصيب بهذا الداء فشخص الطبيب مرضه اختناق الرحم وكتبه كذلك في ورقة التشخيص الملفوف

قلم: «ولا اظن ان ابن سينا ذكر الدوسنطاريا^(١) في قانونه». اقول ذكرها في الجزء الثاني في المقالة الاولى من الفن السادس عشر من الكتاب الثالث في فصل في كلام في استطلاق البطن... الخ. ص ٤٢٤ س ١٩، و ص ٤٢٥ س ١٠ و ٧، و ص ٤٢٨ س ١٥. وفي المقالة الثانية من الفن السادس عشر في معالجات اصناف الاستطلاقات ص ٢٣٥ س ٢٣ «طبعة المطبعة العامرة في مصر سنة ١٢٩٤» أما (سحج الامعاء) فعرض من اعراض الدوسنطاريا وهو بالفرنسية الـ Abrasion «انظر معجم لبتره Littre الطبي»

والآن نأتي الى وضع مصطلحات لمتعلقات الجنين وما يخرج معه عند الولادة. وهذا صعب جداً التعبي كثيراً واطنني وفقت الى نتيجة حسنة. اني جمعت ما عثرت عليه من الكلمات التي من هذا القبيل في التاج والمخصص فكانت: (السخذ، السلى، الحضير والحضيرة، المشيمة، النخيط، الشاهد والشهود، الفقء والفقءة والفاقياء، السبي والسايياء، المسكة والماسكة، الصاءة، النفس، الرهل، السقيي، الغرس، السكبة، الحولاء، الضوأة، القضاة، الرذن، مدرع الرذن، الملحجة، المخذفة، المنتجة، المكوة، القنبعة، السمحاء، السمارى، القفجة، النكزة). فهذه ٢٩ كلمة. نطرح منها التسع الاخيرة، الملحجة وما بعدها ذكرها صاحب المخصص ولم يذكرها التاج. وقال ابن سيدة عنها نقلاً عن ابن دريد انها واحد وهو الغرس الذي يكون فيه الولد. وقال عن الغرس انه الذي يخرج مع الولد كأنه مخاط. ونطرح كذلك الرذن ومدرع الرذن فهي في المعنى عينه. وقيل عن القضاة انها جلدة رقيقة على وجه الصبي حين يولد وعندنا المسكة تغني عنها والضوأة كلها الفاقياء للناقاة فلنهملها. والحولاء ماء يكون في السلى او جلدة تخرج مع الولد. ولنا غنى عنها في الكلمات الباقية. والسكبة الغرس فلا لزوم لها. ولنترك الغرس نفسه لنستعمله مقابل Glaire وهو مخاط لزج ذو قوام يخرج من الامعاء في زلاتها. وقد استعمل الاطباء (الغرس) بهذا المعنى قديماً فقالوا: قيام الاغراس. يريدون بالقيام الاسهال. ولنترك (السقيي) ماء الحبن Liquide ascitique. ونترك الرهل لنقابل به الـ Sérosité. فقد استعملته اطباء العرب بهذا المعنى ومعنى المائية التي تجتمع في خلال الانسجة فتكون الـ الاوذيا. اعلم انكم كنتم تريدون تسمية الـ Sérosité بالغساق وقد وردت هذه الكلمة في القرآن وفسروها بما يسيل من جلود اهل النار. فلو قلم لتقسيس يسيل من جرحه مائية هذا غساق لربما هان الامر ولكن هل يمكنكم ان تقولوا ذلك لاحد الشيوخ؟ وجاء في التاج «رهل لحمه بالكسر اضطرب واسترخى وانتفخ» ورهله كثرة النوم ترهلا هبج وجهه وانتفخت محاجرته.. واصبح مرهلا اذا تهيج وجهه من كثرة النوم»

اما الكلمات الباقية فقد اعطى اللغويون كلا منها معاني شتى فتداخلت واشتبكت. ولكننا يتمكن بالتمحيص ان نخصصها كما يلي:

لا شك في ان (السُّخْد) هو الـ Placenta . فقد عرّف في مستدرك التاج خير تعريف حيث قيل : « هنة كالكبدة او الطحال مجتمعة تكون في السلى » فهذا التحديد لا يترك مجالاً للتردد . وافي اظن السخت معرباً عن كلمة (سَخِيت) الفارسية ومعناها صلب شديد متين . والبلاستاهي اشد وانحن قسم في متعلقات الجنين

ولاشك ايضاً في ان (السلى) هو الـ Chorion . فقد جاء في المخصص « السلى الجلدة التي يكون فيها الولد » . وفي القاموس « السلى الجلدة يكون فيها الولد من الناس والمواشي » . ولقد تحققت ان هذا الاسم معروف ومستعمل بهذا المعنى عند اهل البادية اليوم . فلنخصص السلى للخوريون . اما اذا قلتم : ولكن كيف سمو الطبقة من طبقات العين بالمشيمية وهي بالافرنجية Choroïde قلت اما كان ذلك غلطاً درجوا عليه او انهم ارادوا الكل بدل الجزء كما سنرى في كلمة مشيمة ونخصص (الحضيرة) لـ Amnios فقد جاء في التاج عن ابى عبيدة انها « لفافة الولد » . والامنيوس هو الغشاء المحيط بالجنين والخوريون فوقه

اما (المشيمة) فلم تستعملها اطباء العرب الا بمعنى (Arrière-faix (Délivre) اي مجموع ما يخرج بعد الولد عادة من سخد واغشية . فقالوا خروج المشيمة والقاء المشيمة Délivrance [الخلاص حديثة اتى بها ضعفاء المترجمين] وقالوا احتباس المشيمة ودواء مخرج للمشيمة . فلنتابعهم في هذه التسمية واما (النِخْط) فهو الـ Liquide amniotique . جاء في القاموس : « الماء الذي في المشيمة » واما (الشاهد) فهو Bouchon gélatineux . جاء في التاج : « والشاهد شبه مخاط يخرج مع الولد جمعه شهود .. وقال ابن سيده الشهود الاغراس التي تكون على الحوار »

واما (الفاقياء) فهي الـ Poche des eaux اي القسم الذي يكون امام رأس الجنين من الغشاء وبينه وبين الرأس قسم من النخط ، ثم انه ينفثق عن رأس الجنين فيسيل ذلك النخط . جاء في القاموس : « الفاقياء السابياء وهي التي تنفثق عن رأس الولد . ومثله في المخصص

لكني ارى ان الفاقياء شيء (والسابياء) شيء آخر . وهي وان وردت في كتب اللغة في مادة سبي فليس لها صلة او معنى يجمعها مع هذه المادة . وعندي انها محرفة ومعربة عن (سَرَآبَة) بالفارسية سر هو الرأس وآب ماء اي طائفة من الماء من آب ماء . وهو الماء الذي ينسكب عند الشقاق الفاقياء ويعرف في الموصل بماء الرأس . اذاً هو Eaux de la poche . جاء في التاج : « وقال الازهري في تفسير الحديث السابياء هو الماء الخارج على رأس الولد اذا ولد » وهذا عندي اصوب معنى اعطي للسابياء . وفي المخصص ايضاً عن ابى عبيدة « السابياء الماء الذي يكون على رأس الولد »

واما (الماسكة) فهي قشرة تكون على وجه الصبي [المخصص والتاج] فهي اذاً الفاقياء اذا انفصلت وبقيت على وجه الولد ان لم تكشف عنه مات مختنقاً . واطن ان الفرنسيين يسمونها Masque او voile

واما (الصاعة) فيجدر بها ان تخصص لما يعبرون عنه بالـ Sérotine (راجع معجم ليطره) وهذه مشتقة من serotinus ومعناه المتأخر . جاء في التاج عند الكلام على الحِوَلَاء : «... ثم يخرج بعد ذلك بيوم او يومين الصاعة ...»

واما (التنفّس) فهو الـ Lochie (المخصص ١ - ٢١)
واسمي الـ Allantoïde (الغشاء اللّـة أنقي^(١)) او (القائقي) باختصار . والقائقي وهو الطعام المعروف اليوم بالمنبار والجمبار عُرِّب قديماً من الفارسية (لقانه) ووردت في الكتب القديمة منها بحر الجواهر بخلاف السجق والمنبار فانهما لم يجيئاً في الكتب المعتمدة . ولا أدري من اين أتتنا كلمة منبار وليس لنا الاّ ان نترجم Caduque ترجمة فنقول (الغشاء الساقط) او (الساقط) فقط ولنجعل أدناه ما ذكرناه :

| | |
|------------------------|------------|
| Caduque | ساقط |
| Allantoïde | لَقَائِقِي |
| Amnios | حُضِيرَة |
| Liquide amniotique | نُحْط |
| Chorion | سَلِي |
| Placenta | سُيْخِد |
| Arrière-faix (Délivre) | مَشِيمَة |
| Bouchon gélatineux | شَاهِد |
| Poche des eaux | فَاقِيَاء |

(١) جاء في بحر الجواهر ما نصه : لقائقي بالضم لقانه وهي الحوايا المحشوة من اللحم والبصل والشحم المشوية في الدهان . قلت ويقال نقائقي ولقائقي ومقائقي والاخيرة شائعة في بيروت . قال دوزي في مادة نقائقي : هي لقائقا باللاتينية ويراد بها امعاء الضأن محشوة باللحم المهروم (المفروم) مع الفلفل الاسود والملح واللبن الحامض وعصير الرمان تشوي في الثور . ونقل عن ابن البيطار في مادة امعاء عن الرازي ما نصه : اما الامعاء فلا تصلح لطبخ الاسفنجيات بل للنقائقي فاذا اتخذت نقائقي فليكثر فيه من الالبازير والتوابل . وقال لكثير مترجم ابن البيطار في حاشية له لا يعلم ما هو النقائقي واطنه السجق . فتجد ان صاحب بحر الجواهر لم يقل انها معرب لقانه بل فسر النقائقي بالقائه ولعل هذه فارسية كذلك دوزي فانه لم يقل انها لاتينية معربة بل قال انها لقائقا باللاتينية ولم اعثر على هذه اللفظة في المعجم اللاتيني الذي عندي ولعلها لاتينية حديثة او نسبة الى لقانيا كورة في جنوب ايطاليا ولا ادري اهي فارسية معربة ام لاتينية الاصل ولا يحل هذا الشكل الا احداثيهما من دما ميس الرمل او نظائس الجن وقد تتبعنا لفظة فوقس واخواتها وصادقاتها في مجلة المشرق ومجلة المجمع العلمي العربي ومجلة لغة العرب مدة خمس وعشرين سنة الى ان قبضا عليها في أساطير الاولين وقادها ذليلة صاغرة الى حظيرة اللغة العربية اما السجق او اللقائقي فيتخذ من الحوايا اي الامعاء الدقيقة واما المنبار فيتخذ من القولون اي المعى الغليظ لذلك يسمونه في بيروت بالفارغ ولانه يكون عادة خالياً من البراز . والله اعلم

المعروف

| | |
|------------------|--------|
| Eau de la poche | سابياء |
| Masque ? voile ? | ماسكة |
| Sérotine | صاءة |
| Lochie | نفَس |

ال Orgelet هي (الشعيرة) لا غير في الاصطلاح الطبي . ولغة هي الجدد والقمع والكدك (بحر الجواهر) والظبطاب ايضاً . ولنعلم ان الغويين والعوام لا يفرقون بين البردة والشعيرة لا اقول لا Blépharite التهاب جفني ولا رمد جفني ، بل اقول (التهاب الجفن) او (التهاب الاجفان) واحسن منها (السُّلاق) كما قلتم . اما الرمد فيقابل ال Ophtalmie . والسلاق عند اطباء العرب اسماء ودرجات كثيرة نظراً لاعراضه ومظاهره ، منها جساً الاجفان Selérosis وسعفة الاجفان Teigné des paupières وجرب الاجفان Galle des paupières او Pseudophthalmie او حكة الاجفان Gratelle des paupières (السلاق) التيني او التينة Sycosis وانتثار الاهداب Madarosis واولا Blépharite ciliaire (السلاق الهدي) ولا Blépharo-adénite التهاب الغدد الجفنية وربما كان هذا المرض هو المقصود بتسميتهم بال (توتة) توتة الاجفان . اما تسميتكم هذا المرض بالشرناق فغير مصيبة . فالشرناق هو الورم الشحمي اذا كان على الجفن العلوي خاصة Lipome . جاء في كامل الصناعة الطبية (٢ - ٢٨٧) :

« فأما علل الاجفان فأولها علة الشرناق وتسمى اوراطيس ومداوتها باستقراغ البدن الى ان يقول : ثم من بعد ذلك يشق الجفن عرضاً ويخرج منه الجسم الشحمي » . وصاحب بحر الجواهر ايضاً يصرح بكونها تحتوي على شحم ويميزها عن السلعة . وفي تذكرة داود ان السلعة انواع منها عسلية ومنها اردهاجية ومنها شيرازية ومنها شحمية . اذن يكون عنده الشرناق سلعة شحمية . وتعلمون ان الشيراز هو اللبن المُصَلَّل . ولم اهتمد لكلمة اوراطيس اليونانية واضنها محرفة^(١) Caroncule lacrymale هو (لحم الموق) . (انظر المخصص ١ - ١٠٨) وكامل الصناعة ٢ - ٢٩٠) اما اللخضة والبخضة فهما انتفاخ وغلظ اصول الاجفان خلقة . واجدر ان يسمى بهما الشحم الذي وراء المقلة . وليست لحم الموق

(١) لعل اوراطيس تحريف اوداطيس او هوداطيس ذكرها كذلك في المقاتلات العشر ص ١٣١ واوردتها مايرهوف في مادة شرناق ص ١٩٠ و١٩١ (المقاتلات العشر طبعة مايرهوف) . ثم اني عثرت على لفظة شرناق في معجم انكليزي قال في تفسير مادة Axirnach هي كلمة عربية قال أبو القاسم الزهراوي انها ورم شحمي في الجفن الاعلى اكثر ما يصيب الاطفال وعليه يكون الشرناق ورم في الجفن الاعلى اي سلعة Cyst . اما عسلية او اردهاجية او شيرازية او شحمية اي كما قال داود الانطاكي معلوف

الاحسن ان نسمي ال Aené (العُدَّة) ونسمي البثرة الواحدة من العد (عدة) Acromégalie (الفتسخ) جاء في التاج «الفتسخ عرض الكف والقدم وطولها. وذكروا المخصص ايضاً (٢-١٢ و ٦٠) Angiome (ورم عروقي) ولا اقول وعائي. والنسبة للجمع هنا أنسب. واقول لا Vaisseau عرق ولا أقول وعاء^(١)

Cancroïde (شبه السرطان). اما (الأكلة) فهي ترجمة Noma حرفياً. فان nomein هو القضم والقرض والا كل باليونانية. جاء في بحر الجواهر: «الأكلة في الفم علة صورتها صورة القروح غير انها تسعى في زمان يسير الى مواضع كثيرة من الفم ولها رائحة كريهة». وهذا التعريف يقطع جبهة كل خطيب

لأبأس بتسمية ال Cachexie بالدنف او الضنى او الحرَض. ولكن اسلافنا قالوا (سوء القنية) والقنية هي الكسب فكان ما يملكه البدن من الاخلاط قد ساء في هذه الحالة المرضية. وقد جاء في بحر الجواهر «القنية عند الحكماء هي الملك وهو كون الشيء بحيث يحيط به وينتقل بانتقاله كالنعم والتلبس. وجلد الانسان محيط به فينتقل بانتقاله وهو في هذا المرض يسوء حاله ولذلك يقال لهذا المرض سوء القنية، وان كان الاستسقاء اولي بذلك الاسم. لكن لما اختص هو باسم خاص فبقي هذا الاسم خاصاً بهذه الحالة وهو مقدمة الاستسقاء»

Cansanguinité (وحدة الدم) في البشر والخيول وسائر الحيوان. اما الاضواء فقد يكون نتيجة لوحدة الدم بعضاً. فقد يتعالى النسل بوحدة الدم وقد ينحط «انظر معجم ليريه»
تسمية ال Fomentation بال (كماد) صحيحة. اما النطول فهو ان يصب الدواء السائل الفاتر على العضو صلباً

اسمي ال Astigmatisme بال (لا محراقية). فان هذه الكلمة الافرنجية مركبة من حرف النفي ومن stigma وهي النقطة اريد بها المحراق

اما Centrifuge و Centripède فلا احسن من مقابلتهما بكلمتي (الصادر) (والوارد) لا بد انكم شاهدتم عين ماء او بئراً او خريجة في الصحراء ورأيتم طرقاً تتجه اليها من جميع النواحي وقد غدت في مركزاً لهذه الخطوط المطروقة. فالآتي على هذه الخطوط للمورد اي المتجه للمركز يسمى الوارد والراجع عليها اي المتباعد عن المركز يسمى الصادر. وهذا يطابق تماماً
Diurétique (المدر للبول، يدر البول)

لقد طال الكلام فلا اريد ان ابحت عما ذكرتموه من مصطلحات النبات. ولا اخالكم الاً معيدين في ما ذكرتموه منها في مقالكم
الموصل الدكتور داود الجلي

(١) قلت هذا مخالف لرأي الاب انستاس في مجلة معهد الطب العربي السنة الاولى ٤٢٦ معلوف

كتاب فيصل الاول

تأليف امين الريحاني

تفضل رئيس تحرير المقتطف فسامني كتاب فيصل الاول في الشهر الماضي فألقيت عليه نظرة عجي وكُتبت عنه كلمة مجلدة نشرت في الجزء الماضي فطلب اليّ ان ادرسه درساً وافياً جديراً بكتاب مثله فعدت اليه فقرأته قراءة الناقد المدقق ، لا قراءة المتصفح السائر ويمتاز الكتاب كما وصفته في كلمتي الاولى بأسلوبه القصصي الاخاذ وانسجام ابحائه وتسلسلها وتنوع مواضيعه وتعددتها ، وتلك من خصائص استاذنا الريحاني فلا يبارى فيها ولا يشق له غبار ولذلك سأتكلم عن الناحية التاريخية فيه ، والظاهر انها لم تنل من عناية المؤلف ما نالته النواحي الاخرى فأخذ بالشائع المتداول من الروايات من دون ان يكلف نفسه مؤونة التدقيق في البحث فوقعت هفوات رأيت ان انبه اليها وان كانت مما لا ينقص قيمة الكتاب ورائدي خدمة التاريخ الخدمة الحققة الواجبة على المشتغلين به

قال في الصفحة ٢٢ : وكان الشريف فيصل في النصف الاول من العقد الثالث عند ما عاد الى الحجاز مع ابيه الذي تقلد منصب الامارة في مكة فعينه مديراً لشؤون البدو فكانت وظيفته تستوجب الحملات التأديبية من حين الى آخر. هذا ما قاله . والصواب انه لم تكن في امارة مكة وظيفة اسمها (مديرية شؤون البدو) يتقلدها او يختص بها بل كانت هنالك اعمال مشتركة يعملها بالتعاون مع اخويه (علي وعبد الله) وكان والدهم ينتدبهم للمهام بحسب الحاجة

وقال في الصفحة ٢٤ وهو يتكلم عن الشريف فيصل في مجلس النواب « بيد انه انتمى الى الحزب العربي » والصواب انه لم ينتم الى هذا الحزب — والذي انتمى اليه هو الامير عبد الله اما فيصل فكان موالياً للاتحاديين يرى ان السلامة كل السلامة في التعاون معهم

وقال في الصفحة نفسها « وقعت الحرب العظمى ودخلت تركيا الحرب وكان الشريف فيصل في سورية » والصواب انه كان عند دخول الدولة الحرب وذلك في شهر نوفمبر سنة ١٩١٤. يقيم في مكة بقرب والده ، فقد غادر الاستانة في شهر اغسطس مع شقيقه الامير عبد الله على اثر وقف جلسات مجلس النواب العثماني بخاء القاهرة ومنها سافرا الى مكة. وقضى الشريف فيصل السنة الاولى من الحرب في الحجاز وفي شهر سبتمبر سنة ١٩١٥ غادر مكة الى الاستانة ليشكو وهيب باشا والي الحجاز يومئذ ويطالب باقالته ، وليسعى لتكون امارة مكة ارثاً في بينهم (بيت الحسين) ومرّ بدمشق وكان الطريق البحري مغلقاً — وتلك هي المرة الاولى يزورها فيها فخل ضيفاً على آل البكري وعرف بما اقترفته جمال باشا من فظائع^(١) فابلغها الى الصدر الاعظم سعيد حليم باشا وشكا منها وسلمه مذكرة وصف

(١) أعدم جمال باشا رجال الرعيل الاول في بيروت صباح ٢١ اغسطس سنة ١٩١٥ اى قبل وصول الشريف فيصل الى دمشق بزمن قليل

فيها حالة العرب وقال ان والده على استعداد لتأييد الدولة اذا اعترفت باستقلال الحجاز على اساس
اللامركزية وبالشريف حسين اميراً على ان تكون الامارة ارثاً في اولاده من بعده (١)

وعاد الى دمشق في شهر نوفمبر سنة ١٩١٥ وقد سبقته برقية من انور باشا الى جمال باشا يوصيه
فيها بالحفاوة بالامير وان يتخذة مستشاراً له يساعده على تهدئة الحالة في البلاد العربية وان يحل آراءه
المكان اللائق بها . ولم يطل الاقامة في دمشق بل غادرها الى مكة لاطلاع والده على ما وقع له ولا بلاغته
اماني الجمعيات العربية وقد اتصل بها للمرة الاولى مدة اقامته في دمشق وعرف باستعدادها لاضرام الثورة
في البلاد السورية . وجاء دمشق ثالثة في يناير سنة ١٩١٦ ليقم قرب جمال باشا ، طبقاً لاشارة انور
باشا ظاهراً ، وكانت مهمته السرية مراقبة الحالة عن كثب والاتفاق مع زعماء العرب على العمل ،
واغتنم الفرصة في شهر مايو سنة ١٩١٦ فسافر الى المدينة لاستقبال المجاهدين القادمين من مكة باسم
جمال باشا والعودة على رأسهم الى فلسطين فتخلص من الترك بحجة انه ذاهب لوداع اخيه الامير علي
وهاجم في اليوم الذي افلت فيه وهو ٢ يونيو سنة ١٩١٦ مواقع الترك حول المدينة

وقال في الصفحة نفسها : « وفي شهر حزيران (يونيو) شن الشريف حسين الثورة على الاتراك
وعين فيصلاً لقيادة الجيش الشمالي » وحقيقة ما وقع هو انه لم يكن لدى الشريف حين اعلان الثورة
جيوش منظمة ليولى ابناءه او غيرهم قيادتها وانما اختص كل واحد منهم بالعمل في ناحية فعمل عبد الله
حول الطائف وعمل فيصل على طريق المدينة — ينبع وظل هنالك حتى شهر يناير ١٩١٧ ففي يوم ١٦
منه غادر ينبع الى الوجه بعد ما توطدت اركان الثورة في الحجاز وفازت وانتفى كل خطر عنها . وفي
الوجه بدأ بالانشاء الجيش الشمالي ثم انتقل مقره بعد ذلك الى العقبة ودمشق

وقال في الصفحة نفسها : وما كاد يدق الاوتاد على شاطئ الحجاز بين العلا والعقبة حتى ظهر
على المسرح الكولونيل لورانس الانكليزي رسول الحكومة البريطانية والصواب ان لورانس ظهر
على المسرح في ينبع لافي العلا والوجه ، فقد زار جده في شهر اكتوبر سنة ١٩١٦ لدرس حالة
الثورة العربية عن كثب ثم قصد ينبع فالتقى فيها للمرة الاولى بالشريف فيصل في وادي الصفراء على
طريق المدينة . ويقول لورانس نفسه في الصفحة ١٨ من كتابه « ثورة في الصحراء » عن هذه
المقابلة ما ترجمته « وعلى الجانب الابدع من ساحة الدار الداخلية وقف شبح ابيض ينتظرني بلهفة
وشوق ولما وقعت عيني عليه شعرت بأنه الرجل الذي قدمت الجزيرة العربية في طلبه الخ »

وانار في الصفحة ٢٥ قضية ما كان لمثله ان يثيرها واصدر على العرب حكماً قاسياً فزعم ان
سبعين من الفضل في نجاح الثورة العربية او اكثر او اقل هي للخيال الانكليزي (الجنيه) . ويلاحظ
لنا ان تسرع استاذنا الريحاني في اصداره هذا الحكم وغمطه حق العرب ناشئ عن عدم دراسته
الثورة العربية الدراسة الكافية واعتماده على ما كتبه بعض المؤلفين الانكليز في موضوعها
ويجب ان لا يؤخذ من هذا اننا ننكر ما اسداه الانكليز للثورة من تأييد وامدادهم اياها

بالسلاح والمال فنحن نعرف ذلك ونعرف أيضاً ان لهذه المساعدة شأنًا كبيراً في نمو الثورة واتساع نطاقها ولكننا نعرف الى جانب هذا ان فائدة الانكليز من الثورة كانت اعظم من فائدة العرب انفسهم وان ما دفعوه وبذلوه لا يعادل الثمرات التي جنوها منها فقد مكنتهم من عبور قناة السويس وسهلت لهم فتح بلاد الشام والانتصار على الترك وهم الذين قضوا السنوات الاولى من الحرب مخندين وراء حصونهم في القناة لا يجرؤون على مغادرتها . ويقول جمال باشا في مذكراته ان اول مرة عبر فيها الانكليز القناة كانت بعد ثورة العرب . يضاف الى هذا ان العرب كانوا ينازلون ٣٠ الف جندي للترك في الحجاز و الشام . ولولاهم لاشتروا في قتال الانكليز ولصدوهم عن البلاد او على الأقل لشغلوا ٥٠ الف جندي انكليزي . وما لنا نذهب بعيداً في الاستنتاج وهذا هو الكولونيل لورانس وقد رافق الثورة العربية وعرف ما أسدته للحلفاء من خدم يقول عنها في كتابه « كلنا يعرف ان فيصلاً بذل جهداً كبيراً في نشر الوية الثورة التي اعلنت في مكة وفي توسيع نطاقها فتم له ما اراد وبفضل بسالته وحكمته اسدت هذه الثورة اعظم خدمة للحلفاء في ميدان فلسطين

» وكلنا يعرف ايضاً ان الجيش العربي الذي اعدّ وانشئ في ساحة القتال بين نيران المدافع صار جيشاً منظماً كامل العدة والعدد بعد ما كان في ابتداء أمره شراذم من البدو وقد تم له أسر ٣٥ الف جندي من الترك كما اخرج عدداً لا يقل عن هذا من صفوف القتال وغنم نحو ١٥٠ مدفعاً واستولى على ما مساحته مائة الف ميل مربع من الاراضي ولقد أدت هذه الخدمة في زمن كنا في أشد الحاجة اليهم فنحن مدينون لهم «

وقال في الصفحة ٢٦ « وعند ما انتدب الملك حسين ابنه الامير فيصلاً ليمثل العرب في مؤتمر فرساي كانت حاشيته الكبيرة امة مصغرة وقد تباينت فيها النزعات والصواب ان الذين رافقوا الامير يومئذ هم نوري السعيد رئيس اركان حربه ورستم حيدر رئيس ديوانه والدكتور احمد قدرى طبيبه الخاص وتحسين قدرى مرافقه العسكري وفايز الغصين سكرتيره الخاص . هؤلاء الذين رافقوه في المرة الاولى وما هم بالحاشية الكبيرة المختلفة النزعات . ولو اطلق هذا الوصف على الذين رافقوه في الرحلة الثانية^(١) لما عدا الصواب فقد سافر معه يومئذ الجنرال حداد باشا والشيخ فؤاد الخطيب والامير امين ارسلان والدكتور سامح الفاخوري والخورى يوسف اسطفان وامين التميمي ومحمد اسماعيل والدكتور احمد قدرى وتحسين قدرى

وقال في الصفحة ٢٧ ان الامير والمسيو كلنصو وقعا الاتفاق بالحرف الاول من اسميهما والصواب ان الامير وعد الفرنسيين بأن يسعى لحل السوريين على قبول الاتفاق ولم يوقعه هذا ما رأيت ان ابنه اليه في الفصل الاول . وسأعود الى الفصول الاخرى في الشهر المقبل ان شاء الله

أمين سعيد

في محور السهر

لما تناولت بالنقد « صنّاجة الرياشي » وأشارت الى ما في ابيات الشاعر من خلل الوزن او من عجز الموسيقى لم يكن غرضي بدهاة سوى النقد الفني الصرف ، وكذلك كان شأنني في التعليق على رد صديقي الدكتور بشر فارس ، ولذلك اعتب عليه لمحاولته تصويري بصورة المتعنت المكابر المعاند ولا احب بدوري ان اصفه بهذا الوصف ، كما اني لا اعدّ ما كتبه عني من باب الغمز ، فاني احترم النقد الادبي وافترض دائماً حسن النية وأرحب بما كتبه الصديق الكريم

فأما ما عابه على شعري فليس هذا مقامه ، وانما مقامه حين يصدر احد دواويني الشعرية وله حينئذ ان يؤخذني بما يشاء وأطالبه بأقسي مما كتب وأنا اتحمل نقده بكل ارتياح ، ولكنني اذكره الآن بأننا في معرض شعر الرياشي لا شعر الصيرفي . كما اني اعتب عليه لمحاولته الاستشهاد بيت يتفق مع ما يليه ولكنه يجذبه فيلصقه ببيت آخر اتفق مع ما يليه ايضاً وحاولت أنا تغيير النغم في مقطع عنه في غيره ، فمحاولة الدكتور بشر في جذب مثل هذين البيتين من مكانهما ليفهم القارئ انني مخطئ لا اراهما من باب الانصاف ، كذلك لا ارى من الاعتزاز الادبي التهم على زميل يقوم بتجارب نظمية جديدة

غير انني اعود الى موضوعنا فأدعوه مرة اخرى للفائدة الادبية - لا للمكابرة - ان يقطع ابيات الرياشي ولمثل هذه الغاية ادعو الاستاذ البشبيشي والدكتور زكي مبارك للمساهمة في هذا التحقيق العروضي ما دام صديقي الفاضل يريد ان يستبعد من المناقشة الذوق الموسيقي الشائع ، وأمل ان لا يعد هذه الدعوة من باب التحامل عليه ما دام غرضه كغرضي الخدمة الادبية الخالصة وإظهار الحق ، وأكرر له اخيراً شكري على هذه المساجلة المفيدة

حسن كامل الصيرفي

[المقتطف] لا ريب في ان الابيات التي اوردها الصيرفي من صنّاجة الرياشي (مقتطف دسمبر ١٩٣٣ صفحة ٦٣٠) مستقيمة عروضاً ، الا ان ثالها فيه ضعف . واما الابيات التي اوردها بشر فارس من شعر الصيرفي (مقتطف مارس ٣٧٥) فاليك الرأي فيها : الابيات الثلاثة الاولى صدورها من المديد وعجازها من الخفيف . والبيت الرابع مستقيم ، والخامس والسادس لا يستقيمان والسابع مستقيم على ضعف . وأما ما بقي منها الى السادس عشر فخطأ الا البيتان الثاني عشر والرابع عشر وهما مستقيمان . وبهذا نختم هذه المناظرة

مكتبة المقتطف

كتاب مؤتمر الموسيقى العربية

يعلم قراء « المقتطف » ان مؤتمراً للموسيقى العربية انعقد في مصر في ربيع سنة ١٩٣٢ . وقد نشرنا في شهر ابريل من تلك السنة رسالة مسببة في اغراض هذا المؤتمر وطرق الوصول اليها لبشر فارس الدكتور في الآداب من جامعة باريس . وقال فيما قال : انه من الخطأ ان يخلط الناس بمصر الموسيقى العربية بالموسيقى الشرقية لان الموسيقى الشرقية شيء والعربية شيء آخر . وهذا مرسوم ملكي قد صدر بتسمية معهد الموسيقى في مصر « معهد الموسيقى العربية » بدلاً من الشرقية انعقد ذلك المؤتمر وكان في اعضائه مصريون وشرقيون وافرنجة . فبذل جهده في ضبط بعض نواحي الموسيقى العربية وتحديدتها . وقد برز الآن تقرير ضخم عن اعمال هذا المؤتمر . وهذا التقرير في ما يزيد على ٧٠٠ صفحة من القطع الكبير . وهو منقسم ثلاثة اقسام . الاول يبحث في الشؤون الادارية من مكاتبات ادارية واوامر ملكية وبيانات تنظيمية وبرامج عملية ولوائح اسماء الاعضاء الى غير ذلك . والقسم الثاني يبحث في الامور الفنية وفي هذه الامور طرق تنظيم الموسيقى العربية وترقيتها ، ثم حصر المقامات الموسيقية وترتيبها وتحليلها الى اجناس ومقابلتها بما هو مستعمل في غير مصر ، ثم في بيان انواع الايقاعات المستعملة في مصر وغيرها من البلاد العربية وتحليل هذه الايقاعات ، ثم بسط انواع التاليف الغنائي والصامت المستعملين في مصر وغيرها والبحث عن انواع اخرى ، ثم بحث التجارب التي اجريت لاثبات مقادير الابعاد السبعة للسلم واثبات قيمة الاربعة وعشرين صوتاً والتوصل الى طريقة تدوين الالحان ، ثم حصر الآلات العربية وبحث مقدار ادائها وطلب تحسينها والنظر في اضافة الآلات الاوربية الى الآلات العربية ، ثم تسجيل الالحان بالنظر الى مقامها والبحث في كيفية دراسة الاسطوانات ثم النظر في الجماعات الموسيقية بين شرقية وغربية بمصر واحصاء من يتعلم الموسيقى العربية والغربية والمشاورة في تعميم التثقيف الموسيقي في مصر وكيف يكون والى اي غرض يرمي واي نحو ينحوي ، ثم احصاء المؤلفات الغربية والشرقية التي تبحث في تاريخ الموسيقى العربية والنظر في تشجيع نشر المؤلفات واعداد تقرير يشمل تاريخ سلم الموسيقى العربية وتطوراتها في العصور المختلفة والتنقيب عن مخطوطات في الموسيقى العربية . واما القسم الثالث فمجموعة من صور الموسيقيين والآلات الموسيقية وصور من العرض المدرسي غاية في الاقناع هذا وان في نهاية ذلك التقرير فصلاً طويلاً عن جلسة المؤتمر السابعة التي بحثت في « خير

الطرق التي تتبع لامكان تنظيم الموسيقى العربية وترقيتها لتؤدي كل الاغراض المطلوبة من الموسيقى على العالم مع الاحتفاظ بطابعها . وفي هذا الفصل سرد الاساليب التي بها تتقدم الموسيقى وتندرج الى الكمال . وفي هذه الاساليب بعض ما اشار اليه الدكتور بشر فارس في المقال الذي اشرنا اليه في مقدمة الكلام مثل تأليف كتب النماذج Methods وتنقيف من يطلب الموسيقى تنقيفاً رفيعاً يزاوح بين اسلوب الموسيقى العربية والموسيقى الافرنجية وغير ذلك

تاريخ الصحافة العربية (الجزء الرابع)

تأليف الفيكنت فيليب دي طرازي — المطبعة الاميركانية في بيروت ١٩٣٣ — ٥٤٥ صفحة
من الحجم المتوسط

ان الفيكنت فيليب دي طرازي من اعلام اهل لبنان ومن مفاخر الشرق العربي . وانه على شرف بيته وكرم خلقه ، لمن اولئك الرجال الذين وقفوا حياتهم على خدمة اللغة العربية فبدلوا في سبيلها مالهم وهنائهم . بل انه من اولئك الرجال الذين بهم نساجل الفرنجة في ميدان العلم والاستشراف عني الفيكنت منذ فتوته بالصحافة العربية . فراح يجمع الصحف والمجلات في اي بلد برزت حتى استقامت له مجموعة لامثيل لها في العالم تحسده عليها دور التحف وخزانات الكتب . وقد عرض الفيكنت مجموعته في بيروت لبضع سنوات خلت . فأصاب العلماء هنالك ما لم يدر لهم ببال . وخرجوا من المعرض مذهوباً بهم

على ان الفيكنت دي طرازي لم يقصر همه على الجمع والعرض ، بل صنف في تاريخ الصحافة العربية كتباً نفيسة ما تزال المرجع الوحيد بل الوثيق في بابها . وقد وقعت من المستشرقين أحسن وقع حتى لا تنهم نفلوها الى لغاتهم . فالجزء الاولان ترجمهما الالمان واما الجزء الرابع فقد ترجمه الاميركيون

وهذا الجزء الرابع اخرجه الفيكنت اليوم وطيه جميع فهارس الجرائد والمجلات العربية في انحاء العالم منذ نشوء الصحافة العربية حتى سنة تسع وعشرين وتسعمائة والف

وقد رتب الفيكنت هذه الفهارس احسن ترتيب حتى يصيب فيها المطلع غرضه في اسرع من انناداد الطرف . وقد جاء هذا الترتيب على ضربين متسايرين فترتيب جغرافي تنقسم فيه الفهارس خمسة اقسام تتناول مدن كل من القارات الخمس على حسب وضعها السياسي المشهور الآن . ثم ترتيب تاريخي ناهض على تسلسل الصحف في الزمان . ثم ان لهذه الفهارس شروحات علق بها الفيكنت على بعض الحوادث النادرة اللطيفة اللاحقة بالصحف

ذلك هو الجزء الذي ابرزه الفيكنت اليوم فرحاً به ولعل الفيكنت لا يقعد عن اخراج ما بقي لديه من الاجزاء ، فان العلم نفسه يطلبها اشد الطلب

التجديد في الادب الانكليزي الحديث

تأليف سلامه موسى

الادب الانكليزي أدب فائدة وليس ادب لفظ وصنعة . والادب الانكليزي ينظر الى حياته الخاصة ووسطه العام فيتأثر بهما ويؤثر فيهما . يدرس الحياة على أنها موضوعه يستدعي إرشاد ما فيها من معان غامضة . والحياة عند المجددين من الادباء الانكليز تُنقد وتُعرف على حقائقها الاجتماعية والفكرية والمادية . فيظفر القارئ من الكاتب بفائدة جديدة كان يحفلها أو يعرفها معرفة سطحية . فليست غاية الادب الانكليزي ان يكتب ويحميد الكتابة على النحو الذي يفعله مثلاً بعض الادباء الشرقيين بل ان يعيش المعيشة الادبية أي ان تكون القاعدة في الادب عنده تصوير الحياة بما فيها من مثل عليا على أدق الصور الحديثة في التحليلات النفسية . والادب الانكليزي لذلك يدرس كل يوم شيئاً جديداً . فهو يدرس الانظمة الاجتماعية . والتطور الفكري . والمخترعات الحديثة . والوان العلوم . وشؤون الحكم . وبعض الادباء يتخيل انسب وسائل الحكم للجيل الحاضر او المقبل كما تحدث « ولز » في كتابه « الطوبى الجديدة » . فقد رسم لنا طريقة موفقة في شأن المعاملات المادية والاجتماعية . وفيها ايضاً ينزع من نفوسنا النزعة الدموية التي تطفئ على عواطفنا فتجنح بنا الى الثورات والحروب . فالحياة في هذه « الطوبى » بعيدة عن الحياة الواقعة ولكنه خيال العلم الذي لا يبعد ان يكون حقيقة الغد . وكذلك يؤلف « ولز » الكتب العلمية المحضة وهذا كتابه في « علم الحياة » بالاشتراك مع جوليان هكسلي يعد في طليعة المؤلفات الخاصة بنظرية التطور ونشوء الحياة . وتحمده يؤلف القصص يبحث فيها العلل الاجتماعية الخاصة بالعائلة ونظام النسل وتأخذها شركات السما ودور التمثيل ليشهدها الجمهور ويتمتع بما فيها من معان جليلة عالية . فالادب الانكليزي يتجدد بمرور الايام ولا يقف وان كان محوي في ثنائه بعض الاساليب الرجعية في الفكر واللفظ ولكن حتى الرجعيين من اصحاب هذا الادب كانوا يجدون الفن ويؤثرونه على الصنعة وكانوا يكرهون الآلات ويؤثرون عليها الجمال الذي نلسمه في الصناعة اليدوية . والادب الانكليزي ادب علم وفن واختراع لا أدب حسن وبيان وصنعة ويضطلع باعباء الكتاب والشعراء على السواء وإن اختلفت عندهم الوسيلة فالغاية التي ينشدونها واحدة ولا يهتم الكاتب الانكليزي بالألمعنى دون اللفظ فالاسلوب عنده شيء ثانوي ولذلك نجد انه ليس في انكلترا « اكاديمية » للغة كما هي الحال في فرنسا . وقد تحدث مؤلف هذا الكتاب في كتابه عن منحى الادب الانكليزي في الاربعين سنة الماضية في مختلف نواحيه في دراسة تحليلية قوية لا تظفر بامثالها الا في كتب النقدة الكبار . وهو من اصحاب المذاهب الحديثة في الاسلوب والتفكير . فيكتب بعقل العالم وباسلوب مختصر مفيد . فهو مجدد في الناحيتين الفكرية والقلمية يدعو الى شؤون عديدة في حياتنا الاجتماعية من

ادب وعلم وخلق ورياضة . وهو متأثر الى حد بعيد بالادب السكسوني وارى انه الاديب المجدد لجأتنا قبل ان يكون صحفياً او كاتباً بالمعنى العام من هذه الكلمة .. وادبه يصدر عن نفس تشعر بوجود معالجة النقص في مناحي الحياة المصرية ولعل كتابه هذا أبلغ رسالة كتبها لادبائنا الجامدين وهي وإن كانت مقتضبة اقتضاباً شديداً وتحتاج الى كثير من الشرح والاسهاب الا انها قوية موفقة رضي القارىء من وجهتي العقل والشعور

حليم متري

تقويم الحكومة المصرية

عن سنة ١٩٣٤

اهدت الينا المطبعة الاميرية نسخة من التقويم الجديد الذي تصدره كل سنة وغرضها منه على ما جاء في كلمة التقويم مساعدة « الجمهور على ايجاد فكرة عامة عن وزارات الحكومة المصرية ومصالحها وما تتولاه كل منها من الاعمال وعن أهم ما يوجد في القطر من الجمعيات العلمية والشركات والبنوك وما يؤديه كل منها من عمل » . ونأشرو التقويم يعترفون انه رغماً عما بذل من العناية في جمعه فانه لا يزال محتاج الى معونة كل من يطلع عليه فيرشد الى نقص او خطأ وقع فيه او اقتراح يزيد في فائدته . والكتاب يقع في ٧٦٠ صفحة من القطع الوسط ، تقع فيها على كل ما يهيك ان نعرفه من شؤون الادارة المصرية مبوراً أحسن تبويب مسوقاً اليك في ايجاز بليغ . فتحنا الكتاب عند الصفحتين ٢٩٨ و ٢٩٩ فاذا هما يحتويان على ملخص تجارة مصر الخارجية مع انكلترا ومستعمراتها وفرنسا وايطاليا والمانيا والولايات المتحدة الاميركية وبلجيكا ولكسمبرج وشيلي . وفتحناه عند الصفحة ٢٤٩ فرأينا في منتصفها الاسفل وصفاً موجزاً دقيقاً لقناطر نجع حمادي اليكة : « تقع هذه القناطر على النيل عند الكيلو ٥٨٨ قبلي القاهرة واربعة عشر كيلو متراً بحري كوبري السكة الحديد بنجع حمادي ، وتتكون القنطرة التي بدىء في بنائها في اواخر سنة ١٩٢٧ . وانتهت في اكتوبر سنة ١٩٣٠ من مائة فتحة سعة كل فتحة منها ستة امتار ، وفي الجانب الغربي للقناطر هويس عرضه ١٦ متراً وطوله ٨٠ متراً وهذا الهويس في مقاساته كهويس قناطر اسنا وقناطر اسيوط . وتختلف هذه القناطر عن قناطر اسنا و اسيوط في ان سعة فتحاتها ستة امتار بدلاً من خمسة امتار . وبيناء هذه القناطر قد تم ري جميع حياض الوجه القبلي اذ ان بوجودها بين قناطر اسنا و اسيوط سيكون ري مديرية جرجا ومركز نجع حمادي من مديرية قنا مضموناً بقطع النظر عن انخفاض الفيضان . والمساحة التي تحكمها هذه القناطر نيلياً حوالي نصف مليون فدان وستكون في المستقبل اداة لنحويل ٤٥٠ الف فدان من ري نيلي الى ري مستديم الخ

وبلي ذلك وصف التعلية الثانية لسد خزان اسوان . فالكتاب من حيث ما يشتمل عليه من الحقائق المبوبة سجل لا يستغني عنه احد من المشتغلين بشؤون مصر العامة

ديوان الماحي

نظم محمد مصطفى الماحي — صفحاته ٢٥٦ قطع صغير

قال الشاعر في ما دفعه الى الشعر : « . . . فكان لي — في الفينة بعد الفينة — خاطرة توحى بها مناسبة او فكرة يتفتح عنها الذهن ويصورها الخيال ، او ذكرى تتمثل للخطر فتجيش بها العاطفة ، او حادث يثير كوامن الاشجان . وكنت اذا اكملت شيئاً من ذلك آثرت ان اطويه قائماً بارضاء جانب الادب من نفسي كالمثقال المتواضع ما يزال يعصر ذهنه ويستوحي ملهمه حتى يحسن ويبدع ثم يرى ان يحجب ما الهمه ليستجهم مؤثراً ان يرضي جانب الفن من نفسه واشهد الله اني رجل لا انزلق الى الاغترار بمدح ولا الى الاعتداد بشعر بل كنت انطلق جاهداً عن الشعور الصادق وعن همسات النفس وخليجات القلب ووحى الضمير ، وما خطر لي يوماً اني سأواجه عالم الادب العربي بنشر هذا الديوان »

وقال خليل مطران في الديوان « فجعلته مرآة عصرك »

وقال عبد الله عفيفي : « . . . وانك لتقرأ شعره فتجد صورته وصورة ما يحيط به واضحة جلية لا يعتورها نقص ولا يشوبها كلف ولا يزيد بها زخرف او تمويه ، ففي الديوان الذي بين يديك تجد صولة الحب وثورة العاطفة وسورة الشباب وزهوة الامل ولوعة الحزن وشكوى الزمان ومساجلة الاخوان وفيه ذكر الحوادث العامة وتقدُّ لحالات الاجتماع »

اما محمود عماد فيشير في ما يشير اليه ، الى مكانة بين فريق المتشيعين للادب القديم وفريق النازعين الى التجديد فيقول : « ولسنا الآن في سبيل تفضيل فريق على فريق . ولكن سبيل ان نتعرف موقف « الماحي » الشاعر منها . والذي نراه انه لم يتجهيز الى فريق بعينه ولكنه وقف في منتصف الطريق واتخذ له بين الاديبن خطه وسطاً قال :

كم في القديم جديد الحسن مؤتلق يوليک من قسات الحسن الوانا
إما بعثنا — على الايام — جدته اوفى على جدد الآداب ميزانا
وكم جديد نعمنا من نصارته في اهبج الروض اطيأراً وأفنانا
كلاهما تملأ الدنيا محاسنه وتستجدُّ به الآداب إحسانا

ولم يجد توسطه بين الاديبن عن عمد ولكنه جاء من وحي الطبع والغريزة وذلك لان الصفة الغالبة في طبعه هي « الاعتدال »

وبعد اطلاعك على هذه الآراء المحكمة يجدر بك ان تطالع ديوان الماحي لتحكم بنفسك

حواء بلا آدم

بقلم محمود طاهر لاشين — قصة — صفحاتها ١٦٠ قطع وسط

القصة مصرية في روحها واشخاصها . فالشيخ مصطفى والحاج إمام والجدة والباشا والشاب رمزي والشابة حواء ، اشخاصٌ تحيا . وهي بحديثها وتصرفها في هذه القصة كأنها قطع من بعض نواحي المجتمع المصري الذي يريد المؤلف ان يرسمه وينقده في آن واحد الحياة التي تحياها الجدة « قوامها العاطفة . العقل فيها راكدٌ . والعقل يأبى الركود . فاذا حاول ان يرضي الفطرة لم يستطع الا العمل التافه من التثبث بالتفاؤل والتشاؤم واقامة الوزن للاحلام ، ومن ثم الاتصال بالجن والشياطين ، تتخذ لهم الاسماء ، وتسبغ عليهم المثل والنحل والاشكال والالقب ، ويبايعون بالسيادة ، فيخضع العقل السليم لهؤلاء « الاسياد » الذين اخترعهم

ومن هؤلاء الاسياد عفريت يدعى سرور وصفه المؤلف وصفاً لطيفاً صفحة ٣٤

اما حواء فنشأت في هذا الجو . نشأت فيه فألفته ثم أنفت منه . . . واصابها في صغرها ما يعرف الآن في علم النفس الحديث بعقدة الضيقة فزعت الى التفوق في طلب العلم فتفوقت وارسلت في بعثة الى انكلترا وعادت منها مدرّسة « تعلم الرياضة فاقتصدت في الاختلاط بزميلاتها المدرسات . وتكوّنت لها حيالهنّ شخصية فيها تعال ولكن ليس فيها حماقة . فكن يحترمنها ولا يكرهنها . بل كانت الحكم اذا اختلفن جميعاً . . . » ثم انضمت الى احدى الجماعات النسائية فراحت تعمل بنفس زبرد العمل . . . وكذلك اضافت حياتها الجديدة الى نفسها ما طغى على انوثتها ، حتى ايقظها فيها الشاب رمزي وهو نجل باشا كانت تختلف حواء الى دارم لتدرس اولاده . فكانت هذه القطة الانثوية في نفس حواء بعد ٣٠ سنة قضتها في طلب التفوق ، عنيفة كالنار ، لا بد ان تأكل صاحبها اذا هي اصبحت بالاخفاق . وكذلك كان

فالحكاية الغرامية ليست الا سحطاً واهياً ينظم الصور العديدة التي يريد المؤلف ان يرسمها لنواح من المجتمع المصري ، ولكنه مع ذلك يجعل القصة كلاً منديجاً لا يتجزأ . ولغة الكتاب فصيحة في الغالب ، تتطرق اليها الالفاظ والعبارات العامة احياناً كقوله « ومضى يحدث بانفه شوشرة كبرى » او يغلب عليه التعبير الفرنسي احياناً كقوله « احتلته امتعاض من رأى شيئاً كريهاً » وللمؤلف نكتة بارعة مشربة بالوان من السخرية كقوله « . . . على شرط ان يطلق زوجه الاولى فلتلقها بحجة انها لم تلد له الا اناثاً . » وانه يريد « الذسر الصغير » . وكقوله « فالحاج امام وحده هو الذي لا يؤمن بالجرس الكهربائي ويرى عصاته للباب اقرب للتقوى »

وله كذلك نقدات اجتماعية يسوقها اليك منسجمة مع حوادث القصة كوصفه رمزي اذ قال : « ولم يتعمد رمزي ان يتقف نفسه ثقافة خاصة . وانما كان يشتري الكتب غشياً وممينها على السواء ،

إذا تساوت في اناقة الشكل وجمال الطبع . فمكتبته إذا عامرة باهرة . وانه ليمضي الساعات في ترتيبها واعادة ترتيبها . ويدخله من عرفان اسماء المؤلفين شعور بانهُ يتمشى مع الحركة الادبية ، بيدانه يقرأ اهم الصحف اليومية ، وكافة المجلات الاسبوعية وللأخيرة عنده مجموعات ينفق على تجليدها بسخاء الخ »

الاعشاب

ديوان لمحمود أبو الوفا — صفحاته ١٢٧ قطع صغير

الفرق بين شعر محمود أبو الوفا في ديوانه هذا وشعره في ديوانه الاول كالفرق بين «الاعشاب» و «انفاس محترقة» . فمحور شعره في الديوان الاول بث نفسه الكليمة فاذا هو يقذف شواظ نار حيث يقول « سر الحياة اليم » او حيث يقول :

اريد وما عسى تجدي اريد على من ليس يملك ما يريد
او حيث يقول :

لغة البلابل اين تذ هب بين هدهدة الهداهد
او حيث يقول :

ابي وفي النار مثوى كل والدة ووالد انجبا للبؤس امثالي
او حيث يقول :

لعجيب ان يطرب الناس عود شب يسقى السموم من احزانه !
أما « الاعشاب » فميدانه اعم . وأغراضه أكثر تنوعاً . فقد خرج فيه الشاعر من حرم نفسه الى رحاب بيئته . فهو آناً يسجل ، وآناً ينتقد . يسجل زيارة جلالة الملك الى اوربا في قصيدة حسنة . ويحتفل وحده بتكريم شوقي ، بقصيدة من خير ما قيل في ذلك المهرجان :

مزهر غنت الطبيعة فيه مراسلات اوحّت بهن السماء
في بيان تنافس الصبح فيه حين يروي قصيده والمساء
في معان سرين من كل حي موضع الحسن فهي فيه الدماء
كلمات كأنهن نجوم وقواف كأنهن الماء

وكذلك سجّل وفاة فيصل ومأساة الطيارين المصريين الذين سقطوا واحترقوا في طريقهما من انكلترا الى مصر ووفاة عدلي باشا وداود بركات وما توحى هذه الحوادث من الوان الشعور أما نقده فوجهه في الغالب الى عيوب المجتمع المصري :

الخاطئون بها همو نجباؤها فهمو الذين تفرقوا اهواء
شقيت بأحزاب وهم فيها شقوا فعدوا جميعاً في الشقاء سواء

والله ما كان العدو ببالغ
او حيث يقول :

سلوا «الوساطات» في مصر وما اصطنعت
كم من كريم كبت فيه مطامحه
او قوله : كل شعب صلحت اطفاله
كان هذا الشعب مرجو المال
على ان قصائد «تكريم شوقي» و«حديقة الجار» و«يوم اللقاء» و«الجسر والنهر» و«وحلم
العذارى» فيها نفحة شعرية محب ان يعنى الشاعر بتوجيه اكبر جانب من عنايته اليها فهي للكلام
النظيم كالأجنحة السحرية ترتفع عليها الى ابعد الاجواء

مجلة كلية الآداب

الجزء الثاني . ديسمبر ١٩٣٣

نهضت كلية الآداب وذاع صيتها وحسن عملها ولا نشرة لها تعزز مكانتها حتى قام نفر من
الاساتذة وتعاقدوا على اخراج مجلة لها

ان الجزء الثاني من هذه المجلة بين يدينا الآن . ففيه من المباحث الطريف والمحكم بعضه
مكتوب باللغة العربية والآخر بالانجليزية او الفرنسية . ومما يؤسف له ان بعض الاساتذة المصريين
عدل عن العربية الى الانجليزية كأن ليس في لغتهم متسع لكلامهم . وشد ما يخشى ان يصير
اساتذنا مصير كتّاب المغرب والهند : هؤلاء يؤلفون في الانجليزية واولئك في الفرنسية . وان
كان للقوم عذر نجمله او نعرفه فما عذر اساتذة كلية الآداب بالجامعة المصرية

موضوعات هذا العدد

القسم العربي

(لمصطفى عبد الرازق)

(لعبد الوهاب عزام)

ابو يوسف يعقوب بن اسحاق الكندي

اوزان الشعر وقوافيه في العربية والفرنسية والتركية

القسم الاوربي

(لفلامير فيكنتيف)

(ترجمة وادل)

(لآربري)

(لكروزيل)

(لايفاز بريشارد)

مقطوعة للشاعر مينيس

وصف مصر لديودور الصقلي ، المقالة الثانية

ملاحظة على ترجمة كتاب النبات لارسطو

تأسيس القاهرة

الايضاح العقلي الانكليزي للسحر

العناصر المصرية وغير المصرية في تدرج الحضارات في افريقية الغربية (للشرقاوي)
 حفائر الجامعة المصرية بالمعادي (لمصطفى عامر)
 اسماء بعض النجوم المختلف فيها (لتيلور)
 الادب القديم (الكلاسيك) : رأي في تحديده (لبير)

خزانة مخطوطات القس بولس سباط

مطبعة فردريخ بمصر

القس بولس سباط من المولعين بجمع المخطوطات وقد انتقع لذلك خمس عشرة سنة حتى استقامت له خزانة جلييلة فيها خمس وعشرون ومائة الف مخطوطة في فنون شتى ، منها الدين فيدخل فيها ، الاسفار المقدسة بين صميمية وموضوعة ، وتفسيرات وتأليف آباء الكنيسة وتصانيف الهية فلسفية ومنطقية واخلاقية ومناظرات ، وتعاليم دينية ، وسير الانبياء وآباء الكنيسة ، وطقوس على حسب المذاهب والطوائف ، وكتب في التقشف والزهد والرهبة والعبادات والصلوات . ومنها اللغة العربية فيندرج فيها : القواعد والادب والشعر والمراسلات والخطابة والعروض والمعجمات والقصص والسياحات . ومنها التاريخ — ومنها العلوم ، فينطوي تحتها : الطب والعقاقير والهندسة والجبر والحساب والقانون وعلم الحيوان والجغرافية والفلك والتنجيم والفراصة والكهانة والعرافة والسحر والطلاسم والكيمياء والمعادن — ومنها الدين الاسلامي على اختلاف فنونه

ثم ان هنالك مخطوطات سريانية وارمنية ويونانية وقبطية ولايتينية وتركية وفارسية والخالصة ان مثل هذه المجموعة لما يعتدُّ به ، وحسناً فعل القس المحترم في نشر فهراس تحليلية مسهبة لتلك المخطوطات . وعسى ان يبقى على جمعه فاننا لفي حاجة الى امثاله

الشرق والغرب

اسم الكتاب الماع الى فخواه . فان نفساً حية ، سرى فيها الاخلاص للانسانية ، ووازت بين الشرق والغرب ، فتبينت البون الشاسع بينهما ، رمت بهذا التأليف الى حث قومها على المساهمة في تراث الانسانية « العلم والارتقاء » . والمؤلف شاب لم تتسن له الوسائط العلمية في جامعات اوربا ، ولا في جامعات الشرق حتى ، فكانت عزيمة هذه ، وثقته من نفسه ، فريدة في بابها هذا هو رشيد سرحان شكور كاتب « الشرق والغرب » في نحو ٤٠٠ صفحة حسنة الطبع ، واضحة البيان ، نزيهة النزعة ، انسانية المرمى ، عربية الاختصاص

يتلخص الكتاب في احدى وعشرين مقالة ، حافلة بالفوائد التاريخية والاجتماعية ، في الهند والصين والعرب والترك واوربا واميركا ، اورد فيها خلاصات في زعماء الدنيا ، وقد وضعهم فوق الاديان التي نشأت عن حياتهم وتعاليمهم . وهو يروم ان يتبع ابناء العربية مثال الاوربيين من

حيث التعويل على العلوم الاختبارية الطبيعية ، وصرف النظر عن النظريات الروحية مع احترام واضعها . ومع اني لاوافق في كل آرائه ارى من واجبي ان اشجعه ، لانه ثار على القيود ، والشرق يحتاج الى مثل هذه الثورة . الا ان المسعى الذي يتوخاه طويل شاق ، ودونه قد برد بانية . وان الذين يروم انتشالهم من لجج الاوهام والخرافات ينظرون اليه نظرة عدو لدود ، دفاعاً عما آله ووذوداً عن سبل نشأوا عليها . فعلى امثاله بالصبر وانكار النفس ، لان النتائج المنتظرة من امثال هذا المسعى لا تتاح قبل عشرات القرون

احصر كلامي بهذا الاماع لان المؤلف لا يحتمل اكثر من ذلك . كما اني احجم عن نقد الكتاب للسبب نفسه راجياً ان يكون من الذرائع لتحرير الشرق ورفع اقوامه
التربية بالقصص
حنا خباز

وضع الاديب المهندس حامد القصبي حلقة اخرى من حلقات « التربية بالقصص » لمطالعات المدرسة والمنزل . وهذه الحلقة تشتمل على قصص سهلة المأخذ قريبة التداول ذات مغاز ادبية عالية وكل صفحة من صفحات الكلام يحيط بها اطار من الرسوم ، وبعض هذه الرسوم ملون . فنشكر المؤلف عنايته بالاشتراك في اعداد مكتبة عربية للاطفال نحن في اشد الحاجة اليها
زردشت باستاني وفلسفته

مطبوعات مبريرة

++(++)

شهر زاد

مسرحة تأليف توفيق الحكيم

لندن

تأليف احمد عطية الله

اركان التدريس

تأليف احمد ساح الحالدي

الصحة الريفية في سوريا

تأليف ستيورت دد (انكليزي)

التعريفية الجرمية في سوريا

تأليف نور من برز (انكليزي)

تاجر البندقية : للاطفال

تصنيف كامل كيلاني

ظهر هذا التاريخ النفيس من تأليف المؤرخ الحاج ميرزا عبد الحميد خان ايراني صاحب جريدة جهرنما الفارسية بمصر وهو يبحث في الديانة القديمة الزردشتية التي كانت سائدة في ايران قبل الاسلام والتي تشغل من تاريخ ايران نظراً مجيداً والنبي زردشت كان في مقدمة المعلمين الدينيين ولا يزال يتبع تعاليمه طائفة كبيرة من اشياخ هذا الدين في الهند وفي ايران . وقد اورد المؤرخ كل ما يتصل بتاريخ زردشت منذ نشأته وقيامه ودعوته ونشره لمذهبه وما كان بينه وبين الملوك المعاصرين وتناول وفاته ومن خليفه وكيف انتقل الكثيرون من اشياخ هذا الدين من ايران الى الهند وما كان من أثر ذلك في ايران وما عداها وكان اعتماده في تصنيف كتابه على المصادر الموثوق بها من التواريخ الايرانية واليونانية والرومانية والتركية والعربية وعلى ما جمعه كبار

المشتشرقين من الانكليز والاميركيين وسواهم والكتاب باللغة الفارسية

بَابُ الْإِسْخَارِ الْعِلْمِيَّةِ

تعاون هواة اللاسلكي العالميين

على حلّ إحدى معضلاته

لرسائل معينة تنطلق من سطح الأرض الى الفضاء ولكن قلما يتاح لها ان تغلق من جو الأرض الى الفضاء الكائن بين الاجرام السماوية. ذلك ان في اعالي الجو ثلاث طبقات من الذرات المكهربة وقد سميت بثلاثة احرف من الابجدية

الانجليزية هي D و E و F تردّ الامواج من

اعالي الجو الى سطح الأرض ، فتجعل

التضاغط اللاسلكي البعيد المدى مستطاعاً.

فطبقة D تعلو ٣٠ ميلاً عن سطح

الأرض وورد الامواج اللاسلكية الطويلة

اما طبقة E (وهي

المعروفة بطبقة كني هيفيسيد) فترتفع نحو ٦٥ ميلاً عن سطح الأرض وتردّ الامواج

اللاسلكية الطويلة والمتوسطة . واما طبقة F (وهي المعروفة بطبقة ايلتن) فعملوها ١٥٠ ميلاً وترد معظم الامواج القصيرة . ولكن بعض

اتحفنا الاستاذ محمد سعيد لطفي رئيس قسم الاذاعة العربية ، في محطة الاذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية ، بعدد من مجلة «ورلدراديو» وأشار فيه الى اذاعة علمية احب ان يكون للمقتطف نصيب في نشر مؤداها حتى يتاح

لهواة اللاسلكي من قرائه في الشرق العربي التضافر مع اخوانهم في انحاء العالم

على جمع الحقائق الخاصة بموضوع يعني به علماء

اللاسلكية الآن . واليك ملخص المقال :

عني الاستاذ ايلتن ، الطائر الصيت في الدوائر

اللاسلكية العلمية في السنوات الاخيرة بدرس

ظاهرة الاصداء اللاسلكية التي ترد اليها من الفضاء . واشتركت معه في ذلك طائفة من

العلماء . وانت تعلم ان الهوائي يذيع امواجاً لاسلكية تنتشر في جميع الجهات ، الا اذا كان موجّهاً توجيهاً خاصاً . هذه الامواج الحاملة

في مقتطف يونيو

الريث ومشروعاته الكبرى

في القطر المصري

لحسين بك مري وكيل وزارة الاشغال

البحث عن الثروة المعدنية في مصر

للدكتور حسن ضاد بك

مراقب ادارة المناجم والمحاجر

من محاضرات الجمع المصري للثقافة العلمية

عني الاستاذ ايلتن ، الطائر الصيت في الدوائر اللاسلكية العلمية في السنوات الاخيرة بدرس ظاهرة الاصداء اللاسلكية التي ترد اليها من الفضاء . واشتركت معه في ذلك طائفة من العلماء . وانت تعلم ان الهوائي يذيع امواجاً لاسلكية تنتشر في جميع الجهات ، الا اذا كان موجّهاً توجيهاً خاصاً . هذه الامواج الحاملة

الاصلية ، وهذا يقتضي نظرياً وجود ما ردها الى الارض على بعد ٢٣٢٥٠٠٠ ميل من سطحها فاذ يمكن ان يكون على هذه المسافة فوق سطح الارض ؟ هل هناك طبقة من الذرات المكهربة ، او تيار من الدقائق منطلق من الشمس او غيمة منبسطة من الغبار الكوني ؟ وهل هذه الطبقة ، كائنة ما كانت ، تدور مع النظام الشمسي او لها حركة ذاتية خاصة بها ؟ ولماذا تتأثر هذه الاصداء المرتدة اليها من البعد سحابة بالنور القطبي وكلف الشمس ؟ وفي كم موقع على سطح الارض يمكن التقاط الصدى اللاسلكي الواحد في وقت واحد ؟ النظريات كثيرة ولكن الحقائق التجريبية يسيرة وكل ذلك ما يزال لغزاً غامضاً ولما كان العلماء يحتاجون الى جمع المشاهدات الخاصة بهذا الموضوع التي يشاهدها ا كبر عدد من الهواة اللاسلكيين تقرر انشاء عصبة سماع اللاسلكي التجريبيين والغرض من هذه العصبة ارسال اشارات لاسلكية معينة في اوقات معينة ، ثم على كل عضو في العصبة ان يدون ميعاد سماع الاشارة الاصلية والاصداء التي تليها وفترات الوقت بين الاشارة واصداؤها . وقد وافق الاستاذ ايلتن على انشاء هذه العصبة ووعد بالتعاون معها بل هو الذي اقترح جعل تجربتها الاولى خاصة « بالاصداء اللاسلكية المتأخرة » . وتعرف هذه العصبة بالحروف الافرنجية الاولى من اسمها . وهي W. R. R. L. ومن شاء من القراء الانتظام فيها فعليه بالكتابة الى العنوان الآتي :

Ralph Stranger c/o Editor World—
Radio B. B. C. Broad Casting House.
Portland Place, London, England.

الامواج اللاسلكية يستطيع ان يخترق جميع هذه الطبقات وينطلق الى الفضاء ورائها اما يظهر ان هذه الامواج التي يبدو لنا انها تنفذ الطبقات الثلاث الى الفضاء ، لا تنطلق فعلاً الى الفضاء الخارجي ، بل هناك فوق الطبقات المذكورة ما يردّها اليها

ففي سنة ١٩٢٧ لاحظ احد هواة اللاسلكي الهولنديين ، في خلال التقاط اشارات لاسلكية مرسلة من أيندهافن ، انه يسمع احياناً الاشارة الواحدة ثلاث مرات فبعد ما سمع الاشارة الاصلية ، لبث سُبْع ثانية فسمعا ثانية كأنها واردة من جهة مقابلة ، وبعد ثلاث ثوانٍ سمعا ثالثة . اما الصدى الاول (اي الذي يسمع بعد انقضاء سبع ثانية على الاشارة الاولى) فيمكن تعليله بأنه تم بعد ما دارت الاشارة الاصلية حول الارض . وهذا يقتضي سُبْع ثانية من الزمان لان المسافة حول الارض تبلغ سبع سرعة الامواج اللاسلكية في الثانية (نسبة ٢٤٨٠٠ ميل محيط الارض : ١٨٦٠٠٠ سرعة الضوء والامواج اللاسلكية في الثانية) ولكن من اين جاء الصدى الثالث ؟ فان محيئه بعد ثلاث ثوانٍ يقتضي ان يكون قد قطع ٥٤٨٠٠٠ ميل قبل رجوعه الى الارض . فاذا كانت الامواج اللاسلكية تسير بسرعة واحدة في انطلاقها من سطح الارض وارتدادها اليها ، فالطبقة التي ردت الصدى الاخير ، يجب ان تكون على ٢٧٩ الفاً من الاميال فوق سطح الارض . وفي سنة ١٩٢٨ سمعت اصداء لاسلكية بعد انقضاء ١٥ ثانية على سماع الاشارة

ويقول له انه يود الانتظام في هذه العصبية
W. R. R. L. وما هي مؤهلاته العلمية ونوع
اللاقط اللاسلكي الذي يستعمله
الهمم والصحة

ذكر الدكتور كالب ولينز صليبي في كتابه :
الهمم داء العصر : ان فتاة خطبت ثم اضطربت
أحوال خطيبها وتسمرت اموره فاضطر ان
يؤخر زواجه . فقلقت لما اصابه . وأثر قلقها
في صحتها فزال البهجة من وجهها وتولاها
الارق . ففي اول الامر صار نومها خفيفاً كما
ظهر من كثرة احلامها ثم قلَّ نومها وطال ارقها
وانتابها الكابوس الدال على سوء الهضم ثم
أصبحت لاتنام مطلقاً . وصلحت احوال خطيبها
بعد ذلك فتزوجا وزال ما يدعو الى قلقها
وأرقها ، ولكن الارق لم يزُل . اي ان همها
السابق بقي تأثيره فيها . وصارت سريعة
الشعور بالتعب

وكان هضمها قبل ذلك غاية في الانتظام فلما
قلقت اصابتها تحمة شديدة لغير سبب ظاهر ،
مصحوبة بنوب من الالم الشديد حتى اذا كانت
ماشية واعترتها احدى هذه النوب عادت رجلاها
لاتحملانها . وقد مضى عليها بعد زواجها اربع
سنوات وسوء الهضم لم يفارقها يوماً واحداً
مع ان طعامها لم يتغير عما كان عليه قبلما اصابها
الفاق . وكل ظواهر سوء هضمها تدل على انه
عصبي لاطبيعي اي انه حدث من تأثر اعصابها
المتسلطة على الهضم

ونحف جسمها جداً ، وقد يعمل هذا بانه
نتيجة سوء الهضم ، ولكن اصابها من نحافة
جسمها ان ضعف شعرها وسقط اكثره ، وهذا
لا يعمل بسوء الهضم ومعلوم ان الهمم والقلق
يضعفان الشعر اي يقللان تغذيته فيسقط او
يشيب باكرآ وفي ذلك قال المتنبي
والهمم يحترم الجسم نحافة

ويشيب ناصية الصبي وبهرم
واذا كانت الشيخوخة سبب الصلع ابتداءً
في مكان واحد . ثم يتسع نطاقه رويداً رويداً
ويبقى شعر القذال غالباً . ولكن اذا حدث
الشيب والصلع من الهمم والقلق اصابا شعر الرأس
كله في الغالب اي انتشرا فيه انتشاراً . وقد سقط
ثلثا شعر هذه المرأة وبقي ثلثه فلم يصبها الصلع
في بقعة واحدة من رأسها بل قل شعرها كله
بوجه عام

ويمتاز صلع الهمم عن صلع الشيخوخة بأن
الاول لا يلزم ان يستمر لانه حادث من سبب
عارض وهو قلة التغذية الناتجة من ضعف
الاعصاب المتسلطة على توزيع الغذاء في الجسم
فاذا زال سببه اي اذا زال الهمم واستردت
الاعصاب المغذية قوتها وانتظامها عاد الشعر الى
نموه لان بصلاته تكون باقية في الجلد حية
ولا ينقصها للنمو الا الغذاء الكافي ، فتزال
الهمم وصاحبت تغذية الجسم كله تغذت بصلات
الشعر معه . وقد حدث ذلك في هذه المرأة
فان شعرها نما ثانية وعاد الى اصله

حول الهرم الرابع

في المنطقة المجاورة لهرم خوفو وبني الهول كشف الاستاذ سليم حسن ، عن الهرم الرابع الذي كان مطموراً بالمال ، ومدينة الاحياء التابعة له ، ومدينة الاموات الخاصة بهرام الجزيرة جميعاً . في هاتين المدينتين ، عثر الباحث المصري على آثار تملأ بعض الفجوات في التاريخ المصري القديم ، وآيات فذة ، ما زال علماء التاريخ المصري يقرأون عنها في الكتب القديمة ولا يرون لها في الآثار التي كشفت ما يؤيدها مدينة الاحياء مبنية بالطوب الاخضر واما مدينة الاموات فنحوتة في الصخر الاصم لان الحياة في اعتقاد قدماء المصريين زائلة ، وأما «ما بعد الموت» فهو الباقي . ففي مدينة الاحياء بقايا جدران يختلف ارتفاعها من قدم فوق سطح الارض الى متر ومما يسترعي النظر فيها ان الطوب كبير الحجم حتى لقد يبلغ طول الطوبة الواحدة احياناً خمسة واربعين سنتيمتراً . وفي بعض المباني قواعد لاعمدة من الالبستر ، قطر القاعدة منها نحو متر . وقد استوقف نظرنا قيام اعمدة من الالبستر في مبان من الطوب فقال الاستاذ سليم حسن هذا ما جرى عليه المصريون ، وتعليل ذلك ان الالبستر بلورات من سلفات الكلسيوم ، والتبلور يقتضي وجود الماء فاذا عرضت البلورات لما يزيل بعض مائها تفتت . وهذا من عجائب ما كشفه المصريون من العلاقات العلمية في ذاك العهد السحيق . ولا يزال في بعض الدور آثار الاجران المستديرة

التي كانت تستعمل لخزن الحبوب والحنطة وزرنا في مدينة الاموات مدفناً لمدير سراي الملك فيه حجرة مستطيلة رسمت على احد جدرانها رسوم بديعة لصاحب المدفن وهو يسلم وصيته لابنه . والجديد في هذه الوصية انها موقعة من خمسة عشر رجلاً ، كل رجل منهم يمثل حرفة او صناعة . ويلى ذلك لوحة نقشت عليها رسوم بارزة تمثل الصناعات في ذلك العهد مع تفسير للصناعة التي تمثلها بالكتابة الهيروغليفية . ففي احد الرسوم قزمان يصنعان عقداً وترى مراتب صنع العقد وعند اتمامه يقول احدهما للآخر مامعناه : «لا بد ان تسر السيدة التي صنع لها هذا العقد» . اما الرسوم الاخرى فتمثل صهر المعادن واستقطار الجعة وعمل الخبز وطرق المعادن وحفر التماثيل وصنع التوابيت والصناديق وما شابه

وقد رأينا كذلك حوضاً لا يقل طوله عن ثلاثة أمتار وعرضه عن مترين ونصف متر وعمقه عن متر ونصف متر ينزل اليه بسلم وقد كان يستعمل لاستحمام الملكة . وتطل عليه سلسلة من المقابر اقربها اليها خاصة بالكاهن الذي كان يشرف على استحمام الملكة . وفي ناحية اخرى وجدوا حديقاً البئر التي كانوا يستمدون منها الماء في ذلك العهد

ومن ابداع ما شاهدناه قبر رجل يدعى عنخ تف تدخل اليه بباب واطىء ثم تنحرف الى اليسار فتدخل حجرة ضيقة ، ثم تنحني وتضع عينك على ثقب في الجدار الايمن قد لا يزيد ارتفاعه على متر وربع متر ، فيقع بصرك على

تمثالين ناصعي البياض من الحجر الجيري السلطاني
يصدق فيهما قول شوقي حيث قال :
ونقوش كأنما نقض الصا

نع منها اليدين بالامس نفضا
احدهما يمثل صاحب المقبرة بحجم يقارب
ثلث الحجم الطبيعي والآخر وهو اصغر من
الاول تمثال فتاة عارية راكعة على ركبتها
ومنحنية الى الامام وهي تعجن وهذان التمثالان
لم تمسهما يد ولا وقعت عليهما عين انسان بعد
ما افقدت تلك المقبرة الى ان عثر عليها الاستاذ
سليم حسن في هذه السنة

وقد عثر غربي الهرم الرابع على قارب كبير
طوله نحو ٣٠ متراً محفوراً في الصخر الاصم
والمسافة بين قعره وسطح الصخر الذي حفر فيه
نحو عشرة امتار او تزيد وهو فدان في تاريخ
الآثار المصرية . ذلك ان مراكب من هذا
القبيل كشفت من قبل ، منها المركب الذي كشفه
(الآن رو) من نحو عشر سنوات شرق الهرم
الكبير . ولكن لم يكشف من قبل مركب منها
غرب هرم من الاهرام . ووجه الخطر في هذا
الفرق ان المراكب كانت في عقيدة المصريين
القدماء تعدل لنقل النفس مع الآلهة روع من الشرق
الى الغرب ، ثم تحت الارض من الغرب الى الشرق
فالمرآكب التي كشفت شرق الاهرام كانت سطحية
ومعدة لنقل النفس في النهار من الشرق الى
الغرب . واما التي تنقل النفس في الليل وتحت
الارض من الغرب الى الشرق فلم يكتشف منها
مركب قبل هذا المركب الكبير . وليس هذا كل
ما رأيناه . ولكنه أهم ما بقي في الذاكرة

الكهرباء في الصناعة

من الصفات التي يتصف بها كبار العلماء قوة
الملاحظة ، ولولا هذه القوة ، في احداثة
المستنبطين لظلّ الالكترون موضوعاً للبحث
النظري ، ولما اصبحت ، كما اصبحت الآن ، ركناً
من اركان الصناعة والثروة

منذ نحو خمسين سنة اكتشف مستنبت
عظيم ، اكتشافاً لا شأن له — وخاصة حينئذ —
اذا اخذ بظواهر الامور . كان ذلك المستنبت
توماس اديسن ، الذي رغم حصوله على امتياز
بصنع المصباح الكهربائي ، ظلّ مكباً عليه
يحاول البلوغ به الى مرتبة السكّال . وما كان يري
اليه من هذه الناحية ، انما كان اطالة عمر المصباح
باطالة عمر السلك الدقيق الذي يتألق فيه ، وفي
اتناء البحث لاحظ اديسن امرأ غريباً وهو ان
السلك يضعف وينقصم في نقطة معينة

ولو ان مستنبتاً آخر لم يؤث زكن اديسن
ونفذ بصيرته ، شاهد هذه الظاهرة ، لمربها مرّة
الكرام ، ولكن ارتقاء العلم والصناعة في
العصور الحديثة يقوم في الغالب على العناية بأمثال
هذه التفصيلات ، وقد كانت مشاهدة اديسن ،
الحلقة الاولى في سلسلة محكمة الحلقات أفضت
الى استخدام الالكترين — احداجزاء الدّرة —
في الصناعة

درس اديسن هذه الظاهرة التي تقصر عمر
السلك في مصباحه الكهربائي ووصفها وصفاً
دقيقاً في الدفاتر التي كان يدوّن فيها مشاهداته
وملاحظاته في تلك الآونة ، ثم تركها وشأنها ،

يدعى رتشر دسن (O. W. Richardson) وهو أحد الاساتذة الذين تلقى عليهم الدكتور مشرفة العلم فيما نذكر وقد قدم رسالة مشرفة التي عنوانها « ثنائية المادة » الى الجمعية الملكية البريطانية (بدرس القواعد الرياضية التي يقوم عليها فعل اديسن فتمنح لبحثه هذا جائزة نوبل الطبيعية سنة ١٩٢٨)

فلما أتم رتشر دسن بحثه صار في إمكان العلماء ان يفهموا لماذا يحترق السلك في مصباح اديسن ، وينقصم في نقطة معينة ثم انه أثبت ايضاً ان ثمة علاقة محدودة بين حرارة السلك وعدد الكهارب الذي يتطازر منه ، كما تجد علاقة معينة بين حرارة الوقيد تحت ابريق من الماء ومقدار البخار المائي الذي يطير منه . فلما قرأ رسالته التي تنطوي على هذه المباحث في الجمعية الملكية البريطانية كان بين الحضور مهندس يدعى الآن السرجون امبروز فلمنع فجعل هذا المهندس يدون على ظرف في يديه ما يستفيد من رسالة رتشر دسن هذه

على هذا الظرف ارتسمت الفكرة الأولى التي بني عليها الانبوب المفرغ . كان انبوباً ناقصاً من جميع الوجوه اذا قيس بأنايب اليوم المتقنة التي نجدها في أجهزة الالتقاط اللاسلكي ولكنه كان مع ذلك خطوة حاسمة خطيرة ، في ترقية المخاطبات اللاسلكية . فهذا الانبوب أصبح الباحثون قادرين على التقاط الأشعة اللاسلكية من مسافات كانت ممتنعة عليهم من قبل . ودعا فلمنع أنبوبه هذا الصمام الترميوني وهو الصمام الذي قلب التلغراف اللاسلكي

لأنه كان معنيًا حينئذٍ بحل مسائل أخرى تتطلب سرعة الحل لشدة الحاجة اليها

هذه الظاهرة التي اكتشفها اديسن ووصفها نعرف الآن لدى علماء الطبيعة باسم « فعل اديسن » Edison's Effect وهي التي افضت بالباحثين الى استنباط الانبوب المفرغ واتقانه ، والأنبوب المفرغ كما لا يخفى اساس التليفون اللاسلكي والتلفزة والصور المتحركة الناطقة وغيرها من غرائب المستنبطات الحديثة

وقد اشترك العالم النظري ، والمستنبط في اتقان الانبوب المفرغ . الا ان بحث العالم تقدم تطبيق المستنبط . والعالم في خلال بحثه ، لم يكن مهتماً بما يستخدم له الانبوب المفرغ قدر اهتمامه بمعرفة ما الانبوب المفرغ وما تعليل ما يقع فيه لان العلماء يبحثون عن العلل . وكان الالكترتون (الكهرب) قد اكتشف فساعد العلماء الباحثين في الكشف عن حقيقة الانبوب المفرغ وما يتصل به من الظاهرات

وقلما يستطيع الانسان ان يتصور ان هذا الكهرب الدقيق ، الذي بدأ يتسرب الى معجزات اللغة من عهد قريب فقط (كان اكتشافه في اواخر القرن الماضي) ويبلغ في صغر حجمه دون ما تكشف عنه عيون المجاهر ولو قوَّري إصاهاها الف الف ضعف ، قد أصبح في العقد من السنين الذي تلا الحرب الكبرى ، مداراً لصناعات واسعة النطاق ، تقدّر الاموال المثمرة فيها بعشرات الملايين من الجنيهات

ولكن دعنا نرجع الى منشأ كل هذا — في اوائل هذا القرن ، عني عالم انكليزي شاب

عشر شمعات على القدم المربعة ، وأما القراءة في كتاب دقيق الحروف فيحتاج الى ضوء قوته تبلغ ثلاثين شمعة على القدم المربعة . أما ترتيب هذه الآلة فبسيط . ذلك ان قطعها الوسطى عبارة عن قرص من النحاس مغشى بغشاء من اكسيد النحاس . واكسيد النحاس هذا شديد الاحساس بالضوء . فاذا وقع عليه الضوء ولد فيه تياراً كهربائياً ضعيفاً . وهذا التيار الذي يتولد في الغشاء المذكور بفعل الضوء يسري في الآلة فيحرك ابرة معينة . فاذا زاد الضوء زادت قوة التيار . واذا ضعف الضوء ضعفت قوة التيار ، وكذلك تتحرك الابرة لتدل على الاعمال التي يصلح لها الضوء المولّد للتيار الجاري فيها

الكهرباء والزرع

في بلدة جليز دورف على مقربة من مدينة غراتز بالنمسا ، يقيم رجل يدعى رتشارد هيس يملك مزرعة لتجربة التجارب العلمية فيها وقد عني في السنتين الاخيرتين بامتحان اثر الكهرباء في تفريخ البذور وانتاشها ونمو النباتات بعد ذلك . فأخذ في مايو سنة ١٩٣٣ قدرين متساويين من بذور معينة وزرع القدر الاول في اول مايو ثم زرع القدر الثاني في اواسط يونيو ، ولكن بعد ان عرض البذور للكهرباء . ومع ان الفرق بين ميعادي الزرع يبلغ نحو ستة اسابيع ، كانت النباتات التي انتشت من البذور جميعاً في حالة واحدة من النمو . وكذلك اخذ قدرين من بذور البنجر ، وزرعهما في وقت واحد ، ولكنه عالج احد القدرين بالكهرباء قبل زرعه فاستطاع ان يجنيه قبل القدر الآخر بمدة ليست يسيرة

رأساً على عقب وجعل التليفون اللاسلكي مستطاعاً ولكنه لم يبلغ ما بلغه من شدة الاحساس ودقته وتعدد نواحي استعماله ، الا بعد ما تناوله الدكتور لي ده فرست الاميركي وأدخل عليه تعديلات جمة جعلته صالحاً للاغراض التي يستعمل لها الآن وهو الآن حجر الزاوية في صناعة الادوات اللاسلكية على اختلافها -- وما اوسع نطاقها !

العمل وقياس الضوء

ليس قياس قوة الضوء بالامر الجديد . فقد تعلمنا في كتب الطبيعة ان الآلة المستعملة لذلك تدعى « فوتوميتر » اي « مقياس الضوء » وبها يقاس الضوء بالنسبة الى ضوء الشمعة الواحدة . ولكن مقياس الضوء هذا أداة علمية ، لاتصلح للتناول العملي اليومي . لذلك استنبطت في اميركا آلة عملية جديدة ، مبنية في مبدئها على « الفوتوميتر » ولكن خارجها مدرّج ، كمقياس الحرارة « الترموميتر » فتستطيع ان تعلم قوة الضوء بها كما تعلم درجة الحرارة بعد وضع مقياس الحرارة في فم المريض . وعلاوة على ذلك كتب على خارج هذه الآلة ، الاعمال المختلفة التي يصلح لها الضوء من قوة معينة . فثمة علامة لقوة الضوء الذي يصلح لانارة سلام البيت ، وعلاوة لقوة الضوء التي تصلح للقراءة او للخياطة على اختلاف درجتهما من الدقة . فلمحة واحدة الى خارج الآلة تنبئك هل المصباح الذي تقرأ على ضوءه هذه الكلمات كاف لقراءتها او لا . فالعمل العادي الذي لا يقتضي دقة استعمال النظر ، كترتيب الكتب على رف ، او العزف على البيانو ، يحتاج الى ضوء تكون قوته قوة

هل افرست اعلى القمم

تعلمنا في كتب الجغرافية ان قنة افرست في سلسلة جبال حماليا هي اعلى قنن الجبال فوق سطح الارض . ولكن ماذا تعني (بأعلى جبل) وما هو «مقياس العلو» . مقياس العلو هو ارتفاع قنة الجبل عن مستوى سطح البحر . وعلى ذلك يكون أفرست اعلى الجبال على ما جاء في كتب الجغرافية . ولكن اذا حسبنا مقياس العلو بعد القنة عن مركز كرة الارض ، كان جبل شيمبوزاو وهو احد قنن سلسلة جبال الاندس في جنوب اميركا أعلى الجبال ، بل لفاق هذا الجبل ، قنة أفرست بنحو ألفي متر وعند التدقيق (بسبعة آلاف ومائتي وسبعة عشر قدماً وثمانية أعشار القدم ٧٢١٧ر٨ قدم)

لذة التدخين : تفسير جديد

نشر عالمان من علماء جامعة ياييل الاميركية - وهما الدكتور هورد هنجرد والدكتور ليون جرينبرج - ان لذة التدخين ناشئة ، من ان التدخين وخاصة عند ما تكون متعباً ، يزيد مقدار السكر في الدم . ذلك ان نيكوتين التبغ يفعل في الغدد الكاوية (الادرينالية) فيحفزها على زيادة ما تفرزه من الادرينالين . فينجم من ذلك ان السكر المخزون في الكبد والعضلات في شكل غليكوجين ، يتحول الى سكر حادي وكذلك يكثر مقدار السكر في الدم . وزيادة مقدار السكر في الدم تزيد

عوارض الاعياء و«تؤثر الاعصاب» لان هذين العرضين ينشئان عن قلة السكر في الدم فاذا أكلت أو دخت زاد مقدار هذا السكر فيزول هذان العرضان . وهذا يعمل ان المدخن يعتمد الى التدخين اذ يحس بالجوع او التعب فالنيكوتين يزيل الشعور بالتعب او بالجوع ، ازالة مؤقتة لانه يزيد مقدار السكر في الدم

نور الجباب

يقول الاستاذ نيوتن هارفي ، من جامعة برنستن الاميريكية ، ان النور الذي يظهر من الجباب ، ونحوها من الحشرات ، المضيئة ، حادث من اكسدة مادة فيها تدعى لوسفرين Lucifrin اذا وجد معها مادة خيرية تدعى لوسفراس

والفرق بين هذا النور والنور المتولد من احتراق الزيت والشمع وما أشبه هو ان المادة الناتجة من أكسدة اللوسفرين ، يفارقها او كسجينها حالاً فتعود لوسفريناً بسيطاً اي ان دقائق اللوسفرين تتحد بالاكسجين فتتغير . ثم يفارقها الاكسجين فتعود الى حالتها الاولى ، مستعدة للاتحاد بالاكسجين من جديد ، وهذا على الضد من دقائق الكربون . فانها اذا اتحدت بالاكسجين صارت ثاني اكسيد الكربون وطار في الهواء . واذا فأسلوب الانارة في الجباب اقل الاساليب نفقة ، لان اللوسفرين ينير أولاً ثم بعد ما يفارقه الاكسجين ينير ثانية وهكذا

نور الجبابب الكهربائي

لعوض جندي

فعبس به السبيل لايجاد نوع جديد من النور الكهربائي المنزلي . حقاً ان هذا المصباح الحديث لم يتم استعماله الا في المختبرات العلمية ولكن قد صنعت منه نماذج لانارة المساكن .

وستجرب في القريب العاجل ، وهي تشبه في شكلها المصابيح الكهربائية الحالية (وارى ان افضل تسمية لها «المصابيح الدرية» Incandescent) وبكونها يمكن انارتها بوصلها باي تجويف كهربائي منزلي بلا تغيير في الاسلاك المركبة في الحيطان . وتختلف عنها بان نورها لا يتولد من سلك كهربائي دقيق يحمى حتى يبيض من الحرارة فيضيء ضوءاً دريئاً ، بل من غشاء معدني متألق يغشى به باطن الانبوب المحتوي على المصباح فلا يسخن عند الاضاءة . وذلك الغشاء يضيء بانطلاق مجرى من الاشعة السلبية اي الالكترونات عليه . وهذه تنبعث من كرة في وسط زجاجة المصباح . ومتى ركبت الزجاجة على تيار كهربائي منزلي خفيف ، قام سلك معدني دقيق في باطن الكرة بتسخينها لكي يساعد على توليد تلك الاشعة غير المنظورة ومتى استعملت لاجل تيار عالٍ كما هي الحال في انارة المصانع والاعلومات التجارية - اليفط - تيسر الاستغناء عن ذلك السلك الدقيق . ويتسنى الحصول منها على اي لون من الانوار ومنها الابيض وذلك طبقاً للغشاء المعدني الذي يستعمل

والذي يهتم له العلماء في هذه المصابيح الطريفة انها تولد النور البارد المماثل لنور

الجبابب - ذباب يطير بالليل له شعاع كالسراج . ومنه نور الجبابب او هي ما اقتدح من شرر النار في الهواء من تصادم الحجارة - الفيروزابادي

قلت في كتابي «مشاهد اليابان» : «وطالما حار العلماء في تعليل نور الجبابب فأصبحوا يرجحون تولده من مواد كيمياوية غريبة كأمنة في النسيج الشحمي ، تضيء اذا اتخذت بعنصر الاوكسجين الذي يصل اليها من انايب التنفس التي في جانبي الحشرة . وقد حملهم هذا الظن على محاولة توليد نور صناعي فصفوري مثله غابت آمالهم . وذهبت مساعيهم هباءً منثوراً . ولا غرو فهاية ذلك الضوء لا تزال سرّاً محجوباً عن مداركهم . وحسب تلك الحشرات شهرة ان رجالا العلوم ، على كل ما أوتوه من سعة المعارف الكيماوية كما تقدم القول لم يسعهم تقليد ذلك «النور البارد» اي الضوء الذي يشع من أجسامها من دون حرارة . فيالها من آيات بينات تدل على خطير صنع الآله القدير » ويسرنا الآن ان نرف الى قراء المقتطف بشرى جاءتنا بها حديثاً مجلة العلم العام الاميركية اذ قالت : -

ليتصور القارئ النور البارد الخفي الذي يشع من أجسام الجبابب مضاعفاً الوف المرات ، مودعاً في أنبوب زجاجي !! وهو الاختراع المدهش لعالم امريكي شاب من بروكلين تمكن من صنع مصباح كهربائي متألق ينير بلا حرارة

تكريم العقاد وزكي مبارك

اقام ادياء مصر وكرامها في آخر ابريل حفلتين نفهمتين لتكريم الاستاذ عباس محمود العقاد والدكتور زكي مبارك . وأقيم الاحتفال بالأستاذ العقاد في مساء الجمعة ٢٧ ابريل في مسرح حديقة الازبكية . وشهده حضرة صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا وجمهور كبير من رجال الوفد المصري وكرائم السيدات والكتاب والصحافيين والشبان . وكان الجو ينبض وطنية صادقة . وكان من خطباء الحفلة الشيخ عباس الجمل والاستاذ محمد توفيق دياب صاحب جريدة الجهاد (العقاد الصحافي) والدكتور طه حسين (العقاد الشاعر) والاستاذ

ابراهيم عبد الهادي المحامي

اما حفلة الدكتور زكي مبارك فاقامت في مسرح الحمراء في مساء الاحد ٢٩ ابريل برئاسة الشاعر الكبير خليل مطران وكان من خطبائها وشعرائها الدكتور ابراهيم ناجي والدكتور ابو شادي والاستاذ محمد خالد والاستاذ محمود رمزي نظيم والاستاذ عبد الباقي ابراهيم عوض .

وغنى فيها الاستاذ محمد عبد الوهاب

فكانت الحفلتان دليلاً على نزعة كريمة في

المجتمع المصري لتقدير الادب والعلم

تصحيح خطأ

في اول السطر الثالث عشر من الصفحة

٥٥٠ — مقالة عجائب الحل الطيفي — قلنا « من نحو مائة سنة امر » العلامة نيوتن . . . الخ وصوابها « من نحو مائتي سنة امر » العلامة نيوتن . . . الخ

الحباب الذي طالما غبطوها من اجله وطمحوا الى محاكاته ، فأخفقوا كما ذكرنا آنفاً . وقد اجمع الخبراء على ان اجود المصاييح الكهربائية الحالية مضیعة للمال وليست طبق المرام ، لانها تحول جل التيار الكهربائي الذي تستنفده الى حرارة الى ضرر محقق لا فائدة منها للمستهلك وربما تتحول وقد اخترع الباحثون اخيراً مصاييح مختلفة الاشكال بأن استعملوا فيها اعمدة من الغاز المنير لكي يزيدوا قوتها . ولكن استعمال الفلزات المتألقة التي تتأثر بالقذائف الكهربائية فتضيء بغير حرارة ، حل جديد من كل الوجوه لتلك المعضلة العلمية

ويرى مستر جلبرت شميدلنج مخترع هذه المصاييح الحديثة ان قوامها مزيج جديد متألق شديد البهاء . والمواد المتألقة نفسها ليست شيئاً جديداً لان المعروف من مركباتها يبلغ ١١٠٠٠ نوع وكلها لها خاصة التألق الغريبة عند انطلاق الاشعة الكهربائية الخفية المختلفة الانواع عليها . ومنها دهان الراديووم الذي تدهن به مواني الساعات . ومنها اهداف اشعة رنتجن التي يستعملها الجراحون ، واهداف انابيب الاشعة السلبية التي تستعمل في لوحات التلفزة . وقد كان مستر شميدلنج يفحص الوفاً من هاتيك المواد ابتغاء الوقوف على مبلغ صلاحها للوحات التلفزة ، فمثر عرضاً على مزيج منها وآسد نوراً يکفي تألقه او لمعانه للشغل والقراءة . وثبت له بالتجارب امكان استعماله في مصباح كهربائي ينير كالمصباح المألوف ولا يستنفد اكثر من سدس التيار الذي يستهلكه

الجزء الخامس من المجلد الرابع والثمانين

| صفحة | |
|------|--|
| ٥٢٥ | لاؤوازيه (مصورة) |
| ٥٣٢ | البرق والارض (قصيدة) . للشيخ فؤاد باشا الخطيب |
| ٥٣٤ | نظرية الكونتم . لنقولا الحداد |
| ٥٤١ | الصحف البريطانية الكبرى |
| ٥٤٩ | وحدة الكون . للشاعر السكنديناوي بويزن |
| ٥٥٠ | عجائب الحل الطيفي |
| ٥٥٤ | استدراك على معجم الحيوان . للدكتور معلوف باشا |
| ٥٥٧ | الحشمة والعري . للدكتور صبري جرجس |
| ٥٦٤ | السيكولوجية الحديثة . ليعقوب فام |
| ٥٦٩ | وحدة العمر (قصيدة) . لحسن كامل الصيرفي |
| ٥٧١ | الالتزام العلاجي القروي . للدكتور كامل هلال |
| ٥٧٧ | عناق الادب والعلم . لاسماعيل مظهر |
| ٥٨٣ | الاسنان والعمران |
| ٥٨٦ | الفلاح المصري القديم . للدكتور حسن كمال (مصورة) |
| ٥٩٠ | تحوّل الآراء الفلسفية . لحنا خباز |
| ٥٩٥ | سير الزمان : مشكلة الشرق الاقصى . دولة اليمن ودولة آل السعود : لامين سعيد |
| ٦٠٧ | حديقة المقتطف : الملك لير : لشكسبير : فتاة الجبل الاسود . خليل مطران |
| | صلاة . للشاعر الاميركي ادوين ماركهام |
| ٦١٣ | مملكة المرأة : مصير المرأة المصرية . عقل الطفل : لاحمد عطية الله . الجمال والعمل |
| | البيتي . المرأة في البادية : للارشمندريت ميشل عساف |

| | |
|-----|---|
| ٦٢٥ | باب المراسلة والمناظرة * في المصطلحات الطبية . للدكتور داود الجلي . كتاب فيصل الاول . لامين سعيد . في بحور الشعر . لحسن كامل الصيرفي |
| ٥٣٦ | مكتبة المقتطف * كتاب مؤتمّر الموسيقى العربية . تاريخ الصحافة العربية (الجزء الرابع) . التجديد في الادب الانكليزي الحديث . تقويم الحكومة المصرية . ديوان الماحي . حواء بلا آدم . الاعشاب . مجلة كلية الآداب . خزائن مخطوطات القس بولس سباط . الشرق والغرب . التريسة بالقصص . زردشت باستاني وفلسفته . مطبوعات جديدة |
| ٦٤٦ | باب الاخبار العلمية * وفيه ١٢ نبذة |